



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW.

WWW.

WWW.

WWW.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

كاتب:

آيت الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

موسسة المجتبي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
19	الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 4
19	هوية الكتاب
19	اشارة
25	كلمة الناشر
29	المقدمة
31	أيها المسلمون
31	اشارة
31	لماذا الاستتصار؟
33	نصرة المظلوم واجب عقلي
38	أغلب على إرثيه
38	اشارة
38	التعجب الاستنكاري
41	يا بن أبي قحافة
41	اشارة
41	مواجهة الحاكم
43	أفي كتاب الله ترث أبالك ولا أرث أبي؟
43	اشارة
43	الاستدلال المنطقي
48	الأصل هو المساواة
48	اشارة
49	بين الحاكم والرعية
51	لقد جنت شيئاً فرأياً

51	اشارة
51	الافتراء على الله
52	شهادة المعصوم
54	حرمة الافتراء والكذب مطلقا
57	مما يجب إعلام الناس به
58	أفعل على عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم
58	اشارة
58	التعمد في الأمر
60	الساكت على الظلم
62	إذ يقول: «وورث سليمان داود»، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا،
62	اشارة
62	تراكم الأدلة
63	عند نقل الآيات الشريفة
64	فلسفة الإرث
67	شبهة وإجابة
73	وزعمتم: أن لا حظوة لي، ولا أرث من أبي.
73	اشارة
73	المطالبة بالإرث
74	حرمة القول بالباطل
75	حرمة القول بعدم إرثها (عليها السلام)
77	منع النساء من الإرث
79	المراحل السبعة
81	ولا رحم بيننا
81	اشارة
81	نفي الرحم وإثباتها

- 83 أفنصكم الله بآية أخرج أبي منها؟
- 83 اشارة
- 83 تخصيص الآيات دون مخصص
- 84 أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟
- 84 اشارة
- 84 أحكام أهل ملتين
- 86 أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟
- 86 اشارة
- 86 مما يحرم الاعتقاد به
- 87 أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟
- 87 اشارة
- 87 لا اجتهاد مقابل النص
- 89 الاجتهاد وموارده
- 90 معاني الألفية
- 91 الأعمم بالقرآن
- 92 شمولية أعلمتيهما (عليهما السلام)
- 93 أهل البيت (عليهم السلام) هم المرجع
- 97 فدونها مخطومة مرحولة
- 97 اشارة
- 97 تهديد الظالم
- 101 تلقاك يوم حشرك
- 101 اشارة
- 101 جزاء هذه المظلمة
- 103 تجسم الأعمال
- 105 حكم نهى المعاند

107 فنعم الحكم الله
107 اشارة
107 الله الحاكم
109 التشبيه بحكومية الله وزعامة النبي (صلي الله عليه وآله)
110 التوكل على الله
114 بين الحق وتوحيد الكلمة
118 والزعيم محمد (صلي الله عليه وآله) والموعود القيامة
118 اشارة
118 دور الرسول (صلي الله عليه وآله) في الآخرة
121 وعند الساعة يخسر المبطلون
121 اشارة
121 درجات النهي عن المنكر
125 ولا ينفعكم إذ تدمون
125 اشارة
125 بين الدنيا والآخرة
127 هل الندم نافع
137 فاطمة (عليها السلام) في يوم القيامة
140 ولكل نبأ مستقر
140 اشارة
140 الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار
141 وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم
141 اشارة
141 من يتقلب على عقبيه
143 ثم رمت بطرفها نحو الأنصار
143 اشارة

- 143 حدود النظر
- 143 التعددية زمن الرسول (صلي الله عليه وآله)
- 154 فقالت: يا معشر الفتية
- 154 اشارة
- 154 توجيه الخطاب لفئة خاصة
- 161 العقل والعاطفة
- 164 بين طائفتين
- 165 وأعضاء الملة وأنصار الإسلام
- 165 اشارة
- 165 المشتق بلحاظ حال التلبس
- 167 نصرة الإسلام
- 172 ما هذه الغمزة في حقي ؟
- 172 اشارة
- 172 الغمز من قناة الحق
- 176 الحق القديم
- 177 والسنة عن ظلامي
- 177 اشارة
- 177 التواني في ظلامتها (عليها السلام)
- 180 أما كان رسول الله (صلي الله عليه وآله) أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده» ؟
- 180 اشارة
- 180 الاستشهاد بكلام المعصوم (عليه السلام)
- 182 يحفظ المرء في ولده
- 186 الولد يشمل الذكر والأثني
- 187 حق الأجيال القادمة
- 189 سرعان ما أحدثتم

189	اشارة
189	مصدرية الخطبة
191	الإحداث في الدين
193	وعجلان ذا إهالة
193	اشارة
193	حفظ واستخدام الأمثال
196	ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول
196	اشارة
196	نصرة أهل البيت (عليهم السلام)
198	العصيان المدني
200	بين القوة والطاقة
204	تبرير التقاعس
207	عدالة الصحابة
210	أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله)
210	اشارة
210	أدلة الخصم
215	عند أمن الإضلال
218	لا تقاعس بموت القائد
221	فخطب جليل، استوسع وهنه، واستتهر فثقه، وانفتق رثقه
221	اشارة
221	آثار وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)
223	الخطب الجليل
225	تخليد ذكرى الرسول (صلى الله عليه وآله)
227	الأمم ومسيرة الانحطاط
229	امتداد النبوة

233	وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته
233	إشارة
233	لجان الرصد العلمي
235	صلة الأرحام والآثار التكوينية
236	بكاء الأرض على المؤمن
236	الكون في قتل الحسين (عليه السلام)
239	ظلمة الأرض
241	وأكلت الآمال وخشعت الجبال
241	إشارة
241	أمل الكون
247	وأضيق الحریم
247	إشارة
247	من خسائر فقد النبي (صلى الله عليه وآله)
251	وأزيلت الحرمة عند مماته
251	إشارة
251	الحرمة والحریم
253	حق أم حكم
255	إعادة ما أضيع
256	فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى
256	إشارة
256	من مستنبيات كراهة القسم
258	النازلة الكبرى
261	التوسع في معنى (احتمال التأثير)
264	ذكر الحقيقة
266	رحمة للعالمين

270	لا مثلها نازلة ولا بانقة عاجلة
270	اشارة
270	النكرة في سياق النفي
273	يوم عاشوراء
276	أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئتيكم
276	اشارة
276	علاقة القرآن والعرة
280	الرسول الأعظم والقرآن الكريم
288	لفظ الجلالة
293	وفي ممساكم ومصبحكم
293	اشارة
293	التكرار مساءً وصباحاً
297	تلاوة القرآن وألحانه
303	يهتف في أفئتيكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً
303	اشارة
303	الهتاف والصراخ
307	ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله
307	اشارة
307	استصحاب الشرائع السابقة
309	أحوال الأنبياء والرسل (عليهم السلام)
315	الأشباه والنظائر
318	حكم فصل، وقضاء حتم
318	اشارة
318	الموت حكم فصل
322	حكمة الموت

- 322 ذكر الموت
- 325 عند موت إبراهيم (عليه السلام)
- 325 شاب من الأنصار
- 327 القضاء والقدر
- 329 وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
- 329 إشارة
- 329 حرمة الانقلاب عن الحق
- 332 من هو الرجعي؟
- 334 الحصر الإضافي
- 335 الشاكرون
- 337 إيهاباً بني قيلة
- 337 إشارة
- 337 النسبة للأم
- 342 التخصيص بعد التعميم
- 343 أأهضم تراث أبي؟
- 343 إشارة
- 343 تكرار الطلب
- 345 اشتداد الحرمة
- 346 أكل الإرث
- 348 وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع
- 348 إشارة
- 348 شحذ الهمم
- 351 خذلان المظلوم
- 352 السماع بالظلم
- 357 المسؤولية المضاعفة للتجمعات

359	تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة
359	اشارة
359	عذر مدعي القصور
361	محاسبة المسؤولين
364	وأتم ذوو العدد والعدة ، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنة
364	اشارة
364	مسؤولية أكبر
366	تأهيل الأمة
369	من السنن الاجتماعية
372	إشهار السلاح بوجه الحاكم
374	الدفاع باليد
378	توافقكم الدعوة فلا تغيبون
378	اشارة
378	إجابة المظلوم
381	حرمة خذلان المعصومين (عليهم السلام)
384	وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون
384	اشارة
384	عدم إغاثة المظلوم
387	من المحرمات الكبيرة
388	استمرارية الدعوة
390	وأتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح
390	اشارة
390	ملح المؤمنين
391	من طرق التحريض
394	الدقة في التعبير

396	الاتصاف في ظرف الإسناد
397	الاتصاف بالكفاح
398	أقسام الشهرة
402	والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت
402	اشارة
402	السعي للتفوق
405	قاتلتم العرب
405	اشارة
405	مقاتلة المشركين
407	وتحملتم الكدّ والتعب
407	اشارة
407	تحمل الكد والتعب
411	وناطحتم الأمم وكافحتم البهم
411	اشارة
411	مناطحة الأمم
412	جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) في الحبشة
416	قصة شعب أبي طالب (عليه السلام)
421	لا نبرح أو تبرحون
421	اشارة
421	إتباع الرسول وأهل بيته (عليهم السلام)
425	نأمركم فتأتمرون
425	اشارة
425	عمومية وجوب الإطاعة
428	حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام
428	اشارة

- 428 محورية أهل البيت (عليهم السلام).
- 430 ودرّ حلب الأيام
- 430 إشارة
- 430 إنهم (عليهم السلام) وسائط الفيض
- 432 بحث حول الزمن
- 436 وخضعت نعة الشرك
- 436 إشارة
- 436 إخضاع الإعلام المصل
- 440 وسكنت فورة الإفك
- 440 إشارة
- 440 حرمة الإفك
- 442 وخملت نيران الكفر
- 442 إشارة
- 442 الكفر ونيرانه
- 446 وهدأت دعوة الهرج
- 446 إشارة
- 446 حرمة الهرج
- 447 مواصفات المجتمع الجاهلي
- 449 من مسؤوليات المؤمن
- 450 المصلح ودار الدنيا
- 452 واستوسق نظام الدين
- 452 إشارة
- 452 استيساق الدين بالرسول (صلى الله عليه وآله)
- 453 عدم الإفراط والتفريط
- 455 فأنى حرتم بعد البيان

- 455 اشارة
- 455 الحيرة والشك من المحرمات
- 459 وأسرتهم بعد الإعلان
- 459 اشارة
- 459 الجهر بالحق
- 461 ونكصتم بعد الإقدام
- 461 اشارة
- 461 النكوص والتراجع
- 462 وأشركتم بعد الإيمان
- 462 اشارة
- 462 إنكار الإمامة شرك
- 465 إثارة الشبهات والحيرة
- 473 ألا تقاتلوا قوماً نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
- 473 اشارة
- 473 مقاتلة ناكثي البيعة
- 476 نكث البيعة وأسلوبها
- 480 وهموا بإخراج الرسول
- 480 اشارة
- 480 إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله)
- 482 حرمة الهم بذلك
- 484 مقاتلة من هم بذلك
- 486 وهم بدءوكم أول مرة
- 486 اشارة
- 486 البدء بالقتال
- 490 أتخشونهم

490	اشارة
490	الخوف من الأعداء
493	الشجاعة
497	فأله أحق أن تخشوه
497	اشارة
497	الخشية من الله
500	إن كنتم مؤمنين
500	اشارة
500	من لوازم الإيمان
503	تعريف مركز

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 4

هوية الكتاب

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الرابع : خطبتها عليها السلام في المسجد 3

المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته)

ص: 1

إشارة

الطبعة الأولى

1439 هـ 2018 م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة

ص: 2

الفقه

من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الرابع

خطبتها عليها السلام في المسجد

القسم الثالث

ص: 3

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين

وصلی الله علی محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله علی أعدائهم أجمعين

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الصِّدِيقَةُ الشَّهِيدَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الرَّضِیَّةُ الْمَرْضِیَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْفَاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْحَوْرَاءُ الْإِنْسِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا النَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُحَدَّثَةُ الْعَلِيْمَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمَظْلُومَةُ الْمَعْصُوبَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُضْطَهَدَةُ الْمَقْهُورَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللّٰهِ

وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ

البلد الأمين ص 278. مصباح المتهجد ص 711

بحار الأنوار ج 97 ص 195 ب 12 ح 5 ط بيروت

ص: 4

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآهِلِ بَيْتِهِ وَصَلِّ عَلَى الْبُتُولِ الطَّاهِرَةِ الصِّدِّيقَةِ الْمُعْصُومَةِ النَّقِيَّةِ النَّقِيَّةِ الرَّضِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ الزَّكِيَّةِ الرَّشِيدَةِ الْمَظْلُومَةِ الْمَقْهُورَةِ الْمُغْصُوبَةِ حَقُّهَا، الْمَمْنُوعَةِ إِزْثُهَا، الْمَكْسُورَةِ ضَلْعُهَا، الْمَظْلُومِ بَعْلُهَا، الْمَقْتُولِ وَلَدُهَا، فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِكَ، وَبَضْعَةَ لَحْمِهِ؛ وَصَمِيمِ قَلْبِهِ، وَفَلْدَةَ كَبِدِهِ، وَالتُّحْبَةَ مِنْكَ لَهُ، وَالتُّحْفَةَ خَصَصْتَ بِهَا وَصِيَّهَ، وَحَبِيبَةَ الْمُصْطَفَى، وَقَرِينَةَ الْمُرْتَضَى، وَسَيِّدَةَ النِّسَاءِ، وَمُبَشِّرَةَ الْأَوْلِيَاءِ، حَلِيفَةَ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، وَتَفَاحَةَ الْفِرْدَوْسِ وَالْخُلْدِ الَّتِي شَرَّفَتْ مَوْلِدَهَا بِنِسَاءِ الْجَنَّةِ، وَسَدَّمَتْ مِنْهَا أَنْوَارَ الْأَيِّمَةِ، وَأَزْحَيْتَ دُونَهَا حِجَابَ التُّبُوءِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهَا صَدَاقَةً تَزِيدُ فِي مَحَلِّهَا عِنْدَكَ، وَشَرَفًا لَدَيْكَ، وَمَنْزِلَةً مِنْ رِضَاكَ، وَيَلْغِيهَا مِنْ تَحِيَّةٍ وَسَدَامًا، وَأَتَنَا مِنْ لَدُنْكَ فِي حُبِّهَا فَضْلًا وَإِحْسَانًا وَرَحْمَةً وَغُفْرَانًا إِنَّكَ ذُو الْعَفْوِ الْكَرِيمِ.

بحار الأنوار : ج 97 ص 200 ط بيروت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

تبع عظمة الصديقة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من تلك الخصائص النادرة التي حباها الله بها فميزها عن غيرها، فكانت بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

مضافاً إلى كونها وريثة سيد المرسلين وزوجة أمير المؤمنين وأم الشبلين الحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقد ورثت من أبيها البلاغة والفصاحة، ومن زوجها الجهاد والشجاعة.

وقد نهضت بالأمر يوم رأت إلى الحقلا يُعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، على ما ورد بها من علل وأسقام افتترستها بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأعلنتها صرخة مدوية في المسجد، صكت بها أسماع القوم لما غضبوا حق أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة ومنعوها نحلة أبيها وبلغه بنيتها، فكشفت بذلك عن

سراير النفوس وما انطوت عليه وما أضمرت، وكأنها تفرغ عن منطق أبيها (سلام الله عليها).

وهكذا فقد أغمض حق الزهراء (عليها السلام) جهازاً بحجة واهية وحديث مختلق (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) ورد شهادة من شهد لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجنة وكذلك شهادة زوجها وبنيتها (عليهم السلام)، مضافاً إلى ما صنعوا بها من الضرب واللطم وكسر الضلع وإسقاط الجنين، و... فيا لله وما تأمر به النفس الأمارة.

ولكن أنى للحق أن يموت ما دام وراءه مطالب، فقد عرفت الأجيال أن الحق كان مع الزهراء (سلام الله عليها) وصدق دعواها وهي الصديقة الصادقة كما عرفوا أحقية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالخلافة.

وهذا الكتاب، مضافاً إلى كونه شرحاً قيماً على تلك الخطبة المباركة التي ألقتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المسجد، يمتاز بالصبغة الفقهية، فإن سماحة الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) استنبط من تلك الخطبة الشريفة المئات من المسائل الشرعية الفقهية، فكان أول من كتب - بتوفيق من الله - في فقه الزهراء (سلام الله عليها) حيث ألف سبعة مجلدات بدءاً من حديث الكساء ثم الخطبة الشريفة في المسجد ثم خطبتها في البيت، إلى الأحاديث المروية عنها (صلوات الله عليها)، وقد بلغ مجموع ما استنبطه من فقهها (عليها السلام) أكثر من ألفي مسألة.

ويعد هذه الاستنباطات من تلك المبتكرات العلمية التي يسجلها التاريخ باسمه الشريف.

وقد قال أحد كبار العلماء في قم المقدسة: إن السيد الشيرازي لو لم يكن له سوى (من فقه الزهراء (عليها السلام)) لكفاه فخراً.

كما رؤي الإمام الشيرازي (رحمة الله) في المنام(1) جالساً ومؤلفاته إلى جانبه، وكان فوق رأسه عدد من كتبه المختارة وكان النور ساطعاً من تلكالكتب على السيد الراحل، وبعد الدقة لوحظ أن تلك الكتب التي يسطع منها النور هي (من فقه الزهراء (عليها السلام)).

نعم كان الإمام الراحل من جملة العلماء الذين انبروا للدفاع عن ولاية أهل البيت وعن جدته الزهراء (عليها السلام) وظل هكذا إلى آخر حياته حيث أسلم روحه الطاهرة ليلة عبد الفطر من عام 1422هـ- وهو يكتب كتاباً عن سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

إن مؤسسة المجتبي تتشرف بإصدار هذا الجزء في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله عليه) سائلة المولى أن ينفع به كما نفع بغيره وأن يمنّ على سماحة الإمام المؤلف بالمغفرة والرضوان وعلو الدرجات وأن يحشره مع جدته الزهراء (سلام الله عليها)، والحمد لله أولاً وأخراً.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب 5955 / 13 شوران

ص: 9

1- قد رأى هذه الرؤيا أكثر من شخص وفي فترات مختلفة بعد رحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) للتفصيل انظر ملحق كتاب (المنامات) للإمام المؤلف (قدس سره).

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد: فهذا الجزء الرابع من كتاب (من فقه الزهراء) صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله عز وجل التوفيق والقبول، إنه ولي ذلك.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ص: 11

لماذا الاستنصار؟

مسألة: قد يُتساءل أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) لماذا استنصرت القوم مع علمها بعدم النصر؟

والجواب: إن (الاستنصار) هنا راجح وقد يكون واجباً حتى مع اليأس من النصر، إذ لا ينحصر الغرض منه في النصر بل منه إتمام الحجة، قال تعالى: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»⁽¹⁾.

ومنه: إرشاد الجاهل وتبنيه الغافل في ذلك الزمن وللأجيال الآتية.

ومنه: الردع عن الظلم الأكثر، إلى غيرها.

ومن هنا استنصر أمير المؤمنين (عليه السلام) في أمر الخلافة، فلما لم يجد ناصراً صبر كما وصاه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما سئل: فما منعك يا بن أبي طالب حين بويع فلان وفلان أن تضرب بسيفك؟

وقال آخر: يا أمير المؤمنين لم لمتضرب بسيفك وتأخذ بحقك وأنت لم تخطب خطبة إلا وقلت فيها: «إني لأولى الناس بالناس ولا زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله)» فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟

قال علي (عليه السلام): «اسمع يا فلان، فإنه لم يمنعني من ذلك الجبر ولا كراهية الباري تعالى⁽²⁾ وإني لأعلم أن ما عند الله تبارك وتعالى خير لي من الدنيا

ص: 13

1- سورة النساء: 165.

2- أي كراهية أن أقتل وألقى الباري تعالى.

والبقاء فيها، ولكن يمنعي من ذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونهيه إياي وعهده إليّ، فقد أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما الأمة صانعة بعده ولم أكن حين عايته أعلم به ولا أشد استيقاناً به مني قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشد يقيناً مني بما عايته وشهدته، فقلت: يا رسول الله وما تعهد إليّ إذا كان ذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): إن وجدت أعواناً فانتدب إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك وأحقن دمك حتى تجد على إقامة كتاب الله وسنتي أعواناً، وأخبرني أنه سيخذلني الناس ويباعون غيري وأخبرني أنني بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة من بعدي سيصيرون بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال له: «يا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا أَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» (1).

يعني إن موسى (عليه السلام) أمره حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجدت أعواناً عليهم فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك ولا تفرق بينهم، وإني خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول: لم فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً أن تكف يدك وتحقن دمك ودماء أهل بيتك وشيعتك.

فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مال الناس إلى أبي بكر فباعوه واستنصرت الناس فلم ينصروني غير أربعة: سلمان وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام،

ص: 14

.....
ولم يكن أحد من أهل بيتي أصول به وأتقوى به، أما حمزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر قتل يوم موتة...» الحديث (1).

ومن هذا الباب أيضا كان استنصار فاطمة الزهراء (عليها السلام).

نصرة المظلوم واجب عقلي

مسألة: نصرة المظلوم واجب عقلي، فلا- ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم أو المؤمن، بل يجب على كل إنسان ذلك بحكم العقل والفطرة والوجدان.

وأما توجيهها (عليها السلام) الخطاب للمسلمين فلأنهم المخاطبون بالدرجة الأولى، ولتحملهم ضعفي (2) المسؤولية، سواء في قضية فذك أو غصب حق

ص: 15

- 1- انظر إرشاد القلوب: ج2 ص394-395 خير وفاة أبي بكر ومعاذ بن جبل.
- 2- لتكليفهم عقلاً وشرعاً ولائتمانهم على ذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديث المتواتر عند الفريقين: «إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي». وفي بعض الروايات: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي». انظر حديث الثقلين في صحيح الترمذي: ج5 ص328 ح3874 وح3876 ط دار الفكر بيروت، وح13 ص199 و200 ط مكتبة الصاوي مصر، وح2 ص308 ط بولاق مصر. مسند أحمد: ج3 ص17 و26 و59، وح4 ص366 و371، وح5 ص181 ط الميمنية بمصر. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب: ج2 ص362 ط عيسى الحلبي، وح7 ص122 ط صبيح، وح15 ص179 ط مصر بشرح النووي. ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص231 و232 ط مطبعة القضاء النجف. وينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص29 و30 و31 و36 و38 و41 و183 و191 و296 و370 ط إسلامبول. وتفسير ابن كثير: ج4 ص113 ط دار إحياء الكتب العربية مصر. ومصايح السنة للبغوي: ص203 و206 ط القاهرة. وح2 ص278 ط صبيح، وجامع الأصول لابن الأثير: ج1 ص187 ح65 و66 ط مصر..... والمعجم الكبير للطبراني: ص137. ومشكاة المصابيح: ج3 ص255 و258 ط دمشق. وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف: ص111 و114 و116 ط الحلبي. والفتح الكبير للنبهاني: ج1 ص252 و451 و503 وح3 ص385 ط دار الكتب العربية بمصر. والشرف المؤبد للنبهاني: ص18 ط مصر. وأرجح المطالب: ص236 أو 336 ط لاهور. ورفع اللبس والشبهات للإدريسي: ص11 و15 ط مصر. والسيف اليماني المسلول: ص10 ط الترقى بدمشق. والدر المنثور للسيوطي: ج2 ص60، وح6 ص7 و306. وذخائر العقبي ص16. والصواعق المحرقة: ص147 و226 ط المحمدية، وص89 ط الميمنية مصر. المعجم الصغير للطبراني: ج1 ص135. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي: ج2 ص12. وتفسير الخازن: ج1 ص4. علم الكتاب للسيد خواجه الحنفي: ص264 ط دهلي. منتخب تاريخ ابن عساكر: ج5 ص436 ط دمشق. مشكاة المصابيح للعمري: ج3 ص258. وتيسير الوصول لابن البديع: ج1 ص16 ط نور كشور. والتاج الجامع للأصول: ج3 ص308 ط القاهرة. مجمع الزوائد للهيثمي: ج9 ص162 و163. الجامع الصغير للسيوطي: ج1 ص353 ط مصر. وأرجح المطالب للأمرتسري الحنفي: ص335 ط لاهور. ومناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي الشافعي ص234 ح281 وص235 ح283 ط طهران. والمناقب للخوارزمي الحنفي: ص223. وفرائد السمطين للحموي الشافعي: ج2 ص143 ب33. وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار: ص108 ط السعيدية، السيرة النبوية لزين دحلان المطبوع بهامش

السيرة الحلبية: ج 3 ص 330 و 331 ط البهية مصر. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2 ص 194 دار صادر بيروت. المواهب اللدنية: ج 7 ص 7 ط مصر. راموز الأحاديث للشيخ احمد الحنفي: ص 144 ط آستانة. الأنوار المحمدية للنهباني: ص 435 ط الأدبية لبنان. فراند السمطين: ج 2 ص 272 ح 538. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ج 2 ص 36 ح 534 و 545. وأنساب الأشراف للبلاذري: ج 2 ص 110. وحلية الأولياء: ج 1 ص 355. وكنز العمال: ج 1 ص 158 ح 899 و 943-947 و 950-953 و 958 و 1651 و 1658 و 1668. وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 53 ط الحيدرية، و... أما الحديث في مصادر الشيعة فأكثر من ذلك، راجع مثلاً: عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 62 ح 259 ب 31 وفيه: (قال النبي (صلى الله عليه وآله): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). ومستدرک الوسائل: ج 11 ص 374 ب 49 ح 13294. وانظر حديث الخلفيتين في مسند أحمد بن حنبل: ج 5 ص 181 ح 21618 ط مؤسسة قرطبة بمصر. ومجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج 9 ص 162 ط دار الريان للتراث، القاهرة. وفضائل الصحابة، لابن حنبل: ج 2 ص 603 ط مؤسسة الرسالة بيروت. وأيضاً في مسند أحمد بن حنبل: ج 5 ص 189 ح 21697 ط مؤسسة قرطبة بمصر. وأيضاً في مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج 9 ص 162 ط دار الريان للتراث، القاهرة.

.....
الإمام (عليه السلام) في الخلافة، أو الاعتداء على الإمام (عليه السلام) أو عليها (عليها السلام) بالضرب وعلى دارها بالإحراق أو غير ذلك من كسر الضلع وإسقاط الجنين.

ومن ذلك يتضح أن الحكام من بني أمية وبني العباس والعثمانيين كلهم شركاء في استمرار هذه المظالم حيث كان بمقدورهم رد فلك وإرجاع الخلافة لأهلها. ومن ذلك يتضح أيضاً أن الدول المعاصرة والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان أيضاً مسؤولة عن إرجاع فلك لأحفادها (صلوات الله عليها) إذ الحق لا يبطل بالتقادم وهذه ظلامة كبرى على مر التاريخ.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أحسن العدل نصرة المظلوم»⁽¹⁾.

وعن البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبع ونهاها عن سبع، أمرنا بعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وبر القسم...) الحديث⁽²⁾.

ص: 17

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 446 ق 6 ب 4 ف 5 ح 10210.

2- معدن الجواهر: ص 58-59 باب ذكر ما جاء في سبعة، ومثله في الخصال: ج 2 ص 340-341 باب السبعة.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرجل أتاه: ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك

الله، قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله، قال: فانصر المظلوم..»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه»(2).

وقال (عليه السلام): «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»(3). وقال (عليه السلام): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»(4).

ص: 18

1- انظر تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 189.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 341 ق 4 ب 2 ف 3 ح 7804.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 341 ق 4 ب 2 ف 3 ح 7805.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 483 ق 6 ب 6 ح 11144.

التعجب الاستنكاري

قولها (عليها السلام): (أُغْلِبَ عَلَى إرْثِيهِ) ورد في مقام التعجب المضمّن معنى الاستنكار، أي كيف أُمْنَعُ من إرث أبي عليّ خلاف كتاب الله؟!

والهاء للسكت، أي أنها علامة السكوت في آخر الكلام، والتي تلحق لبيان حركة أو حرف، ولذا يسكت بها في الوقف دون الوصل، وإن قرئ بإثباتها في الوصل أيضاً، مثل قوله سبحانه وتعالى: «فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ» (1).

أو إشارة إلى قطع الاستمرار في الكلام إلى هنا، وذلك لتلطف المتكلم بما لا يتمكن من بيانه بالكلام، أو بما لا يسمح له المقام به، فأريد بذلك نحو من انطباق الكلام مع الواقع، كما في قوله عز وجل: «ذلك ما كنا نبغ» (2) بحذف الياء حيث أريد حكايتها (3) للكلام، فإنه من شدة الشوق لم يتكلم بتمام الكلام، كما أن من الوارد أحياناً أن لا يتم الكلام لشدة الخوف أو الحزن أو غير ذلك من الحالات النفسية الطارئة.

ص: 19

1- سورة الحاقة: 25 - 29.

2- سورة الكهف: 64.

3- أي الآية أو الكلمة (نبغ).

وفي المقام قد يكون وقفها (عليها السلام) على (إرثيه) لغلبة الآلام عليها مما لاقته من القوم، كما يتوقف المتكلم عند انقطاع نفسه - لإرهاق أو تحرك زائد أو غير ذلك - إذ أنها (صلوات الله عليها) جاءت إلى المسجد متحاملة على نفسها، تعاني من جراحها وكسر ضلعها وسقط جنينها، وتتجلد رغم آلامها، فلعن الله ظالميها وغاصبي حقوقها وعذبهم عذاباً أليماً.

فقد روي: «أنها (عليها السلام) ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة» (1).

ولعل المراد بالإرث هنا: الأعم من النحلة والإرث المصطلح، وقد سبق أن فذك كانت نحلة نحلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) للزهراء (عليها السلام) في حياته، كما هو ثابت في التواريخ، وكما استدلت هي أيضاً بذلك في موطن آخر.

وأما إذا أريد بالإرث: خصوص الإرث بالمعنى المشهور، فهو - كما سبق - من باب التسليم لإثبات الحق بما يعترف به الخصم، فإن الإنسان إن كان محققاً ولا يصل إلى حقه إلا بالطريق الذي يلزم الخصم، أي بما يراه الخصم صحيحاً وإن كان الصحيح عنده غيره، صح سلوك ذلك الطريق، وهذا قد يكون من مصاديق «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» (2) ومن باب

ص: 20

1- بحار الأنوار: ج 43 ص 181 ب 7 ح 16.

2- بحار الأنوار: ج 1 ص 85 ب 1 ضمن ح 7، ومن أمثلته الجواب الذي ذكره الإمام السجاد (عليه السلام) على السؤال التالي: (لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه)؟ فقال (عليه السلام): (لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل، فلو أنهم كانوا ينظرون الله عز وجل لما كانوا بالذي يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم فإذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه إذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم). علل الشرائع: ج 1 ص 119 ب 98 ح 2.

(إن سلمنا) كما في كلمات العلماء، ومثل قول النبي إبراهيم (عليه السلام) «هذا ربي»، قال تعالى: «فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي»⁽¹⁾.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «إن إبراهيم (عليه السلام) وقع على ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه، «فلما جن عليه الليل رأى» الزهرة قال: «هذا ربي» على الإنكار والاستخبار.. «فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي»⁽²⁾ على الإنكار والاستخبار... «فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر»⁽³⁾ من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على سبيل الإخبار والإقرار»⁽⁴⁾.

قولها (عليها السلام) قبل ذلك: «بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية». الضاحية بمعنى: الظاهرة البيّنة، لأن في وقت الضحى تكون الشمس أظهر شيء، والضحى وقت بين الصبح والظهر حين تقترب الشمس من نصف النهار.

وقولها (عليها السلام): «أني ابنته» فإنها (صلوات الله عليها) ذكرت انطباق الكبرى الكلية للإرث على الصغرى الشخصية والتي هي عبارة عن: أنها ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: 21

1- سورة الأنعام: 76.

2- سورة الأنعام: 77.

3- سورة الأنعام: 78.

4- الاحتجاج: ج 2 ص 427 احتجاج الرضا (عليه السلام) على أهل الكتاب وغيرهم.

مواجهة الحاكم

مسألة: توجيهها (عليها السلام) الخطاب لابن أبي قحافة مباشرة يفيد رجحان أو وجوب التوجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نحو العقل المخطط والعامل الأول والسبب الرئيسي في الظلم، ومحاولة ردعه مباشرة، فإنه المعني بالأمر والنهي أولاً وبالذات.

قال تعالى: «اذهبا إلى فرعون إنه طغى»(1).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع لمثله ولكن نصبح وتصبحون أينما أحق بالخلافة والبيعة»(2).

ويرفع اليد عن هذا فيما لو كان التوجه لغيره أجدى وأنفع، أو كان التوجه له ذا خطر مرفوع بقاعدة (لا ضرر) أو ما أشبهه، فإنه حينئذ يرفع اليد عن التوجه للعامل الأساسي إلا إذا كان له - رغم الخطر - مصلحة ملزمة أكبر أو أهم.

والمصلحة والمفسدة تلاحظ بالقياس إلى الشخص الأمر وإلى أتباعه وإلى لوازم الأمر والنهي وإلى الآثار المستقبلية على الأجيال القادمة، وبالقياس إلى نوع المأمور به والمنهي عنه، وإلى المصالح العليا والعامة وما أشبهه.

ص: 22

1- سورة طه: 43.

2- راجع مشير الأحزان: ص 24 المقصد الأول، أخبار الحسين (عليه السلام) بموت معاوية ومنامه، وراجع اللهوف: ص 23 المسلك الأول في الأمور المتقدمة على القتال.

وذلك كله يعرف من الشرع ومن الذين عددهم الشرع مرجعاً في الحوادث الواقعة، فلو أراد ظالم غضب مال شخصٍ فإن نهيه عن المنكر واجب لو لم يستلزم ضرر الناهي بما لا يجوز تحمله كالقتل مثلاً.

لكن لو استلزم ذلك سجن الناهي لشهر مثلاً فهل يجب النهي عندئذ؟

المرجع في بعض الصغريات إلى الفقهاء، وفي بعضها إلى أهل الخبرة، وفي بعضها إليهما معاً، وفي بعضها إلى العرف، وفي بعضها إلى الشخص نفسه على تفصيل ذكرناه في الفقه.

وفي المقام كان فضح الظلم والعدوان في أقصى درجات الأهمية، لذلك وجهت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الخطاب للأول مباشرة، ولم يكن ليحل محله توجيه الخطاب لشخص آخر ابتداءً، فالخطر في مثل هذا الموقف كان مما لا يلغي وجوب الاقتحام، إضافة إلى أنه قد يقال بأنهم كانوا يتخوفون من إيدائها (عليها السلام) أكثر مما سبق منهم من الإيذاء العظيم، خوفاً من ردود الفعل الجماهيرية أو مزيد من فقدان الشرعية وإن آذوها (عليها السلام) قبل ذلك بضربها ولطمها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغيرها، لأن خطبتها الفدكية كانت بعد قصة الدار، كما يظهر من التواريخ.

الاستدلال المنطقي

مسألة: ينبغي أن يتطبع الإنسان - إن لم يكن طبعاً له - على الاستدلال المنطقي المعقول، خاصة على الخصم، أي «بالحكمة والموعظة الحسنة» (1) والمجادلة «بالتي هي أحسن» (2). وهذا ما يشاهد بوضوح في احتجاجات رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) (3).

وقد يجب مثل هذا الأسلوب حسب المتعلق، فإذا كان المتعلق واجباً وجب، وإذا كان المتعلق مستحباً استحَب.

وليس المراد بالمنطقي: البرهان فقط، بل يشمل الصناعات الخمس التي ذكرها المنطقيون في المنطق، فإن من الشعر والخطابة والجدل ما يكون في مورده استدلالاً منطقياً بالمعنى الأعم أيضاً.

قال الله تبارك وتعالى في كتابهم مخاطباً لنبيه (صلى الله عليه وآله): «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (4).

وقال عز من قائل: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (5).

ص: 24

1- سورة النحل: 125.

2- سورة النحل: 125.

3- راجع كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي (رحمة الله).

4- سورة النحل: 125.

5- سورة العنكبوت: 46.

وقال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ» الآية(1).

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم (عليه السلام) أيضا لما احتج على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة وعبدة الشمس والقمر جميعا بزوالها وانتقالها وطلوعها وأفولها وعلى حدوثها وإثبات محدث لها وفاطر إياها: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» إلى قوله تعالى «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ»(2) وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالاحتجاج.

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيا»(3).

كما ورد العديد من الروايات في بيان فضل مجادلة أهل الباطل والدفاع عن الحق، فعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) قال: قال الحسن بن علي (عليه السلام): «فضل كافل يتيم آل محمد (عليه السلام) المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرج من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»(4).

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون في الشجر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن

ص: 25

1- سورة البقرة: 258.

2- سورة الأنعام: 75-83.

3- الاحتجاج: ج 1 ص 15 في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

4- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 318 ب 11 ح 21461.

يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديانمحبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»(1).

وقال موسى بن جعفر (عليه السلام): «فقيه واحد ينقذ يتيما واحداً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه ينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف عابدة»(2).

وقال علي بن محمد (عليه السلام): «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»(3).

وقال أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): «من قوى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله تعالى يوم يدل في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت

ص: 26

1- الاحتجاج: ج 1 ص 17 في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

2- غوالي اللآلي: ج 1 ص 18-19 ف 2 ح 6.

3- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 344-345 في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن الإمام (عليه السلام).

بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»(1).

وقال أبو محمد (عليه السلام) قالت فاطمة (عليها السلام) وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة (عليها السلام): إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإن الله عز وجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألفألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان له معدا من الجنان»(2).

وقال أبو محمد العسكري (عليه السلام) لبعض تلامذته لما اجتمع قوم من الموالي والمحبين لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحضرته، وقالوا: يا ابن رسول الله، إن لنا جارا من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين (عليه السلام) ويورد علينا حججا لا ندرى كيف الجواب عنها والخروج منها، قال: «مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم وأكسر غرته وقل حده ولا تبق له باقية».

فذهب الرجل وحضر الموضوع، وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وصيره

ص: 27

-
- 1- الاحتجاج: ج 1 ص 18 في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحججاج والجدال بالتي هي أحسن.
 - 2- الاحتجاج: ج 1 ص 18 في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحججاج والجدال بالتي هي أحسن.

لا يدري في السماء هو أو في الأرض.

قالوا: فوقع علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى الرجل والمتعصبين له من الحزن والغم مثل ما لحقنا من السرور، فلما رجعنا إلى الإمام (عليه السلام) قال لنا: «إن الذي في السماوات من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردته من الشياطين من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتهم ولقد صلى على هذا الكاسر له ملائكة السماء والحجب والكرسي وقابلها الله بالإجابة فأكرم إياه وعظم ثوابه ولقد لعنت تلك الملائكة عدو الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدد حسابه وأطال عذابه»⁽¹⁾.

ص: 28

1- راجع بحار الأنوار: ج 2 ص 11 ب 8 ح 23.

الأصل هو المساواة

إشارة

مسألة: ربما يفهم من كلامها (عليها السلام) أن الأصل الأولي هو المساواة في الحقوق والأحكام بين كافة أفراد المكلفين، ومن المصاديق الرجال والنساء، لذلك احتجج إلى الدليل على التفاوت والتبعيض والتفرقة.

وهذا المستفاد هو مقتضى القاعدة، فإن الأصل - كما ذكرناه في الفقه - هو المساواة بين الرجال والنساء في جميع الأحكام إلا ما خرج بالدليل، وليس أصل المقام مما خرج بالدليل، فكما يرث الرجل ترث المرأة أيضاً وإن اختلف المقدار، والتنظير بلحاظ أصل الإرث لا الخصوصية كما هو واضح.

قال سبحانه: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (1).

وقال تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (2).

ص: 29

1- سورة التوبة: 71.

2- سورة الأحزاب: 35.

وقال عزوجل: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» (1).

وقال سبحانه: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» (2).

بين الحاكم والرعية

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) أيضاً: أن المساواة هي الأصل المحكم بين من بيده السلطة ومن لا سلطة له، وأن الحاكم يجب أن يخضع لكتاب الله، فقد قال عزوجل في القرآن الحكيم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الناس كأسنان المشط سواء» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم، ويتفاضلون بأعمالهم» (5).

قولها (عليها السلام): «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أبك ولا ارث أبي»

ص: 30

1- سورة التوبة: 72.

2- سورة الأحزاب: 58.

3- سورة الحجرات: 13.

4- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص379 باب النوادر ح5798.

5- مستدرک الوسائل: ج8 ص327 ب10 ضمن ح9568.

أي: كيف يمكن التفرقة بين المسلمين حتى أن بعضهم يرث أباه وبعضهم لا يرثه.

ومؤدى كلامها (عليها السلام) أنه هل يوجد في كتاب الله كبرى كلية تقتضي - عند تطبيقها على المصداق - أن ترث أنت أباك، ومخصص لتلك الكبرى (1) أو كبرى أخرى (2) تقتضي عدم إرثي من أبي؟

ص: 31

-
- 1- وهي ما أشارت إليه (عليها السلام) فيما بعد ب- (أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبي).
 - 2- وهي ما أشارت إليه (عليها السلام) فيما بعد ب- (أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان).

الافتراء على الله

مسألة: قولها (عليها السلام): «لقد جئت شيئاً فرياً»، شهادة منها (عليها السلام) بارتكاب ابن أبي قحافة كبيرة من أكبر الكبائر وهي الافتراء على الله تعالى.

وشهادتها (صلوات الله عليها) حجة بلا شك، وذلك من جهات عديدة، منها: أنها (عليها السلام) من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً⁽¹⁾، فإن اتهام الآخرين بما لم يفعلوه رجس ومناف للتطهير، وفي الحديث الشريف: «من شهد شهادة زور على أحد من الناس علق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»⁽²⁾، فشهادتها (عليها السلام) صادقة بدليل الكتاب الحكيم.

كما أن تعبيرها (عليها السلام) ب(لقد جئت) و(فرياً) دليل على أنه كان عالماً عامداً بمعصيته، إذ ظاهر إطلاق (الفرية) هو ذلك، كما أن ظاهر (جئت) باعتباره فعلاً مسنداً للفاعل هو القصد والاختيار.

ص: 32

1- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب، الآية: 33.

2- انظر من لا يحضره الفقيه: ج4 ص15 باب ذكر جمل من مناهي النبي، ضمن ح4968.

شهادة المعصوم

مسألة: من المحرم عدم الاعتناء بشهادة المعصوم (عليه السلام) أو عدم قبولها، ولو رجع ذلك إلى إنكار الرسالة كان كفراً.

ومن البديهي أن الرسول (صلى الله عليه وآله) إذا اعتبر شهادة (خزيمة بن ثابت) بمنزلة شهادتين وسماه ذا الشهادتين في قصة مشهورة⁽¹⁾، فإن شهادة بضعته (صلى الله عليه وآله) التي قال عنها: (إنَّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)⁽²⁾، وهي (عليها السلام) من آية التطهير⁽³⁾، أقوى وأتم وأحرى بالقبول، فإن الإعراب عن شهادتها اغضاب لها ولله عز وجل بنص الحديث، ولا يعقل أن يغضب الله تعالى لباطل، بالإضافة إلى أنه تكذيب لقوله عز وجل في آية التطهير كما لا يخفى.

وفي الكافي عن معاوية بن وهب قال: كان البلاط حيث يصلى على الجنائز سوقاً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسمى البطحاء يباع فيها الحليب والسمن والأقط وإن أعرابياً أتى بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم دخل ليأتيه بالثمن، فقام ناس من المنافقين فقالوا: بكم بعت فرسك؟

قال: بكذا وكذا.

قالوا: بئس ما بعت، فرسك خير من ذلك.

ص: 33

- 1- يأتي ذكرها في نهاية هذا البحث.
- 2- عيون أخبار الرضا: ج2 ص46-47 ب31 ح176.
- 3- سورة الأحزاب: 33.

وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج إليه بالثمن وافيا طيبا، فقال الأعرابي: ما بعثك والله.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سبحان الله، بلى والله لقد بعثني.

وارتفعت الأصوات فقال الناس: رسول الله يقاوم الأعرابي، فاجتمع ناس كثير فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ومع النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه إذ أقبل خزيمة بن ثابت الأنصاري، ففرج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أشهد يا رسول الله لقد اشتريته منه.

فقال الأعرابي: أشهد ولم تحضرنا؟ وقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أشهدتنا؟

فقال له: لا يا رسول الله ولكني علمت أنك قد اشتريت، أفأصدقك بما جئت به من عند الله ولا أصدقك على هذا الأعرابي الخبيث. قال فعجب له رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين⁽¹⁾.

ص: 34

حرمة الافتراء والكذب مطلقا

حرمة الافتراء والكذب مطلقا(1)

مسألة: يحرم الافتراء على الله والقرآن، بل مطلق الكذب، فقد قال سبحانه: «إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون»(2).

وقال تعالى: «فَمَنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»(3).

وقال سبحانه: «انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا»(4).

وقال عز وجل: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»(5).

وإذا اجتمع لفظ الافتراء والكذب كان معنى الافتراء: القطع، كما يقطع اللحم، فكأنه يقطع عرى الإيمان أو يقطع جبل المودة أو «يقطعون ما أمر الله به أن يوصل»(6) أو بلحاظ الاقتطاع من شخصية المفتري عليه، فكما أن

ص: 35

1- أي على الله عز وجل أو على القرآن أو على غيرهما.

2- سورة النحل: 105.

3- سورة آل عمران: 94.

4- سورة النساء: 50.

5- سورة الأنعام: 21.

6- سورة البقرة: 27، وسورة الرعد: 25.

السكين تقطع لحمه مادياً كذلك الفرية سكين تقطع شخصيته المعنوية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «هلك من ادعى وخاب من افترى»⁽¹⁾.

وفي زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولعن الله من افترى عليك»⁽²⁾.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «يا أبا النعمان لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية، ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر، فإنك موقوف لا محالة ومسئول فإن صدقت صدقتك وإن كذبت كذبتك»⁽³⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»⁽⁴⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الكذاب يهلك بالبينات ويهلك أتباعه بالشبهات»⁽⁵⁾.

وفي الحديث: «ذكر الحائك لأبي عبد الله (عليه السلام) أنه ملعون، فقال: إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله)»⁽⁶⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولا سواة أسوأ من الكذب»⁽⁷⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار»⁽⁸⁾.

ص: 36

1- الكافي: ج 8 ص 67-68 خطبة لأمر المؤمنين (عليه السلام) ضمن ح 23.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 589 زيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ضمن ح 3197.

3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 247-248 ب 139 ح 16219.

4- الكافي: ج 2 ص 339 باب الكذب ح 4.

5- بحار الأنوار: ج 69 ص 248 ب 114 ح 10.

6- الكافي: ج 2 ص 340 باب الكذب ح 10.

7- مستدرک الوسائل: ج 9 ص 88 ب 120 ح 10297.

8- جامع الأخبار: ص 148 الفصل الحادي عشر والمائة في الصدق والكذب.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»⁽¹⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر»⁽²⁾.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً، قال: نعم، قيل: ويكون كذاباً، قال: لا»⁽³⁾.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «أرْبَى الرِّبَا الكَذِبُ»⁽⁴⁾.

وقال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله): المؤمن يزني؟

قال (صلى الله عليه وآله): «قد يكون ذلك».

قال: المؤمن يسرق؟

قال (صلى الله عليه وآله): «قد يكون ذلك».

قال: يا رسول الله المؤمن يكذب؟

قال: «لا، قال الله تعالى:

«إِنَّمَا يُفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

ص: 37

1- الخصال: ج 1 ص 254 باب الأربعة ح 129.

2- الكافي: ج 2 ص 339 باب الكذب ح 5.

3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 245-246 ب 138 ح 16214.

4- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 377 باب النوادر ح 5780.

5- سورة النحل: 105.

6- مستدرک الوسائل: ج 9 ص 86 ب 120 ح 10289.

.....

مما يجب إعلام الناس به

مسألة: يستحب أو يجب إعلام الناس بأن الذي سُمي بالخليفة! قد خالف كتاب الله وجاء بشيء فري (افتراء وكذب)، كما صرحت (سلام الله عليها) بذلك، فإنه قد يستحب بيان ذلك وقد يجب، كل في محله، حسب القوانين العامة الأولية.

قولها (عليها السلام): (لقد جئت شيئاً فرياً)، أي: أمراً عظيماً منكراً، ولعله اقتباس من قوله سبحانه حيث حكى قصة قوم عيسى (عليه السلام) لمريم (عليها السلام): «لقد جئت شيئاً فرياً»⁽¹⁾.

ص: 38

1- سورة مريم: 27.

التعمد في الأمر

مسألة: إن ترك القوم لكتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم كان عن عمد وعلم وينبغي بيان ذلك، فإن عدل الاستفهام في قولها (عليها السلام): (أفعلى عمد تركتم) محذوف (1)، لأن المقصود هو أنهم فعلوا ذلك عمداً، فحذف العدل لإفادة أن هذا العدل المذكور هو الواقع وهو المراد والمقصود دون غيره.

ومن البلاغة حذف العدل، مثل قوله سبحانه وتعالى: «أمن هو قانت آناء الليل» (2)، وما أشبه مما ذكره في باب الاستفهام (3).

والنبذ وراء الظهر: كناية عن عدم العمل.

وقد وردت روايات في ذم من نسي سورة فكيف بمن ترك العمل بالقرآن.

عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) في حديث المناهي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ألا ومن تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلط الله عليه بكل آية منها حية تكون قرينه إلى النار إلا أن يغفر له» (4).

ص: 39

1- أي أعلى عمد تركتم أم عن سهو وجهل؟

2- سورة الزمر: 9.

3- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

4- وسائل الشيعة: ج6 ص196 ب12 ح7715.

.....
وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم»(1).

وعن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك، إني كنت قرأت القرآن ففلت مني فادع الله عزوجل أن يعلمني، قال: فكانه فرع لذلك فقال: «علمك الله هو وإيانا جميعا» قال: ونحن نحو من عشرة ثم قال: «السورة تكون مع الرجل قد قرأها ثم تركها فتأتيه يوم القيامة في أحسن صورة وتسلم عليه، فيقول: من أنت فتقول أنا سورة كذا وكذا فلو أنك تمسكت بي وأخذت بي لأنزلتلك هذه الدرجة فعليكم بالقرآن»(2).

وفي رواية أخرى عن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن عليّ دينا كثيرا وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلّت مني، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «القرآن القرآن إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة يعني في الجنة فتقول: لو حفظتني لبلغت بك هاهنا»(3).

وعن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن الرجل إذا كان يعلم السورة ثم نسيها أو تركها ودخل الجنة أشرفت عليه من فوق في أحسن صورة فتقول: تعرفني، فيقول: لا، فتقول: أنا سورة كذا وكذا لم تعمل بي وتركنتي أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة وأشارت بيدها إلى

ص: 40

-
- 1- مستدرک الوسائل: ج4 ص263 ب11 ح4653.
 - 2- الكافي: ج2 ص607 باب من حفظ القرآن ثم نسيه، ضمن ح1.
 - 3- وسائل الشيعة: ج6 ص194 ب12 ح7710.

.....
فوقها»(1).

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لي، فتقول: أما تعرفني، أنا سورة كذا وكذا لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان»(2).

الساكت على الظلم

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) أن الساكت في المقام تارك لكتاب الله أيضاً، فالذي يسكت عن جور الجائر وظلمه وتخطيه أوامر القرآن ونواهيه، هو من مصاديق التارك للعمل بالكتاب، بل من مصاديق الضارب به عرض الحائط والنابذ له وراء ظهره، وذلك بدليل توجيهها الخطاب للجميع: (أفعلى عمد تركتم) رغم أن الغاصب المباشر كان الخليفة ومن مثله، والأكثر ربما لم يشاركوا بقول أو فعل، بل بمجرد السكوت وعدم الردع.

بل خطابها (عليها السلام) قد يشمل حتى من شارك في النهي عن هذا المنكر قولاً أو عملاً لكنه ليس بالقدر الواجب، إذ النهي القولي والعملي على درجات - شدة وضعفاً - وله زيادة ونقصان كماً.

ص: 41

1- الكافي: ج 2 ص 608 باب من حفظ القرآن ثم نسيه ح 4.

2- المحاسن: ج 1 ص 96 ب 22 ح 57.

قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»(1).

وقال سبحانه: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(2).

وقال عز وجل: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»(3).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: «وليفعل الخير ما استطاع»(4).

وفي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر: «أمره بتقوى الله... وبالإينصاف للمظلوم وبالشددة على الظالم»(5).

ص: 42

1- سورة الأنفال: 60.

2- سورة التغابن: 16.

3- سورة البقرة: 286.

4- راجع الكافي: ج 3 ص 417 باب التَّزْيِينِ يوم الجمعة، ضمن ح 1.

5- بحار الأنوار: ج 33 ص 540 ب 30 ح 720.

إذ يقول: «وورث سليمان داود»⁽¹⁾، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: «فهب لي من لدنك ولياً* يرثني ويرث من آل يعقوب»⁽²⁾ وقال: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»⁽³⁾، وقال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»⁽⁴⁾ وقال: «إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين»⁽⁵⁾.

تراكم الأدلة

مسألة: من مصاديق الحكمة: استخدام أسلوب (تراكم الأدلة) والالتجاء إلى عدد منها بل إلى التكرار منها، كما صنعت (سلام الله عليها)، ولذلك ولغيره فإن من المستحب ذكر عدة أدلة والاستناد إلى آيات مختلفة لإثبات الحق كما ذكرت (عليها السلام) خمساً من الآيات في هذا المقطع من الخطبة الشريفة.

وذلك لسد ذريعة المبطل.

إذ من الممكن أن يناقش البعض في بعض الأدلة، فإذا كانت هنالك أدلة كثيرة فإنه لا يمكن عادة المناقشة في جميعها، إضافة إلى أن غير المعاند أيضاً قد لا يقنعه دليل واحد قناعة تامة فيعضده الدليل الآخر.

ص: 43

- 1- سورة النمل: 16.
- 2- سورة مريم: 5 - 6.
- 3- سورة الأنفال: 75، وسورة الأحزاب: 6.
- 4- سورة النساء: 11.
- 5- سورة البقرة: 180.

ثم إن تعدد الأدلة نافع من الناحية الكيفية أيضاً بلحاظ كون الإيمان والعلم على المراتب والدرجات كما لا يخفى.

وقد يكون ذلك واجباً إذا توقف بيان الحق الواجب عليه (1).

عند نقل الآيات الشريفة

مسألة: يجوز عند نقل مقاطع من آيات القرآن الحكيم، إسناد القول إلى الله تعالى وإسناده إلى القائل - فيما كان قولاً لقائل - إلا إذا كان موهماً (2) أو إهانة عرفاً أو ما أشبهه.

والأرجح أن يسند القول لقائله بعد إسناده لله تعالى كما فعلت (صلوات الله عليها)، فإنه وإن كان من الصحيح أن تقول: «وقال» بدون إضافة «فيما اقتص من خبر يحيى»، إلا - أن كون الآيات نقلاً يجعل الأفضل ذكر أنه قول لقائل، لا أنه كلام ابتدائي من الله كما في مثل «وورث سليمان داود» (3) وما أشبهه، وهذا نوع من البلاغة الرفيعة حيث إنها تقتضي أنواعاً من التنفن في الكلام مضافاً إلى دقة المعنى.

ص: 44

1- انظر نماذج من ذلك في كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي (رحمة الله).

2- فلا يصح مثلاً أن يقول: (قال الله تعالى «هؤلاء بناتي»!).

3- سورة النمل: 16.

فلسفة الإرث

مسألة: تدل هذه الآيات الكريمة على مجموعة من الأحكام في الأحوال الشخصية وغيرها، ومنها أن الأنبياء (عليهم السلام) يورثون، وهي تكشف عن جوانب تاريخية أيضاً.

كما أن استدلالها بالآيات الكريمة يتضمن الإشارة إلى فلسفة تشريع الإرث، وإرثها هي (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، إذ «أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»⁽¹⁾، فكما أن هنالك أولوية تكوينية بينهم، كذلك كان التشريع، ولذلك قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا»⁽²⁾.

وقال سبحانه: «وأندر عشيرتك الأقربين»⁽³⁾.

وقال تعالى: «وبالوالدين إحسانا»⁽⁴⁾...

فكان الكتاب التشريعي مطابقاً مع الكتاب التكويني، فهو إذن ينبع عن مصلحة واقعية نفس أمرية⁽⁵⁾ فلم يكن إرثها (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و آله) محاباة أو

ص: 45

1- سورة الأنفال: 75.

2- سورة التحريم: 6.

3- سورة الشعراء: 214.

4- سورة النساء: 36.

5- وستأتي إضافة توضيحية من الإمام المؤلف (قدس سره) لفلسفة الإرث بعد قليل.

استثناء، بل هو مقتضى التشريع ومقتضى التكوين وهو مقتضى الوصية الإلهية: «يوصيكم الله»(1).

فمطالبتها بالإرث إذن ليست مطالبة مادية فحسب، بل هي امثال لوصية الله جل وعلا، وهي متطابقة مع سنة الأنبياء (عليهم السلام) ومع دعواتهم ربهم، إذ يقول يحيى (عليه السلام): «فهب لي من لدنك ولياً* يرثني ويرث من آل يعقوب»(2).

والظاهر أن المراد بقوله: «وآل يعقوب» يعقوب وآله، كما هو متعارف في التعبير، مثل قوله تعالى: «وأغرقنا آل فرعون»(3) وقوله سبحانه: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ»(4) حيث المراد فرعون وآله، وكقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ»(5) حيث يراد إبراهيم وآله، وعمران وآله (عليهم السلام) إلى غير ذلك، نعم إذا كانت هنالك قرينة أو اجتماعاً معاً يكون الآل غير ذي الآل مثل قولنا: (اللهم صل على محمد وآل محمد) وما أشبه ذلك.

قولها (عليها السلام): «إذ يقول: «ورث سليمان داود»(6)»، فإن ظاهر الإرث هو المادي لا المعنوي، فلا يصح القول بأن المراد: أن سليمان (عليه السلام) ورث داود (عليه السلام) النبوة من دون قرينة، فإن الإرث المعنوي مجاز يحتاج للقرينة، ثم إنه غير

ص: 46

- 1- سورة النساء: 11.
- 2- سورة مريم: 5-6.
- 3- سورة البقرة: 50.
- 4- سورة القمر: 41.
- 5- سورة آل عمران: 33.
- 6- سورة النمل: 16.

تام في المقام إذ كان سليمان (عليه السلام) نبياً زمن داود (عليه السلام)، قال تعالى: «ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً»(1).

وحيث كان من المحتمل أن يستشكل البعض بذلك بالنسبة إلى هذه الآية المباركة جاءت (عليها الصلاة والسلام) بآيات أخر تأكيداً لدفع الشبهة، وإن كانت تلك الآية بمفردها كافية إذ الشبهة واهية إلى أقصى درجة.

قولها (عليها السلام): «وقال - فيما اقتص من خبر زكريا - إذ قال: «فهب لي من لدنك ولياً* يرثني ويرث من آل يعقوب»(2) فإن المراد إرث الأموال دون النبوة، لأن النبوة لا تورث، مضافاً إلى أن الاستعمال الحقيقي للإرث هو في المال وما عداه مجاز وهو بحاجة إلى الدليل، هذا بالإضافة إلى استشهادها (عليها السلام) بالآية المباركة في خصوص إرث الأموال وهي الصديقة المعصومة وكلامها حجة.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لم يكن لزكريا يومئذ ولد يقوم مقامه ويرثه وكانت هدايا بني إسرائيل وندورهم للأحبار وكان زكريا رئيساً للأحبار وكانت امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان، وبنو ماثان إذا ذك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود فقال زكريا: «فهب لي من لدنك ولياً* يرثني ويرث من آل يعقوب»(3)»(4).

ص: 47

1- سورة الأنبياء: 79.

2- سورة مريم: 5-6.

3- سورة مريم: 5-6.

4- تفسير القمي: ج 2 ص 48 سورة مريم.

شبهة وإجابة

لا يقال: آية فضيلة لأن يطلب الإنسان من الله سبحانه وتعالى وارثاً في الماديات، فاللازم أن يراد بهذه الآية المعنويات؟

لأنه يقال:

أولاً: إن المقام من السالبة بانتفاء الموضوع.

وثانياً: الفضيلة هي امتداد ذرية الإنسان فلا يكون أتر، والتناسل هو مما تدعو إليه الفطرة والعقل والشرع، وبه حفظ النوع وقوامه، إضافة إلى أن (الإرث) من أهم عوامل دوام وتماسك وتفاعل (الأسرة)، و(الأسرة) هي اللبنة الأساسية الأولى في تكوين المجتمعات الإنسانية، وبتحطمها أو ضعفها تتحطم أو تضعف المجتمعات وتتفكك الأسر، وهو من أهم أمراض الغرب كما تنبه إلى ذلك علماءهم (1).

وعلى هذا فالإرث أيضاً فضيلة فإنه نابع عن مصلحة واقعية، وهو بعض جزاء الإنسان وهو نتيجة سعيه كما أوضحنا ذلك في (الفقه: الاقتصاد) (2) عند البحث عن الآية الشريفة «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» (3) بعقديها السلبي والإيجابي، وهو أيضاً من عوامل تداوم وتكامل العائلة، ولعل لذلك كان طلب

ص: 48

1- راجع كتاب (الغرب يتغير) و(الفقه: العولمة) للإمام المؤلف (رحمة الله).

2- راجع موسوعة الفقه: ج 107 وج 108 كتاب الاقتصاد.

3- سورة النجم: 39.

زكريا (عليه السلام) - وهو نبي في أقصى درجة من الحكمة والعلم - «فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب» (1).

قولها (عليها السلام): «وقال: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (2)» فإنها (عليها السلام) لما استدلت بالآيتين السابقتين في خصوص الأنبياء (عليهم السلام)، أخذت تستدل بالآيات العامة حيث تشملها (عليها الصلاة والسلام) أيضاً بعمومها.

والاستدلال يأتي سليمان (عليه السلام) وزكريا (عليه السلام) أفاد أيضاً الرد على ما زعموه من الحديث المجعول: (نحن نعاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) فهو معارض للقرآن بصراحة.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» (3).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «قرأت في كتاب علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: سيكذب عليّ كما كذب علي من كان قبلي، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي، وأما ما خالف كتاب الله فليس من حديثي» (4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله

ص: 49

1- سورة مريم: 5-6.

2- سورة الأنفال: 75.

3- الكافي: ج 1 ص 69 باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح 1.

4- بحار الأنوار: ج 2 ص 227 ب 29 ح 5.

قولها (عليها السلام): «وقال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»(2)»، هذا في الأولاد والإناث فإن الأنثى قد ترث أكثر من الذكر، وقد ترث مساوياً للذكر، وقد ترث أقل من الذكر، والحكم في الآية عن الأولاد حيث قال سبحانه: «في أولادكم»(3) ومعهم ترث الأنثى نصف ما يرثه الذكر.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى عموم القاعدة في الرجل والمرأة، فإن الأحكام والتكاليف الإسلامية عامة للجميع، وبالتساوي - كما سبق - إلا في موارد الاستثناء، مثل: كون إرثها نصف الإرث في الجملة، وديتها نصف الدية كذلك، وشهادتها نصف الشهادة في بعض الموارد، وإلا فقد ذكرنا في «الفقه»: إن إرثها أحياناً أكثر من إرث الرجل، وديتها أكثر من دية الرجل، كما في قتل الرجل الذمي على المشهور في ديته، وشهادتها أكثر من شهادة الرجل كما في الوصية حيث إن الشاهدة الواحدة توجب ربع الوصية، وليس كذلك الرجل، على المشهور.

قولها (عليها السلام): «وقال: «إن ترك خيراً» الآية(4)»، المراد بالخير: (المال) كما في التفاسير وغيرها(5)، فإنه خير ومن هنا وردت روايات تدل على استحباب

ص: 50

1- وسائل الشيعة: ج 27 ص 118 ب 9 ح 33362.

2- سورة النساء: 11.

3- سورة النساء: 11.

4- سورة البقرة: 180.

5- انظر بحار الأنوار: ج 69 ص 32 ب 94.

.....
الغنى وكراهة الفقر.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نعم العون على تقوى الله الغنى»(1).

وقال (عليه السلام): «نعم المال الصالح للعبد الصالح ونعم العون الدنيا على الآخرة»(2).

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مات عقبة بن عامر الجهني وترك خيراً كثيراً من أموال ومواش وعبيد...»(3). وفي الحديث: عن شعيب العقرقوفي قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) شيء يروى عن أبي ذر (رحمة الله) أنه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبها، أحب الموت وأحب الفقر وأحب البلاء، فقال (عليه السلام): «إن هذا ليس على ما يرون إنما عنى الموت في طاعة الله أحب إليّ من الحياة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحب إليّ من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحب إليّ من الصحة في معصية الله»(4) ومن هذا الحديث يعرف وجه الجمع بين روايات مدح الفقر وذمه.

أما حديث «أكثر أهل الجنة الفقراء» فقالوا هذا إخبار عن الواقع كما يقال أكثر أهل الدين الفقراء.

قال (عليه السلام): «الفقر هو الموت الأكبر»(5).

ص: 51

1- من لا يحضره الفقيه: ج3 ص156 باب المعاش والمكاسب ح3570.

2- بحار الأنوار: ج70 ص62 ب122 ح30.

3- بحار الأنوار: ج101 ص319 ب3 ح30.

4- معاني الأخبار: ص165 باب معنى قول أبي ذر (رحمة الله عليه)... ح1.

5- الاختصاص: ص226 حديث في زيارة المؤمن لله.

وفي وصية لقمان لابنه: «... ذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمر منالفقر»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ما أقبح الفقر بعد الغنى»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «كاد الفقر أن يكون كفراً»(3).

وفي الدعاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): «وأعوذ بك من الفقر والوقر»(4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «القبر خير من الفقر»(5).

قوله تعالى: «حقاً على المتقين»(6) أي: حق على المؤمنين الذين يخافون الله ويعملون بأوامره أن يوصوا بتنفيذ أوامر الله سبحانه في الإرث بالنسبة إلى الوالدين والأقربين، كما قال تعالى في المطلقات: «وللمطلقات متاع بالمعروفحَقاً على المتقين»(7).

و«الأقربين» وإن كان شاملاً للوالدين أيضاً، إلا أن ذكرهم من باب الأهمية في الآية المباركة ذكراً للعام بعد الخاص.

ولا يخفى أنه يستفاد من هذا المقطع من كلامها (عليها السلام) واستدلالاتها أحكام

ص: 52

1- الأماي للصدوق: ص 668-669 المجلس الخامس والتسعون ضمن ح 5.

2- الكافي: ج 2 ص 84 باب العبادة ضمن ح 6.

3- الكافي: ج 2 ص 307 باب الحسد ضمن ح 4.

4- مكارم الأخلاق: ص 280 ب 10 ف 2 دعاء في كل صباح ومساء.

5- مستدرک الوسائل: ج 13 ص 20 ب 6 ح 14617.

6- سورة البقرة: 180.

7- سورة البقرة: 241.

.....
عديدة قد أشرنا إلى بعضها:

الأول: حرمة اتباع أحكام الجاهلية، قال تعالى: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»⁽¹⁾.

الثاني: حرمة التفرقة بين مسلم ومسلم ممن يجعلهم الله سبحانه وتعالى تحت حكم عام، قال (عليه السلام): «الناس إلى آدم شرع سواء»⁽²⁾.

الثالث: حرمة عدم العمل بأحكام القرآن حيث قالت (عليها السلام): (أفعلى عمد... الخ، قال سبحانه: «ومنلم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»⁽³⁾.

الرابع: وجوب العمل بموازين الإرث كما قرره الله سبحانه وتعالى.

إلى غيرها من الأحكام.

ص: 53

1- سورة المائدة: 50.

2- أمالي الشيخ الصدوق: ص 240 المجلس 42 ضمن ح 9، وتحف العقول: ص 217 باب ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

3- سورة المائدة: 47.

وزعمتم: أن لا حظوة (1) لي، ولا أرث من أبي (2).

المطالبة بالإرث

مسائل: يجوز للمرأة المطالبة بإرثها، ويجوز لها «الجهر بالسوء من القول» (3) على من غصبها أرثها، لقوله تعالى: «إلا من ظلم» (4).

ويجوز لها تشكيل تجمع وقوى ضغط لاستحصال إرثها.

ويجوز لها كل ذلك دفاعاً عن غيرها ممن حرمن من الميراث.

والجواز هنا بالمعنى الأعم، إذ قد يجب ذلك إذا توقف حق واجب عليه، أو إذا كانت المعارضة مع محاولة إلغاء الحكم الإلهي بحقها في الإرث.

والجواب في مورد، ليس خاصاً بالنساء، بل الرجال أيضاً كذلك، فإنه قسم من المطالبة بالحق الواجب، إرثاً أو غير إرث، امرأة أو رجلاً.

وفي الحديث: سئل (عليه السلام) عن رجل قبض صداق بنته من زوجها ثم مات، هل لها أن تطالب زوجها بصداقها، أو قبض أبيها قبضها؟

فقال (عليه السلام): «إن كانت وكلته بقبض صداقها من زوجها فليس لها أن تطالبه، وإن لم تكن وكلته فلها ذلك، ويرجع الزوج على ورثة أبيها بذلك، إلا

ص: 54

1- وفي بعض النسخ: (لا حظوة لي) أي المكانة والمنزلة، يقال حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من قلبه، وفي بعض النسخ: (لاحظ لي).

2- وفي بعض النسخ: أبيه، والهاء للسكت.

3- سورة النساء: 148.

4- سورة النساء: 148.

.....
أن تكون صبيبة في حجره فيجوز لأبيها أن يقبض عنها»(1).

حرمة القول بالباطل

مسألة: يحرم القول بعدم الحظوة لها (صلوات الله عليها).

كما يحرم مطلق القول بالباطل، والمقام من مصاديق ذلك وإن كانت الحرمة أشد فيه، قال (عليه السلام): «فأما الحكم بالباطل فهو كفر»(2). وقال (عليه السلام): «لا خير في الصمت عن الحكمة، كما أنه لا خير في القول بالباطل»(3).

ولعل ذكرها (الحظوة) حتى تشمل (النحلة) أيضاً كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

ثم إن الحق والصواب هو في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) والباطل في غيرهم.

عن بدر بن الوليد الخثعمي قال: دخل يحيى بن سابور على أبي عبد الله (عليه السلام) ليودعه فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «أما والله أنكم لعلى الحق، وإن من خالفكم لعلى غير الحق، والله ما أشك لكم في الجنة، وإني لأرجو أن يقر الله لأعينكم عن قريب»(4).

ص: 55

1- فقه القرآن: ج 1 ص 390 باب الوكالة.

2- دعائم الإسلام: ج 2 ص 532 كتاب آداب القضاة ضمن ح 1891.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 60 ف 6 متفرقات ح 643.

4- الكافي: ج 8 ص 145 حديث محاسبة النفس ح 119.

.....

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا والصواب من قبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذا أصابوا» (1).

حرمة القول بعدم إرثها (عليها السلام)

مسألة: يحرم القول بعدم إرثها (صلوات الله عليها) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنه خلاف الكتاب والسنة والإجماع والعقل، نعم لا إجماع من العامة على ذلك، وإنما الإجماع من الشيعة، وهو كاف من جهة الكاشفية عن رأي المعصوم (عليه السلام)، ولمطابقتها الكتاب والسنة والعقل، ولا حتفاه بالقرائن القطعية.

كما أن الأدلة الأربعة تدل على حرمة إبقاء فذك في أيدي غير المستحقين لها، وعلى ذلك فيلزم السعي لاستنقاده منهم، إحقاقاً للحق وإرجاعاً له إلى أهله، وهو واجب كفائي، نعم ترك أمير المؤمنين (عليه السلام) فذك لما ولي الناس لأمر أهم، مضافاً إلى كونه (عليه السلام) صاحب الحق وله ذلك، ففي الحديث عن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت له: لأي علة ترك علي بن أبي طالب (عليه السلام) فذك لما ولي الناس؟

فقال (عليه السلام): «للاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فتح مكة» حيث لم يسترجع

ص: 56

داره، وقال (صلى الله عليه وآله): «إنا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدك لما ولي»⁽¹⁾.

وفي حديث آخر: عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن أمير المؤمنين لم يسترجع فدكاً لما ولي الناس؟ فقال: «لأننا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو»⁽²⁾ ونحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا»⁽³⁾.

وفي شرح النهج: «قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية.. وهل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي (عليه السلام) بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي (عليهما السلام) وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته»⁽⁴⁾.

ص: 57

-
- 1- راجع علل الشرائع: ج 1 ص 155 ب 124 ضمن ح 2.
 - 2- أي الله عزوجل، وفي بعض النسخ: لا يأخذ حقوقنا...
 - 3- علل الشرائع: ج 1 ص 155 ب 124 ح 3.
 - 4- شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 236-237.

منع النساء من الإرث

مسألة: يحرم منع البنت من الإرث بل منع كل أنثى من حقها فيه، بل من حقها مطلقاً، وكذلك منع كل أحد من إرثه ومن حقه مطلقاً قال (عليه السلام): «لثلاث يتوى حق امرئ مسلم»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «لا يصلح ذهاب حق امرئ مسلم»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «لا يبطل حق امرئ مسلم»⁽³⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «اليمين الغموس التي توجب النار: الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله»⁽⁴⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من حبس حق امرئ مسلم وهو يقدر علياًن يعطيه إياه، مخافة من أنه إن خرج ذلك الحق من يده أن يفتقر كان الله عز وجل أقدر على أن يفقره منه على أن يغني نفسه بحبسه ذلك الحق»⁽⁵⁾.

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر، وفي

ص: 58

1- راجع غوالي اللآلي: ج 1 ص 315 ب 1 المسلك الأول ضمن ح 36.

2- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 253 ب 91 ضمن ح 59.

3- وسائل الشيعة: ج 29 ص 89 ب 35 ضمن ح 35223.

4- الكافي: ج 7 ص 436 باب اليمين الكاذبة ح 8.

5- من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 184 باب الدين والقرض ح 3691.

وجهه كدوح يعرفه الخلائق باسمه ونسبه، ومن شهد شهادة حق ليحيى بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد بصر، يعرفه الخلائق باسمه ونسبه» الحديث(1).

والمنع عن الإرث حكماً وموضوعاً، غير جائز شرعاً، فلا يجوز القول بذلك ولا العمل به، ولا يحق للدولة - ولا لأية جهة - أن تسن قانوناً تمنع بموجبه إرث الأرحام من بعضهم، كلاً أو جزءاً، كمصادرة بعض الإرث باسم الضرائب، كما لا يحق لها سن قانون يلغي قاعدة حيازة المباحات أو يمنع وقف من يشاء لما يشاء من ممتلكاته وهكذا.

ثم إن الزيادة والتقيصة في الإرث محرم كذلك، قولاً وعملاً، وقد ذكرنا في (الفقه) أن الإرث حكم وليس حقاً، فلا يحق للمورث أن يمنع إرثه عن الوارث، كما لا يحق للوارث أن لا يقبل الإرث حكماً، وإن جاز له أن يتركه بالإعراض موضوعاً، فإن للإنسان أن يعرض عن ماله.

وقد ذكرنا في (الفقه)(2) أيضاً أن الإعراض مسقط للحق، كما أن حيازة المباحات بإثبات اليد عليها مثبت له.

قولها (عليها السلام): «وزعمتم أن لا حظوة لي». الحظوة عبارة عن: المكانة والمنزلة والحظ، وكأنها (عليها الصلاة والسلام) أرادت بذلك نفي قولهم: إن فدك ليس نحلة لها، أي: أنتم من تزعمون أن فدك ليست نحلة لي استناداً إلى عدم (حظوة) لي عنده (صلى الله عليه وآله).

ص: 59

1- الأمامي للشيخ الصدوق: ص 482 المجلس 73 ح 4.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قاعدة (الإعراض والانعراض).

قولها (عليها السلام): (ولا أرث من أبي)، أي زعمتم أنني لا أرث من أبي (صلى الله عليه وآله) فدكا؟

ففي هاتين الجملتين ردت (عليها الصلاة والسلام) كلا الدعويين حتى إذا لم يقبلوا الدعوى الأولى منهما وهي: النحلة بدعوى من الشهود وشبهها، فلا مناص من قبولهم الدعوى الثانية: بأنها إرث، إذ كانت فدك ملكاً خاصاً للرسول (صلى الله عليه وآله) دون شك فهو - إن لم يهبها في حياته للزهاء (عليها السلام) حسب زعمهم - فلا بد أن تكون إرثاً لها بعد وفاته، فالقضية مانعة الخلو على الاصطلاح المنطقي.

وقد كان من الشوائب ومن مطباتها: أنهم هكذا نسبوا الحديث إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه قال: (نحن معاشر الأنبياء) ولو كان اختراعهم للحديث بهذه الصورة (أنا لا أورث) لكان يتسوغ ردهم بالآيات العامة فقط دون الآيات الخاصة بالأنبياء، اللهم إلا بضميمة قرينة، فزادوا على أنفسهم المشكلة وفتحوا المجال لورود كلا الإشكاليين هنا.

المراحل السبعة

ومجمل الكلام: أن الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) احتجت عليهم في قصة فدك بسبع مراحل أو أكثر:

1: مرحلة: النحلة. 2: مرحلة: دعواهم أنه لا إرث للأنبياء (عليهم السلام).

3: مرحلة: عمومات الإرث الشاملة لها (عليها السلام).

4: مرحلة: الاعتراض باستبطان كلامهم - بأحد وجوهه - أنه لا رحم بينها وبين أبيها.

5: مرحلة: دعواهم أن أباه (صلوات الله عليه) خارج عن عمومات الإرث في القرآن الحكيم.

6: مرحلة: ما يعرف بالدلالة الالتزامية لكلامهم بكونهم أعلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) (1) يعني: أن أباه (صلى الله عليه وآله) لم يقل باستثناء نفسه الشريفة عن العمومات، لكنهم كانوا أعلم! ولهذا أخرجوا الرسول (صلى الله عليه وآله) عن عمومات القرآن.

7: مرحلة: استبطان كلامهم - بوجه آخر - : أنها (عليها السلام) ووالدها (صلى الله عليه وآله) من أهل ملتين لا يرث بعضهما من بعض. وكل ذلك مخالف للكتاب والتاريخ والقواعد الفقهية والعقل والإجماع، وقد ردت بحجج عقلية ومنطقية وقرآنية.

ص: 61

1- الفرق بين هذا وسابقه: أن هذا إشارة لمرحلة الإثبات وذلك لمرحلة الثبوت، أو أن ذلك هو الملزوم وهذا اللازم.

نفي الرحم وإثباتها

مسألة: يحرم الاعتقاد بعدم الرحم بين الرسول (صلى الله عليه وآله) وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، كما يحرم نفي الرحم عن الرحم مطلقاً، ومن مصاديقه نفي رحمة السبط كما قال شاعرهم:

بنونا بنو أبناتنا، وبناتنا *** بنوهن أبناء الرجال الأبعد

كما أنه يحرم أيضاً إثبات الرحم لمن ليس له، وقد ورد اللعن لمن دخل في النسب أو خرج عن النسب.

وفي حديث الأصبغ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه...» الخبر (1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولى غير مواليه، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر» (2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا من دعى إلى غير أبيه فقد برئ الله منه» (3).

ص: 62

1- راجع الأمايلي للشيخ المفيد: ص 351-352 المجلس 42 ضمن ح 3.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 395-396 فصل في ذكر مناقب شتى وأحاديث متفرقة.

3- راجع الصراط المستقيم: ج 2 ص 93 ف 17 ضمن ح 13.

وقال (صلى الله عليه وآله): «لعن الله من انتمى إلى غير أبيه»⁽¹⁾.

ثم إن الحرمة ثابتة وإن لم يترتب أثر على الإثبات والنفي.

ولا يخفى أنهم لم ينفوا انتساب الزهراء (عليها السلام) إلى أبيها (صلى الله عليه وآله) وما كان بمقدورهم ذلك، وإنما ذكرت الزهراء (صلوات

الله عليها) لإتمام صور الاحتمالات النافية للإرث، ومن المعلوم أن هذا من أساليب الحوار والبلاغة، وقد ورد في القرآن الكريم: «وإنّ أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين»⁽²⁾ بل ورد حتى ما هو مستحيل الوقوع «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»⁽³⁾، إذ القضية الشرطية صادقة حتى مع استحالة المقدم.

ص: 63

1- راجع العمدة: ص 306 الفصل 36.

2- سورة سبأ: 24.

3- سورة الأنبياء: 22.

تخصيص الآيات دون مخصص

مسألة: يحرم تخصيص الآيات من دون مخصص، وكذلك تعميم الآيات في قبال التخصيص الموجود بدعوى القياس أو كشف الملاك الظني غير المعبر، وهكذا بالنسبة إلى الإطلاق والتقييد، فكل من الأربعة محرمة عملاً وقولاً، القول في الحكم والعمل في الموضوع الخارجي.

وما أكثر القول في هذه الأزمنة، بمخصصات للكتاب دون مخصص قرآني أو روائي، أو بمعممات له، أو حتى بنواسخ للكتاب! وذلك لمجرد استحسانات، أو تبعية لمد الحضارة الغربية، أو الأهواء النفسية، أو رغبات المستبدين من الحكام!.

وقد ورد عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام؟ فقال (عليه السلام): «حلال محمد (صلى الله عليه وآله) حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره» (1).

وهذا غير تبدل الحكم بتبدل موضوعه كما لا يخفى. وتفصيل البحث في العام والخاص، والمطلق والمقيد وما أشبه في (الأصول).

قولها (عليها السلام): «أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟» أي هل وردت آية خاصة بكم، أخرج الله بها أبي (صلى الله عليه وآله) من عموم أدلة الإرث؟

ص: 64

وبعبارة أخرى: هل نزلت عليكم آية لا نعرفها في القرآن الكريم، بها قلتم بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟

أحكام أهل ملتين

مسألة: يختلف حكم أهل ملتين عن أهل الملة الواحدة في الجملة، في الإرث وفي بعض الأحكام الأخرى(1)، ويختلف حكمهما مطلقاً في البعض الآخر.

فإن الكافر لا يرث من المسلم، أما المسلم فهو يرث من الكافر، كما لا يستبعد القول بإرث اليهودي من المسيحي، والمجوسي منهما، وهما من المجوسي، وما أشبه ذلك، إلا إذا حكّم قانون الإلزام في مورده، على تفصيل مذكور في (الفقه)(2).

قولها (عليها السلام): «أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان» المقصود في بعض الصغريات، لا الإطلاق، إذ ليس الكلام في مقام البيان من هذه الجهة كما هو واضح، فإن بعض أهل ملتين يتوارثان، فالمسلم يرث الكافر، دون العكس، كما هو مذكور في (الفقه)(3).

ص: 65

1- كالقصاص والدية والنكاح.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قانون الإلزام.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 82 كتاب الإرث.

قال في (دعائم الإسلام): وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: «المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، والكفار يتوارثون بينهم ويرث بعضهم بعضاً، فقليل له: فإن الناس يروون عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين»، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نرثهم ولا يرثوننا» قال: فجواب أبي عبد الله (عليه السلام) هذا هو تثبيت لقوله وما رواه الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأن قوله (صلى الله عليه وآله) «ولا يتوارث أهل ملتين» ليس بخلاف لما قاله أبو عبد الله (عليه السلام) «نرثهم ولا يرثوننا» لأن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يتوارث أهل ملتين معناه لا يرث هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، وكذلك قال أبو عبد الله (عليه السلام) إنما يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم، ومعنى يتوارث وتقديره في اللغة يتفاعل، ويتفاعل لا يكون إلا من فاعلين، لا يقال ذلك إذا فعله واحد دون واحد، لأنه إذا ضرب رجل رجلاً قيل: ضرب فلان فلاناً ولا يقال تضاربا حتى يضرب كل واحد منهما صاحبه (1).

ص: 66

مما يحرم الاعتقاد به

مسألة: يحرم الاعتقاد بأن الزهراء (سلام الله عليها) ليست مع الرسول (صلى الله عليه وآله) من ملة واحدة.. أو أنها (عليها السلام) لا تحذو حذوه (صلى الله عليه وآله) في كلي أو جزئي، أو أنها (عليها السلام) تقول بخلاف قوله (صلى الله عليه وآله) في أمر اعتقادي أو حكم فرعي، ومنه المقام.

وقد ذكرنا في البحث الآنف أنهم لم يقولوا بذلك، وإنما أرادت الزهراء (عليها السلام) أن تحصرهم في أطراف (منع الخلو) حتى تثبت عليهم الحجة أكثر فأكثر.

إضافة إلى أن هذا الكلام يتضمن التهويل عليهم، وإيضاح أن إنكارهم إرثها (عليها السلام) منه (صلى الله عليه وآله) في قوة إنكار بديهي من أوضح البديهيات، وهو: كونها (عليها السلام) وإياه (صلى الله عليه وآله) من أهل ملة واحدة. فلا مجال إذن لتلك الشبهة (1).

ص: 67

1- أي شبهة عدم الإرث.

لا اجتهاد مقابل النص

مسائل: يحرم الاجتهاد في مقابل النص، كما يحرم الاجتهاد في مقابل الظاهر الذي قال المعصوم (عليه السلام) بأن المراد به كذا - فإن مآل ذلك إلى النص - والمقام من هذا القبيل (1).

كما يحرم الاجتهاد في قبال المبهم أو المجمل الذي أوضح المعصوم (عليه السلام) المراد به فإنهما بلحاظه مبين.

قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ لُذُلًا مُّبِينًا» (2).

وقال سبحانه: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (3).

وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة قوله (عليه السلام): «يختار الله الإمام وليس لهم أن يختاروا» (4).

ص: 68

1- فإن عمومات الإرث مصداق الظاهر، لكنها (عليها السلام) صرحت بأن الآية باقية على عمومها فأضحت العمومات بذلك نصاً.

2- سورة الأحزاب: 36.

3- سورة القصص: 68.

4- تفسير القمي: ج2 ص143 سورة القصص.

وفي الحديث أن أنس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن معنى قوله: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» فقال: «إن الله عزوجل خلق آدم من طين كيف شاء، ثم قال: «وَيَخْتَارُ» إن الله تعالى اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب (عليه السلام) الوصي، ثم قال: «مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني اختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه، ثم قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» يعني الله منزه عما يشركون به كفار مكة، ثم قال: «وَرَبُّكَ يَعْلَمُ» يعني يا محمد «مَا تَكِنُّ صُدُورُهُمْ» من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك «وما يعلنون» بألسنتهم من الحبلك ولأهل بيتك»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «والله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كلُّ شيءٍ لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»(3).

ص: 69

1- الطرائف: ص 97 ما نزل من الآيات في شأن علي (عليه السلام) ح 136.

2- وسائل الشيعة: ج 27 ص 127 ب 10 ح 33391.

3- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 282 ب 7 ح 21353.

الاجتهاد وموارده

مسألة: وفيما عدا ذلك فإن الظواهر مما يمكن اختلاف الاجتهاد فيها بشروطه، وذلك جائز، بل يجب أحياناً، كما في الاجتهادات الفقهية المختلفة، سواء كان الحكم مستفاداً من الكتاب، أم السنة، أم الإجماع، أم العقل، مما يجدها المتتبع في المباحث الفقهية.

قال (عليه السلام): «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع» (1).

وقال (عليه السلام): «فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه» (2).

وقال (عليه السلام): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله» (3).

وقال (عليه السلام) في حديث طويل في رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث؛ قال: «ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله» (4).

ص: 70

1- وسائل الشيعة: ج 27 ص 62 ب ح 33202.

2- وسائل الشيعة: ج 27 ص 131 ب 10 ضمن ح 33401.

3- الاحتجاج: ج 2 ص 470 احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي (عليه السلام).

4- الكافي: ج 1 ص 67 باب اختلاف الحديث ضمن ح 10.

معاني الأعلمية

مسألة: (للأعلمية) هنا عدة معان:

1: الأعلم بمعنى الأكثر علماً والأوسع معرفة.

2: الأعلم بمعنى الأعمق علماً أو الأشد علماً، فإن العلم حقيقة تشكيكية ذات مراتب.

والمعنى الأول بلحاظ الكم، وهذا بلحاظ الكيف.

3: الأعلم بمعنى الأنفذ علماً، أي يستخدم الأعلم ويراد به العلم المنتج والنافذ والمثمر، أي العلم الذي يرتب عليه أثره، وقد قال بعض المفسرين بأن المراد من: «الله أعلم حيث يجعل رسالته»⁽¹⁾ هو هذا المعنى فعلمه نافذ، أي علم فجعل.

وقولها (عليها السلام): «أم أنتم أعلم...» يشمل المعنى الأول والثاني، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلياً أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلم من سائر الناس كيفاً وكمماً، أما الأنفذية فإنه وإن كان الأمر بحيث لو أرادوا لنفذ إلا أنه لا تلازم بين علمهما ونفوذهما، وذلك لأنه مقتضى دار الامتحان، قال تعالى: «إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر»⁽²⁾، وعلمهم (عليهم السلام) في قصة فذك وأنها ملكها (عليها السلام) من ذلك المقام.

ص: 71

1- سورة الأنعام: 124.

2- سورة الغاشية: 21 - 22.

الأعلم بالقرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل البيت المعصومين (عليهم السلام) أعلم الناس بالقرآن، وذلك من الواضحات، وقد دلت عليه الروايات المتواترة عند الفريقين.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قول الله جل شأنه: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» (1) قال: «ذاك وصي أخي سليمان بن داود». فقلت له: يا رسول الله فقول الله عز وجل: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» (2)؟

قال (صلى الله عليه وآله): «ذاك أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (3).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إنا أهل بيت عندنا معادل العلم وآثار النبوة وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس» (4).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «نحن الذين عندنا علم الكتاب» (5).

ص: 72

1- سورة النمل: 40.

2- سورة الرعد: 43.

3- الأماشي للشيوخ الصدوق: ص 564-565 المجلس 83 ح 3.

4- الاختصاص: ص 309 حديث في زيارة المؤمن لله.

5- المناقب: ج 4 ص 52 فصل في معجزاته (عليه السلام).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام): «السلام عليك يا من عنده علم الكتاب»(1).

شمولية علميتهما (عليهما السلام)

مسألة: علميتهما (عليهما السلام) بخصوص القرآن وعمومه في كلامها (عليها السلام) تشمل: العلم بوجود العام ووجود الخاص في الكتاب، والعلم بوجود العام فيه والخاص في غيره، والعكس، والعلم بعدم أحدهما، والمقام من قبيل الرابع(2).

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «كان علي صاحب حلال وحرام وعلم بالقرآن ونحن على منهاجه»(3).

وقال (عليه السلام): «إن الله فرض طاعتنا في كتابه.. ولنا كرائم القرآن.. إن الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه»(4). وقال (عليه السلام): «إن الله علّم نبيه (صلى الله عليه وآله) التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علماً (عليه السلام)»(5).

ص: 73

-
- 1- الإقبال: ص 609 فصل زيارة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ضريحه الشريف.
 - 2- فالعام - وهو إرث الأبناء من الآباء، أنبياء كانوا أم لا - موجود في الكتاب، ولا يوجد مخصص له، لا في الكتاب ولا في غيره.
 - 3- تفسير العياشي: ج 1 ص 15 علم الأئمة بالتأويل ح 5.
 - 4- تفسير العياشي: ج 1 ص 16 علم الأئمة بالتأويل ح 7.
 - 5- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 334 ب 13 ح 21512.

أهل البيت (عليهم السلام) هم المرجع

مسألة: يجب تقديم قول أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن وسائر الأحكام على قول غيرهم، فإن القرآن نزل في بيوتهم، وهم الأعلام كما في صريح الروايات الواردة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وهم (أهل الذكر) الذين أمر (الذكر) بسؤالهم⁽¹⁾، وقد قال (عليه السلام): «نحن أهل الذكر»⁽²⁾، وهم (أولوا الأمر) الذين قال فيهم تعالى: «ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»⁽³⁾.

كما يجب تقديم قولهم (عليهم السلام) مطلقاً في كل المجالات لعصمتهم (عليهم السلام).

فإن أقوال غيرهم - في تفسير القرآن - في مقابل أقوالهم (عليهم السلام) كالحجر في جنب الإنسان، وكالسراب في قبال عين الحياة، بل لا يجوز لغيرهم تفسير القرآن برأيهم.

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لرجل من أهل الكوفة وسأله عن شيء: «لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا ونزوله على جدي بالوحي والقرآن والعلم، فيستسقي الناس العلم من عندنا، فيهدونهم»⁽⁴⁾.

ص: 74

1- قال تعالى: «فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون». سورة النحل: 43، وسورة الأنبياء: 7.

2- الأمامي للشيخ الصدوق: ص 532 المجلس 79.

3- سورة النساء: 83.

4- تفسير العياشي: ج 1 ص 16 علم الأئمة بالتأويل ح 9.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقِي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يُؤجر فإن أخطأ كان إثمه عليه»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من فسر القرآن برأيه فقد افتري على الله كذباً، ومن أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض، وكل بدعة ضلالة سييلها إلى النار، قال عبد الرحمن بن سمرة: فقلت يا رسول الله أرشدني إلى النجاة، فقال (صلى الله عليه وآله): يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز به بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق عنده وجدته، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجا، ومن اهتدى به هداه...، يا ابن سمرة إن علياً مني، روحه من روحي وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإن منه إماما أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(3).

ص: 75

-
- 1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 116 ب 11 ح 4، والتوحيد: ص 68 ب 2 ح 23.
 - 2- جامع الأخبار: ص 49 الفصل الثالث والعشرون في القراءة.
 - 3- التحصين لابن طاووس: ص 625-626 ب 22.

قولها (عليها السلام): «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي»؟.

إنما ذكرت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله) لأن أعلمية الإمام (عليه السلام) كانت ثابتة حتى عندهم، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «أقضاكم علي»⁽¹⁾.

وقال: «أعلمكم علي»⁽²⁾.

وقال: «علي مع الحق والحق مع علي»⁽³⁾.

إلى عشرات من أمثال هذه التصريحات من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

بالإضافة إلى قول أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»⁽⁴⁾، كما في بعض

ص: 76

-
- 1- الفضائل: ص 138 في ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله)، والفصول المختارة: ص 135، والاحتجاج: ج 2 ص 391 احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام)، ونهج الحق: ص 236 من فضائله النفسانية، الأول الإيمان.
 - 2- الصراط المستقيم: ج 1 ص 230، الفصل العشرون.
 - 3- الخصال: ج 2 ص 559 احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) بمثل هذه الخصال على الناس يوم الشورى.
 - 4- وفي كشف الغمة: ج 1 ص 412 قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لحارث الهمداني: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول، صدقته وآدم (عليه السلام) بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصته يا حار، وخالصته وصنوه ووصيه ووليه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح من كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد..» الحديث، ومثله في تأويل الآيات الظاهرة: ص 626 سورة الواقعة، وإرشاد القلوب: ج 2 ص 297 في فضائله من طريق أهل البيت (عليهم السلام)، وبشارة المصطفى: ص 4 بشارة المصطفى لشيعته المرتضى.

الأحاديث. وإن كان المشهور: «كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف باب»⁽¹⁾.

ولا تعارض إذ العدد لا مفهوم له، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، إضافة إلى وضوح أن ذلك على سبيل المثال فلا يراد بالعدد الحصر بل الكثرة، وليس (الألف ألف) بحاصر، ولا مبالغة فيه، فإن ذلك هو مقتضى الأدلة العقلية والنقلية، منها قوله (صلى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعلي بابها»⁽²⁾ بلحاظ الإطلاق المعضود بالأدلة القطعية.

والعلوم لا تعد ولا تحصى والواضح أن «فوق كل ذي علم عليم»⁽³⁾ حتى بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه، كما يحكيه القرآن: «وقل رب زدني علماً»⁽⁴⁾، على سبيل اللامتناهي اللایقفي.

ص: 77

-
- 1- راجع الخصال: ج 2 ص 643 علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) ألف باب يفتح كل باب ألف باب ضمن ح 22.
 - 2- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص 345 المجلس 55، والتوحيد: ص 307 ب 43، والصراط المستقيم: ج 1 ص 144 ب 6 ف 8.
 - 3- سورة يوسف: 76.
 - 4- سورة طه: 114.

تهديد الظالم

مسألة: تهديد الظالم وإنذاره واجب في الجملة، للآيات والروايات والعقل، وهذا ما صنعه الصديقة الطاهرة (عليها السلام) في مواطن شتى من الخطبة الشريفة، ومنها هذا المقطع: «فدونكها..» وهو تهديد، أي خذها، مثل قول تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (1).

قال سبحانه: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ» (2).

وقال تعالى: «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» (3).

وقال سبحانه: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ» (4).

وقال تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» (5).

ص: 78

1- سورة فصلت: 40.

2- سورة الجاثية: 27.

3- سورة الزخرف: 39.

4- سورة هود: 39.

5- سورة الأعراف: 162.

وقال سبحانه: «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ»(1).

وقال تعالى: «وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ»(2).

وقال عزوجل: «وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً»(3).

وقال سبحانه: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»(4).

وقال تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ»(5).

وقال تعالى: «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسَّرْنَا تَبَعِيثُهَا يُلَاقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً»(6).

وروى الشيخ الصدوق (رحمة الله) في كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) في باب عقاب من ظلم:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»(7)

ص: 79

1- سورة البقرة: 165.

2- سورة الأعراف: 165.

3- سورة الكهف: 59.

4- سورة الشعراء: 227.

5- سورة إبراهيم: 42.

6- سورة الكهف: 29.

7- سورة الفجر: 14.

قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»(1).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «من ارتكب أحداً بظلم بعث الله عز وجل عليه من يظلمه بمثله أو على ولده أو على عقبه من بعده»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من عذر ظالماً بظلمه سأل الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»(3).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن في جهنم لجبالاً يقال له الصعداء، وإن في الصعداء لوادياً يقال له سقر، وإن في سقر لجباً يقال له ههب، كلما كشف غطاء ذلك الجب، ضج أهل النار من حره، ذلك منازل الجبارين»(4).

قولها (عليها السلام): «فدونكها مخطومة مرحولة» الضمير يعود لفدك، لأن فدك تستعمل مؤنثاً ومذكراً كأسامي البلدان مطلقاً، مثلاً: العراق وإيران ومصر والباكستان، فانها قد تؤنث وقد تذكر، كما أن طهران وبغداد وكراچي وما أشبه قد تؤنث وقد تذكر.

ومخطومة: من الخطام - بالكسر - وهو الحبل الذي يوضع في أنف البعير ليقاد به، حيث إنه يسهل قياد البعير بسبب ذلك الحبل الذي في أنفه.

والرحل في الناقة: كالسرج للفرس، ورحل البعير.. كمنع، بمعنى: شد على ظهره الرحل، فقد شبهت (عليها الصلاة والسلام) فدك في كونها تحت تصرف

ص: 80

1- ثواب الأعمال: ص 272 عقاب من ظلم.

2- بحار الأنوار: ج 72 ص 313 ب 79 ح 23.

3- الكافي: ج 2 ص 334 باب الظلم ح 18.

4- وسائل الشيعة: ج 15 ص 381 ب 59 ح 20806.

غاصبي الخلافة بحيث لا يعارضهم في أخذها أحد، بالناقاة المنقادة المهياة للركوب.

فقولها (عليها السلام): «دونكها مخطومة مرحولة» تشير إلى إخبار غيبي بالذي سيحدث، وأن غضب فذك سوف لا يواجه بمقاومة ومعارضة قوية، بل إنه سيسيطر عليها كما يسيطر الراكب على الجمل المخطومة المرحولة، وهذا الإخبار المستقبلي قد تحقق كما لا يخفى.

جزاء هذه المظلمة

مسألة: هل يستفاد من (تلقاك يوم حشرك...) أن جزاء هذه المظلمة لا يكون - بكامله - في الدنيا، عند الظهور، وبعد إحيائهما؟

وجهان:

من أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، والكلام ليس في مقام البيان من هذه الجهة.

ومن ظهور الكلام وعدم الدليل على جزاء كل عمل في الدنيا، بل الدليل على العدم، قال تعالى: «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى»⁽¹⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «يؤتى يوم القيامة بإبليس مع مفضل هذه الأمة في زمامين غلظهما مثل جبل أحد فيسحبان على وجوههما فينسد بهما باب من أبواب النار»⁽²⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ»⁽³⁾ قال: من زعم أنه إمام وليس بإمام»⁽⁴⁾.

ص: 82

1- سورة النجم: 41.

2- ثواب الأعمال: ص 208 عقاب الناصب والجاحد لأمر المؤمنين (عليه السلام).

3- سورة الزمر: 60.

4- عقاب الأعمال: ص 214 عقاب من ادعى الإمامة وليس بإمام.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر» (1).

وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا يونس من حبس حق المؤمن، أقامه الله عز وجل يوم القيامة خمسمائة عام على رجله حتى يسيل عرقه أو دمه، وينادي مناد من عند الله هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه فيوتخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار» (2).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن في جهنم رحى تطحن خمسا أفلا- تسألون ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين» (3).

ص: 83

1- الكافي: ج 1 ص 372 باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح 2.

2- وسائل الشيعة: ج 16 ص 388 ب 39 ح 21837.

3- الخصال: ج 1 ص 296 في جهنم رحى تطحن خمسة ح 65.

تجسم الأعمال

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (تلقاك) تجسم الأعمال، إذ المجاز خلاف الأصل، ومع الإمكان الثبوتي والظهور الإثباتي لا مجال للعدول عن الظاهر، والأدلة على تجسم الأعمال كثيرة، ومنها:

قوله سبحانه: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» (1) فما تجده هو نفس «مَّا عَمِلَتْ» وهذا غير آثاره أو جزائه وتفصيل الكلام في محله.

قال تعالى: «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ سُوءًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (2).

وقال سبحانه: «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (3).

وقال تعالى: «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (4).

وقال سبحانه: «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (5).

وقال تعالى: «يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

ص: 84

1- سورة آل عمران: 30.

2- سورة يس: 54.

3- سورة الجاثية: 28.

4- سور الصافات: 39.

5- سورة النمل: 90.

وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (1). قولها (عليها السلام): «تلقاك يوم حشرِك» بمعنى أن فذك تلقى غاصبها يوم الحشر بمظلمتها، فإن كل إنسان سرق من أحد شيئاً أو نهب أو ظلم أحداً يأتي يوم القيامة مع تلك الظلامة، كما في الأحاديث (2).

قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً إلا أن يتوب ويرجع» (3).

وإنما خصت يوم الحشر بالذكر مع أن الآثار تكون في القبر أيضاً، لأن يوم الحشر هو يوم «الجزء الأوفى» (4) مضافاً إلى اجتماع كل الخلائق وكل الناس ومعرفتهم المحق من المبطل، بينما في القبر لا يستكشف لجميع الناس عمل الإنسان عادة، وقد ذكرنا في بعض المواطن: أن الإنسان يرى عمل نفسه - أثراً وثمراً أو جزءاً - في أربعة مواضع أو أكثر، كلياً أو جزئياً: في دنياه وتاريخياً، في نفسه وسمعته وامتداده (5)، وفي قبره، وفي حشره، وفي المرحلة الأخيرة من الجنة أو النار «إن خيراً فخير أو شراً فشر» (6).

ص: 85

1- سورة العنكبوت: 55.

2- راجع كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال).

3- وسائل الشيعة: ج 25 ص 386 ب 1 ح 32188.

4- سورة النجم: 41.

5- الظاهر أن المراد ب- (الامتداد): الذرية وشبهها.

6- تفسير القمي: ج 1 ص 224 سورة الأعراف، وتأويل الآيات: ص 135 سورة النساء.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «في كتاب علي (عليه السلام): ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن...» الحديث (1).

حكم نهي المعاند

مسألة: يستحب - وقد يجب - تنبيه الخصم والظالم بيوم الحشر والقيامة والعذاب الأليم وإن كان عالماً بكل ذلك، لكن هل يستحب إن كان معانداً لا يرجي ارتداعه؟

ذكروا أن من شرائط الأمر المعروف والنهي عن المنكر احتمال التأثير، لكن هل هذا شرط الوجوب أو شرط مطلق الرجحان؟ قد يستظهر الأول لكن لزوم اللغوية قد يقتضي الثاني، فتأمل.

ولعل ما هو من قبيل «مَعَذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ» (2) وما قام به الأنبياء (عليهم السلام) وسيد الشهداء (عليه السلام) وغيرها يقتضي الرجحان، ويؤيد هذا ما سيأتي منها (صلوات الله عليها) حيث تقول: «ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضنة النفس... وتقدمة الحجة».

وما سبق من (وقد يجب) فيما إذا توقف واجب عليه، سواء كان واجباً

ص: 86

1- ثواب الأعمال: ص 220 عقاب البغي وقطيعة الرحم، والخصال: ج 1 ص 124 ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن ح 119.

2- سورة الأعراف: 164، وتام الآية: «وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

إيجابياً كما في موارد الأمر بالمعروف، أم واجباً سلبياً كما في موارد النهي عن المنكر، وهذا ليس خاصاً بتنبية الخصم والظالم، بل يعم كل موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما لا يخفى.

قولها (عليها السلام): «تلقاء يوم حشر» قد يكون إشارة إلى الحشر الخاص مضافاً إلى الحشر العام، قال تعالى: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ»⁽¹⁾.

وقال سبحانه: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا»⁽²⁾.

وقال عز وجل: «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ»⁽³⁾.

ص: 87

1- سورة فصلت: 19.

2- سورة طه: 102.

3- سورة النمل: 83.

الله الحاكم

مسألة: (الحَكَم) بقول مطلق هو الله عزوجل، لأنه العالم المطلق، والقادر المطلق، والعادل المطلق، وهو الذي يعلم بكل خصوصيات وشرائط وظروف المتخاصمين، وبكل خصوصيات الدعوى وتشابكاتها، وبالحكم الدقيق لكل صورة من الصور، وهو الذي يقدر على الفصل والبت في الخصومة، وعلى إرجاع الأمر إلى نصابه، وذلك هو مقتضى عدله، ولذلك كله كان عزوجل (نعم الحَكَم) كما قالت (عليها السلام)، ولأن الله سبحانه وتعالى لا تضيع عنده مظلمة لأحد ولو بمقدار مثقال ذرة، كما قال سبحانه: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (1).

وقال تعالى: «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (2).

وقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (3).

وقال تعالى: «ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (4).

ص: 88

1- سورة الزلزلة: 7 - 8.

2- سورة الحج: 69.

3- سورة الزمر: 3.

4- سورة الممتحنة: 10.

وقال سبحانه: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (1).

وقال تعالى: «فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» (2).

وفي الحديث: «قال إعرابي: يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال (صلي الله عليه وآله): الله عز وجل» (3).

وقد سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم في حالة واحدة؟ فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم في حالة واحدة» (4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم» (5).

وقال (عليه السلام): «اتقوا معاصي الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم» (6).

ص: 89

1- سورة النحل: 124.

2- سورة الأعراف: 87.

3- راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 9.

4- متشابه القرآن: ج 2 ص 110.

5- وسائل الشيعة: ج 15 ص 239 ب 19 ح 20378.

6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 185 ح 3518 ذم معصية الله.

التنبيه بحكّمية الله وزعامة النبي (صلي الله عليه وآله)

مسألة: يستحب تنبيه الخصم والظالم بأن الله هو الحَكَم والزعيم هو محمد (صلي الله عليه وآله)، وقد يجب ذلك، كما ذكرناه في البحث الآنف.

عن أبي سعيد قال: قال النبي (صلي الله عليه وآله): «من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه، ومن كنت أميره فعلي أميره، ومن كنت نذيره فعلي نذيره، ومن كنت هاديه فعلي هاديه، ومن كنت وسيلته إلى الله تعالى فعلي وسيلته إلى الله عز وجل، فالله سبحانه يحكم بينه وبين عدوه»(1).

وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال النبي (صلي الله عليه وآله): «تحشر ابنتي فاطمة (عليها السلام) يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول: يا أحكم الحاكمين، أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): ويحكم لابنتي فاطمة ورب الكعبة»(2).

ومعنى أن الله هو الحَكَم أي أنه يحكم بين عباده بالعدل كما هو ضروري، ومقتضى الفطرة السليمة، وقد دل على ذلك القرآن الكريم إذ قال عز وجل: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»(3).

ص: 90

1- معاني الأخبار: ص 66 باب معنى قول النبي (صلي الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه.

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 8-9 ب 30 ح 21.

3- سورة البقرة: 281، سورة آل عمران: 161.

وقال تعالى: «وَتُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»(1).

وقال سبحانه: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»(2).

والسنة المطهرة، والإجماع من كافة المسلمين، والعقل.

التوكل على الله

مسألة: يستحب إيكال الأمر إلى الله والاعتماد عليه قلباً وقولاً وقالباً، كما قالت (عليها السلام): «فنعلم الحَكَمَ الله» حيث قد أوكلت أمرها إليه سبحانه وتعالى. ومن معاني توكيل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى: أن الإنسان يعمل ما بوسعه ويكل ما لا يقدر عليه بنفسه إلى الله عزوجل، مثلاً: الزارع عليه أن ينجز كل ما يتمكن من عمله من الحرث والزرع وتعهده بالزرع بالسقاية والرعاية والمحافظة، أما ما هو خارج عن قدرته من الإنبات ونمو الزرع والبركة، ومن الطوارئ كبرد شديد مفاجئ أو حر كذلك أو آفة غير مترقبة أو جراد مهاجم من حيث لا يحتسب وشبه ذلك، فإن عليه أن يكله إلى الله تعالى.

وهذا بين واجب ومستحب، كل في مورده، ولذا قال النبي (صلي الله عليه وآله): «اعقل وتوكل»(3).

ص: 91

1- سورة النحل: 111.

2- سورة آل عمران: 30.

3- غوالي اللآلي: ج 1 ص 75 الفصل الرابع ح 149، وفي الأمالي للشيخ المفيد: ص 172-173 المجلس 22 ح 1: «اعقل راحلتك وتوكل».

أما توكليل الأمر كله إلى الله بأن لا يأتي الإنسان بالأسباب الظاهرية، أو عكسه بأن يعتقد أن كل الأعمال من الإنسان نفسه وليس شيء مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى كما قالت اليهود «يد الله مغلولة»⁽¹⁾، فكلاهما خارج عن موازين العقل والشرع، والسيدة الزهراء (عليها السلام) أوكلت الأمر إلى الله مع قيامها بالدفاع والذب وإتمام الحجّة وما أشبهه.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله وتقويض الأمر إلى الله والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله عزوجل»⁽²⁾.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ليس شيء إلا وله حد».

قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟

قال: «اليقين».

قلت: فما حد اليقين؟

قال: «ألا تخاف مع الله شيئاً»⁽³⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه»⁽⁴⁾. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل

ص: 92

1- سورة المائدة: 64.

2- الكافي: ج 2 ص 47 باب خصال المؤمن ح 2.

3- وسائل الشيعة: ج 15 ص 202 ب 7 ح 20279.

4- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 216 ب 11 ح 12782.

أعطي الكفاية» ثم قال: «أتلوت كتاب الله عزوجل «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (1) وقال: «لئن شكرتم لأزيدنكم» (2) وقال: «ادعوني أستجب لكم» (3)، (4).

وقال لقمان لابنه: «يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله عزوجل فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك» (5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «خصلة من عمل بها كان من أقوى الناس» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «التوكل على الله عزوجل» (6).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «التوكل من قوة اليقين» (7).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقوى الناس إيماناً أكثرهم توكلوا على الله سبحانه» (8).

وقال (عليه السلام): «في التوكل حقيقة الإيقان» (9).

ص: 93

- 1- سورة الطلاق: 3.
- 2- سورة إبراهيم: 7.
- 3- سورة غافر: 60.
- 4- الكافي: ج 2 ص 65 باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ح 6.
- 5- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 282 باب الزاد في السفر ح 2457.
- 6- معدن الجواهر: ص 22 باب ما جاء في واحد.
- 7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 منشأ التوكل وحقيقته ح 3848.
- 8- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 منشأ التوكل وحقيقته ح 3850.
- 9- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 منشأ التوكل وحقيقته ح 3853.

وقال (عليه السلام): «من وثق بالله توكل عليه»(1).

وقال (عليه السلام): «التوكل خير عماد»(2).

وقال (عليه السلام): «التوكل حصن الحكمة»(3).

وقال (عليه السلام): «التوكل أفضل عمل»(4).

وقال (عليه السلام): «صلاح العبادة التوكل»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ينبغي لمن رضي بقضاء الله سبحانه أن يتوكل عليه»(6). وقال (عليه السلام): «التوكل كفاية»(7).

وقال (عليه السلام): «كل متوكل مكفي»(8).

وقال (عليه السلام): «من توكل على الله عز وجل كفي»(9).

وقال (عليه السلام): «أصل قوة القلب التوكل على الله»(10).

ص: 94

- 1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 منشأ التوكل وحقيقته ح 3854.
- 2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 منشأ التوكل وحقيقته ح 3855.
- 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 أهمية التوكل وفضيلته ح 3856.
- 4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 أهمية التوكل وفضيلته ح 3857.
- 5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 أهمية التوكل وفضيلته ح 3858.
- 6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 أهمية التوكل وفضيلته ح 3860.
- 7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 من توكل كفي ح 3866.
- 8- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 من توكل كفي ح 3869.
- 9- بشارة المصطفى: ص 96 بشارة المصطفى لشيعه المرتضى.
- 10- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 آثار التوكل ح 3879.

وقال (عليه السلام): «من توكل على الله تسهلت له الصعاب»(1).

وقال (عليه السلام): «من توكل على الله أضاءت له الشبهات وكفي المؤنات وأمن التبعات»(2).

وقال (عليه السلام): «من توكل على الله ذلت له الصعاب وتسهلت عليه الأسباب وتبوأ الخفض والكرامة»(3).

بين الحق وتوحيد الكلمة

مسألة: لا يصح منع المحق من الجهر بالحق، أو منع المظلوم من طرح ظلامته بدعوى (الوحدة وتوحيد الكلمة) أو (الانفتاح) أو ما أشبهه، إذ «الحق أحق أن يتبع»(4) وللعقل والنقل المتواتر، ومنه أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل وتنبه الغافل وغير ذلك، وتفصيل البحث في كتاب القضاء وغيره، حيث يجب على القاضي أن يستمع إلى الدعوى ثم يحكم بالعدل بحيث يعطي الحق لصاحبه.

وهذا ما صنعه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بمواقفها وعملها وأقوالها وخطبها، ومنها هذه الخطبة، وهذا المقطع «وعند الساعة يخسرون المبطلون ولا ينفعكم إذ تدمون...»(5).

ص: 95

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 آثار التوكل ح 3886.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 آثار التوكل ح 3887.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 196 آثار التوكل ح 3888.

4- سورة يونس: 35.

5- إشارة إلى قوله تعالى: «يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون» سورة الجاثية: 27.

ولذلك كله يجب وجوباً كفاً بيان أن خصوم الزهراء (عليها السلام) هم من المبطلين وسيخسرون عند قيام الساعة.

وفي الحديث: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل يوماً إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي، فاستقبله نفر فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه، فوقف عليهم أمير المؤمنين وقال للفتى: ما يبكيك؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء النفر في سفر لتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله؟ فقالوا: لم يخلف مالا، فقد متهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين، وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أن أبي كان معه مال كثير.

فقال لهم أمير المؤمنين: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟

فقال شريح: يا أمير المؤمنين إن هذا الفتى ادعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البيعة فلم يحضر أحداً، فاستحلفتهم له. فقال أمير المؤمنين: هيهات يا شريح ليس هكذا يحكم في هذا.

فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟

فقال علي: أنا أحكم فيه ولأحكم اليوم فيه بحكم ما حكم به أحد بعد داود النبي (عليه السلام)، ثم جلس في مجلس القضاء ودعا بعدد الله بن أبي رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفة ودواة، ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلاً وأمر بأن تغطي رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا.

ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال: أتظنون أنني لا أعلم ما صنعتُم بأبي هذا الفتى، إنني إذا لجاهل، ثم أقبل عليه فسأله؟

فقال: مات يا أمير المؤمنين.

فسأله عن كيف كان مرضه وكم مرض وأين مرض وعن أسبابه في مرضه كلها وحين احتضر ومن تولى تغميضه ومن غسله وما كفن فيه ومن حمله ومن صلى عليه ومن دفنه، فلما فرغ من السؤال رفع صوته: الحس الحس، فكبر وكبر من كان معه.

فارتاب القوم ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر.

ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول.

فقال: يا أمير المؤمنين إنما كنت واحدا من القوم وقد كنت كارها للقتل وأقر بالقتل.

ثم دعاهم واحدا واحدا من القوم، فأقرأوا أجمعون ما خلا الأول وأقرأوا بالمال جميعا وردوه وألزمهم ما يجب من القصاص.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف كان حكم داود (عليه السلام) في مثل هذا الذي أخذته عنه؟

فقال علي (عليه السلام): مر داود (عليه السلام) بغلمان يلعبون وفيهم غلام منهم ينادونه: يا مات الدين، فيجيئهم فوقف عليهم داود (عليه السلام) فقال: يا غلام ما اسمك؟

فقال: مات الدين.

قال: ومن سماك بهذا الاسم؟ قال: أمي.

.....
قال: أين أمك؟

قال: في بيتها.

قال: امض بين يدي إليها.

فمضى الغلام فاستخرج أمه، فقال لها داود: هذا ابنك؟

قالت: نعم.

قال: ما اسمه؟

قالت: مات الدين.

قال: ومن سماه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه.

قال: وأين أبوه؟

قالت: خرج مع قوم في سفر لهم لتجارة فرجعوا ولم يرجع، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله، فقالوا: مات وذهب ماله، فقلت: هل أوصاكم في أمري بشيء؟ فقالوا: نعم أوصانا وأعلمنا أنك حبلى فمهما ولدت من ولد فسميه مات الدين.

قال: وأين هؤلاء القوم؟

قالت: حضور.

قال: امضي معي إليهم.

فجمعهم وفعل في أمرهم مثل هذا الذي فعلته، وحكم بما حكمت وقال للمرأة: سمي ابنك (عاش الدين)(1).

ص: 98

دور الرسول (صلي الله عليه و آله) في الآخرة

مسألة: ينبغي بيان أن الزعيم محمد (صلي الله عليه و آله)، ومعنى ذلك أنه (صلي الله عليه و آله) هو الضامن لبيان أحكام الله تعالى، والمنفذ لها في الدنيا وفي الآخرة، فهو الذي له الزعامة من قبل الله في يوم القيامة، فإن أمور الآخرة أيضاً بنيت على الوسائط والمنفذين كما ورد بالنسبة إلى الملائكة، والأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والشهداء والصالحين والولدان المخلدين وغير ذلك.

وكلي المطلب أن الرسول (صلي الله عليه و آله) هو أفضل الخلائق على الإطلاق، وهو مرسل لكل الخلائق على الإطلاق - إنساً وجناً وملكاً وما نعلم وما لا نعلم - وهو عين الله ويده في كل العوالم على الإطلاق، ومن المصاديق عالم الآخرة، يليه في كل ذلك مباشرة أمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ هو نفس رسول الله (صلي الله عليه و آله) بنص الآية الشريفة: «وأنفسنا وأنفسكم» (1) ولعشرات الأدلة الأخرى.

قال رسول الله (صلي الله عليه و آله) في حديث: «وجعل اسمي في القرآن محمداً فأنا محمود في جميع القيامة، في فصل القضاء، لا يشفع أحد غيري، وسماني في القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله» (2)

ص: 99

1- سورة آل عمران: 61.

2- الخصال: ج 2 ص 425 باب العشرة أسماء النبي (صلي الله عليه و آله) عشرة، ضمن ح 1.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي على نجيب من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جل جلاله: أين خليفة محمد رسول الله؟ فتقول: ها أنا ذا، قال: فينادي المنادي: يا علي أدخل من أحبك الجنة، ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار»(1).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل ويده لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، فيدفعه إلي فأخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب».

فقال رجل: يا رسول الله وكيف يطيق علي حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر؟

فغضب رسول الله (صلي الله عليه وآله) ثم قال: «يا رجل إنه إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليا من القوة مثل قوة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن داود خطيب في الجنان لأعطي علي مثل صوته، وإن عليا أول من يشرب من السلسيل والزنجبيل، وإن لعلي وشيعته من الله عز وجل مقاما يغبطه به الأولون والآخرون»(2).

ص: 100

1- الأماي للصدوق: ص 361 المجلس 57 ح 14.

2- بحار الأنوار: ج 8 ص 2-3 ب 18 ضمن ح 2.

وفي بعض النسخ: (والغريم)، والمراد: طالب الحق، يعني أنك - يا ابن أبي قحافة - تقابل رسول الله (صلي الله عليه وآله) في يوم القيامة ويطالبك بما فعلت، لأنك أخذت حقه إذ قال (صلي الله عليه وآله): «من آذاها فقد آذاني»⁽¹⁾ ولأنك عصيت أمره وخالفت قراره حيث منحني فدك فغصبتها.

قولها (عليها السلام): «والموعد القيامة» أي أن الميعاد بيننا وبينك يوم القيامة، حيث نلتقي هناك ونتخاصم بين يدي الله سبحانه وتعالى وبحضور الرسول (صلي الله عليه وآله) بل وبحضور الأشهاد كافة، فإن الناس في يوم القيامة حيث تكون أبصارهم حديداً يرون من مسافات بعيدة هذا الموقف والملايين من أمثال هذه المواقف، قال تعالى: «فبصرك اليوم حديد»⁽²⁾.

ص: 101

1- غوالي اللاكي: ج4 ص93 الجملة الثانية في الأحاديث ح131.

2- سورة ق: 22.

درجات النهي عن المنكر

مسألة: النهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبسائر الجوارح له درجات، ولا ينتقل للأشد إلا مع عدم كفاية الأضعف في الجملة، كما لا يكتفى بالأضعف مع القدرة على الأشد والحاجة إليه وعدم كفاية الأدنى منه.

وهي (صلوات الله عليها) حيث تعذر عليها النهي عن المنكر الجوارحي (كاليد مثلاً) في مورد كان يقتضيه حيث لم يرتدع القوم بدونه، اكتفيت بالنهي القولي، مضافاً إلى القلبي، وحيث أمكن لها الأشد من مراتبه قامت به وكان منه هذه الجمل هاهنا: «وعند الساعة يخسر المبطلون...».

قال المحقق (رحمة الله): «ومراتب الإنكار ثلاث: بالقلب وهو يجب وجوباً مطلقاً، وباللسان، وباليد، ويجب دفع المنكر بالقلب أولاً، كما إذا عرف أن فاعله ينزجر بإظهار الكراهة، وكذا إن عرف أن ذلك لا يكفي وعرف الاكتفاء بضرب من الإعراض والهجر وجب واقتصر عليه.

ولو عرف أن ذلك لا يرفعه انتقل إلى الإنكار باللسان مرتباً للأيسر من القول فالأيسر.

ولو لم يرتفع إلا باليد، مثل الضرب وما شابهه جاز ولو افتقر إلى الجراح أو القتل هل يجب؟ قيل نعم، وقيل لا إلا بإذن الإمام (عليه السلام) وهو الأظهر» (1).

ص: 102

وقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): «إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذن بوقاع من الله جل اسمه»(1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(3).

وقال (عليه السلام): «من نهى عن المنكر أرغم أنوف الفاسقين»(4).

وقال (عليه السلام): «إذا رأى أحدكم المنكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأنكره بقلبه وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره»(5).

وقال (عليه السلام): «... فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيق خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء»(6).

ص: 103

1- ثواب الأعمال: ص 255-256 عقاب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 123.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 332 ح 7638 الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 207 ب 9 ضمن ح 13895.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 332 ح 7649 الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6- وسائل الشيعة: ج 16 ص 134 ب 3 ح 21170.

قولها (عليها السلام): «وعند الساعة يخسر المبطلون»، فإن المبطل وإن كان يخسر في الدنيا أيضاً، ويخسر في القبر وفي عالم البرزخ، إلا أن الخسارة الكبرى في الحشر وعند قيام الساعة وذلك بحضور الناس والأشهاد وهي أمّص، حيث إن في الدنيا الحق والباطل مختلطان كثيراً ما، وفي القبر لا يرى الخسارة إلا نفس الإنسان وبعض الملائكة، وربما بعض البشر، إضافة إلى أن في الدنيا والقبر خسارة جزئية ونسبية وبعض العقاب، أما في الساعة فتظهر الخسارة الكبرى وأمام كل الناس، أو يقال: إن الساعة هي (الموعد الأصلي) للمستقبل النهائي، وبها تحديد المصير والحشر إلى جهنم وبئس المهاد، فكان الأنسب النسبة إليها دون جهنم، فتأمل.

أما ما سبقها في البرزخ وقبله فهو مجرد رشحات ونماذج.

وفي بعض النسخ: (وعند الساعة ما تخسرون)، وعليه تكون (ما) مصدرية أي (في القيامة خسراكم)، ويحتمل كون (ما) موصولة والفعل محذوف اكتفاء بالمدال عليه، أي (وعند الساعة تجدون أو تشاهدون الذي تخسرونه) وهو مشير إلى تجسم الأعمال أيضاً.

ولعلها (صلوات الله عليها) أشارت إلى قوله سبحانه في سورة الزمر: «قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون» (1).

وقوله تعالى في سورة الشورى: [وَتَرَى

الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ

ص: 104

.....
يُنظَرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ»(1).

وفي تفسير هذه الآية روى علي بن إبراهيم القمي S: «(وترى الظالمين) آل محمد حقهم «لما رأوا العذاب» وعلي (عليه السلام) هو العذاب في هذا الوجه «يقولون هل إلى مرد من سبيل» فنوالي علياً (عليه السلام) «وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل» لعلي (عليه السلام) «ينظرون» إلى علي «من طرف خفي وقال الذين آمنوا» يعني آل محمد وشيعتهم «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين» آل محمد حقهم «في عذاب مقيم» قال (عليه السلام): والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لعلي وذريته (عليهم السلام)»(2).

ولعل المراد من (الساعة) في قولها (عليها السلام): أعم من المحشر والنار كما ربما يكون ظاهر الآية المباركة. والخلاصة: لقد حددت (صلوات الله عليها) في هذه الجملة القصيرة كافة ما يرتبط بالقضية: فالحكّم هو الله جل وعلا، والقاضي والزعيم هو رسوله (صلي الله عليه وآله)، ومكان القضاء وزمانه هو يوم القيامة، إذ (الموعد) مصدر ميمي يأتي للمكان والزمان، والنتيجة هي (وعند الساعة يخسر المبطلون) والخاسر هو ابن أبي قحافة وحزبه، ورد فعلهم سيكون الندم، والجزاء الإلهي هو «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»(3).

ص: 105

1- سورة الشورى: 44-45.

2- تفسير القمي: ج2 ص278 سورة الشورى.

3- سورة هود: 39، والزمر: 39-40.

بين الدنيا والآخرة

مسألة: الدنيا دار عمل وجزاء في الجملة، وليست دار حساب كذلك، أما الآخرة فهي دار حساب وجزاء(1) دون عمل، ولذلك قالت (عليها السلام): «ولا ينفعكم إذ تندمون»، وقد ورد في الحديث: «اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»(2).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «الدنيا مزرعة الآخرة»(3).

نعم دل الدليل شرعاً وعقلاً على أن الله تعالى يمتحن في الآخرة عباده القاصرين الذين لم تبلغهم الحجة اللازمة في الدنيا، فتكون الآخرة محل عمل في الجملة(4)، كما أن الدنيا مكان حساب وجزاء في الجملة، كما يفصح عن ذلك إقرار الشارع تشريعاً والتحقق في الجملة تكويناً للحدود والديات والقصاص والمعاملات وما أشبهه

ص: 106

1- من الواضح الفرق بين الحساب والجزاء، فإن الحساب هو المحاسبة و(المحاكمة)، والجزاء هو ما يترتب على الحساب من العقوبة أو المثوبة.

2- راجع الأملاني للشيخ المفيد: ص 207-208 المجلس 23 ضمن ح 41.

3- راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 183 بيان ما يحمد من الجاه، وغوالي اللآلي: ج 1 ص 267 ف 10 ح 66.

4- ورد في بعض الروايات أن الله تعالى يأمرهم بالدخول في نار مضرمة فمن أطاع امتثالاً لأمره تعالى حول النار عليه برداً وسلاماً وكان من أهل الجنة، ومن عصى دخل النار، ويستفاد من بعض الروايات أن الامتحان في يوم القيامة هو أمرهم بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن قبلها كان من أهل الجنة ومن لم يقبلها فمن أهل النار.

وفي الحديث قال الإمام الرضا (عليه السلام): «ما من فعل فعله العباد من خير وشر إلا ولله فيه القضاء، قال الراوي: فما معنى هذا القضاء؟ قال (عليه السلام): الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»(1).

وأوحى الله عزوجل لموسى (عليه السلام): «إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «في كتاب علي (عليه السلام) ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها»(3).

وعن أبي عبد الله قال (عليه السلام): «إن في كتاب علي (عليه السلام) أن آكل مال اليتامى ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده في الدنيا، فإن الله عزوجل يقول: «وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا»(4).

وأما في الآخرة فإن الله عزوجل يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا»(5)»(6).

ص: 107

1- متشابه القرآن: ج 1 ص 193، والاحتجاج: ج 2 ص 414 احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في التوحيد والعدل وغيرهما.

2- راجع ثواب الأعمال: ص 222 في أن الدنيا دار عقوبة.

3- راجع الكافي: ج 2 ص 347 باب قطيعة الرحم ضمن ح 4.

4- سورة النساء: 9.

5- سورة النساء: 10.

6- ثواب الأعمال: ص 233 عقاب آكل مال اليتيم.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من مؤمن يخذل مؤمناً أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»(1).

هل الندم نافع

مسألة: لا تقبل التوبة والندم في يوم القيامة، بل يجب التوبة بشرائطها في دار الدنيا، قال عزوجل: «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»(2).

وقال سبحانه وتعالى لفرعون: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»(3).

أما من احتمال أن أهل النار لو تابوا إلى الله لتاب عليهم فخالف ظاهر الآيات والروايات، ولا يجمع مع قولها (عليها السلام) «ولا ينفعكم إذ تندمون» مضافاً إلى أنه لو سلّم صحة الكبرى فيرد عليه:

أولاً: إن الندم أعم من التوبة، إذ رب نادم غير مصمم على الترك بل عازم عليه، كما في قوله تعالى: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه»(4).

وكما يشعر به قوله تعالى: «إنها كلمة هو قائلها»(5).

ص: 108

1- ثواب الأعمال: ص 238 عقاب من خذل مؤمناً.

2- سورة النساء: 18.

3- سورة يونس: 91.

4- سورة الأنعام: 28.

5- سورة المؤمنون: 100.

وكما قال ابن أبي قحافة في مرضه: «ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه»(1).

وكما قال: «ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت يدي على أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير، عنى عمر وأبا عبيدة»(2).

وكما قال: (ليتني كنت بعرة) أو (شعرة)(3).

ص: 109

1- انظر الصراط المستقيم: ج2 ص301.

2- انظر الصراط المستقيم: ج2 ص301.

3- انظر (مصنف ابن أبي شيبة): ج7 ص91 ح34432 ط: مكتبة الرشد، الرياض عام 1409هـ، وفيه: (حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق طيرا واقعا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك تقع على الشجرة وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا). وفي كتاب (شعب الإيمان) لأبي بكر البيهقي: ج1 ص485 ح786 ط: دار الكتب العلمية بيروت عام 1410هـ:- (عن الحسن قال: أبصر أبو بكر طائرا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير تأكل الثمر وتقع على الشجر لوددت أني ثمرة ينقرها الطير). وقال في الحديث 787 عن جويبر عن الضحاك قال: مر أبو بكر على طير قد وقع على شجرة فقال: طوبى لك يا طير تطير فتقع على الشجر ثم تأكل من الثمر ثم تطير ليس عليك نجاسة ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق فمر علي بغير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا). وقال في الحديث 788: (عن يعقوب بن زيد وعمر بن عبد الله مولى غفرة قال: نظر أبو بكر إلى طير حين وقع على الشجر فقال ما أنعمك يا طير تأكل وتشرب وليس عليك نجاسة وتطير يا ليتني كنت مثلك). وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج1 ص258 باب من قال ليتني لم أخلق ح449 ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام 1406هـ:- (حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: مر أبو بكر بطير وعشرون على شجرة فقال طوبى لك يا طير تقع على الشجر وتأكل الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أن الله خلقني شجرة إلى جانب الطريق فمر بي بغير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا). وفي كتاب (صفوة الصفوة) ج1 ص251 ط: دار المعرفة بيروت عام 1399هـ:- (قال أبو بكر: يا ليتني شجرة تعضد ثم تؤكل) وفيه أيضا: (قال أبو بكر: لوددت أني شعرة في جنب مؤمن). وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري: ج2 ص137 ط: دار الغرب الإسلامي بيروت عام 1996م: (عن الحسن قال: كان أبو بكر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد وتؤكل)، وفيه أيضا: (عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر أنه كان يقول: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن خرجها في الصفوة) وفي (نوادير الأصول) للترمذي: ج1 ص271 ط: دار الجيل بيروت عام 1992م: (قال أبو بكر: وددت أني شعرة في صدر مؤمن) وأيضا في ج3 ص157. وفي كتاب (فيض القدير) للمناوي: ج4 ص317 ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر عام 1356هـ:- (يقول الصديق: ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن).

1- انظر كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج 1 ص 52 ط: دار الكتاب العربي بيروت عام 1405هـ-، وفيه: (قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرا). وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج 1 ص 258 باب من قال ليتني لم أخلق ح 449 ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام 1406هـ-: (وقال عمر يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض ما يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرا). وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج 1 ص 485 ط: دار الكتب العلمية بيروت عام 1410هـ-: (فقال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضه قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا). وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج 7 ص 98 ح 34480 ط: مكتبة الرشد، الرياض عام 1409هـ-: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنه ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني ليتني كنت منسيا). وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج 1 ص 485 ط: دار الكتب العلمية بيروت عام 1410هـ-: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنه ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني ليتني كنت منسيا). وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص 79 ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال يا ليتني هذه التبنه ليتني لم أكن شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيا أخرجه ابن سعد). وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج 3 ص 360 ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال ليت أمي لم تلدني ليتني كنت نسيا منسيا قال ثم أخذ كالتبنه أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا). وفي (فيض القدير) للمناوي: ج 4 ص 317 ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر عام 1356هـ-: (وأن يقول عمر: الويل إن لم يغفر له). وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج 7 ص 98 ح 34481 ط: مكتبة الرشد، الرياض عام 1409هـ-: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على حجري فقال: ضعه لا أم لك، ثم قال: ويلى، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي) وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص 79 ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن ابن عمر قال أخبرني أبان بن عثمان بن عفان قال: قال عمر حين حضر: ويلى ويلى أمي إن لم يغفر لي، ففضى ما بينهما كلام). وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج 1 ص 52 ط: دار الكتاب العربي بيروت عام 1405هـ-: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض، قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعت على الأرض، فقال: ويلى ويلى أمي إن لم يرحمني ربي). وفي (صفوة الصفوة) ج 1 ص 291 ط: دار المعرفة بيروت عام 1399هـ-: (وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهدا بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له: ضع خدي وضوء قال فهل فخذي والأرض إلا سواء، قال: ضع خدي وضوء لا أم لك في الثانية أو الثالثة، وسمعتة يقول: ويلى ويلى أمي، إن لم يغفر لي حتى فاضت نفسه). وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج 3 ص 360 و 361 ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر قال لعبد الله بن عمر ورأسه في حجره ضع خدي في الأرض فقال وما عليك في الأرض كان أو في حجري قال ضعه في الأرض ثم قال ويلى لي ولأمي إن لم يغفر الله لي ثلاثا). وفيه أيضا: (عن عثمان بن عفان قال أنا آخركم عهدا بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له: ضع خدي وضوء، قال: فهل فخذي

والأرض إلا سواء، قال: ضع خذي وضوء لا أم لك في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجله فسمعته يقول: ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه) وفيه أيضا: (عن عثمان قال: آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي)، وفيه أيضا: (عن ابن أبي مليكة أن عثمان بن عفان وضع رأس عمر بن الخطاب في حجره فقال أعد رأسي في التراب ويل لي وويل لأُمي إن لم يغفر الله لي) وفيه أيضا: (عن أيوب عن بن أبي مليكة قال: لما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره! فدخل بن عباس عليه فقال يا أمير المؤمنين هذا كعب يقول كذا وكذا قال إذا والله لا أسأله، ثم قال ويل لي ولأُمي إن لم يغفر الله لي). وفي (صفوة الصفوة) ج 1 ص 285 ط: دار المعرفة بيروت عام 1399هـ-: (وعن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أُمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئا، ليتني كنت نسيا منسيا). وفي صحيح البخاري: ج 3 ص 1350 ح 3489 ط: دار ابن كثير بيروت عام 1407هـ-: (ثم لما طعن عمر جعل يألّم - إلى أن قال: - والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً افتديت به من عذاب الله عز وجل). وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج 1 ص 52 ط: دار الكتاب العربي بيروت عام 1405هـ-: (عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر قال: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل). وفيه أيضا: (عن سماك قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت له أبشر يا أمير المؤمنين فإن الله قد مصر بك الأمصار ودفن بك النفاق وأفشى بك الرزق، قال: أفي الامارة تنني علي يا ابن عباس، فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لو ددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر). وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري: ج 2 ص 157 ح 636 ط: دار الغرب الإسلامي بيروت عام 1996م: (قال عمر: وددت أني شعرة في صدر أبي بكر). وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج 3 ص 361 ط: دار صادر بيروت: (عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئا قط، ليتني كنت نسيا منسيا، قال: ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا).

1- في كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج 1 ص 486 ح 791، ط: دار الكتب العلمية بيروت عام 1410هـ-: (عن عروة قال قالت عائشة: يا ليتني كنت نسيا منسيا أي حيضة). وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج 2 ص 45 ط: دار الكتاب العربي بيروت عام 1405هـ-: (عن عروة قال قالت عائشة: يا ليتني كنت نسيا منسيا أي حيضة). وتراه أيضا في كتاب (الجامع) لمعمر بن راشد. وفي (الاعتقاد) للبيهقي: ص 373 ط: دار الآفاق الجديدة بيروت عام 1401هـ-: (فكانت عائشة تقول وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل ولد الحرث بن هشام وأنني لم أسر مسيري الذي سرت وروي أنها ما ذكر مسيرها قط إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسيا منسيا).
 وفي (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي: ج 5 ص 54 ط دار الكتب العلمية بيروت: (عن عائشة قالت: يا ليتني كنت نسيا منسيا). وأيضاً في تاريخ بغداد: ج 9 ص 185: (عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول: يا ليتني كنت نسيا منسيا قال سفيان النسي المنسي الحيضة الملقاة). وفي (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل: ج 1 ص 462 ط مؤسسة الرسالة بيروت 1403هـ-، (عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي كانت تقول: ثم يا ليتني كنت نسيا منسيا). وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج 7 ص 131 ح 34735 ط: مكتبة الرشد، الرياض عام 1409هـ-: (عن عائشة أنها قالت: وددت أني إذا مت كنت نسيا منسيا) وفي ح 34736 (أن عائشة قالت: يا ليتها شجرة تسبح وتقضي ما عليها وأنها لم تخلق) وفي ح 34737 (عن عروة أنه سمع عائشة تقول يا ليتني لم أخلق). وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج 1 ص 260 باب من قال ليتني لم أخلق ح 453 ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام 1406هـ-: (عن عائشة قالت ليتني إذ مت كنت نسيا منسيا). وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج 8 ص 74 ط: دار صادر بيروت: (أخبرنا أسامة بن زيد عن بعض أصحابه عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي)، وفيه أيضا: (عن عمرو بن سلمة أن عائشة قالت: والله لو ددت أني كنت شجرة والله لو ددت أني كنت مدرة والله لو ددت أن الله لم يكن خلقتني شيئا قط) وفيه أيضا: (عن عيسى بن دينار قال سألت أبا جعفر عن عائشة فقالت: استغفر الله لها أما علمت ما كانت تقول: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجرا، يا ليتني كنت مدرة، قلت: وما ذلك منها؟ قال: توبة!) وفيه أيضا: (عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس دخل على عائشة قبل موتها فأثنى عليها قال أبشري زوجة رسول الله ولم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك من السماء فدخل عليها بن الزبير خلفه فقالت أثني علي عبد الله بن عباس ولم أكن أحب أن أسمع أحدا اليوم يثني علي لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي ص 74-75: (عن إبراهيم قال: قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة). وفي ص 85: (فقالت: دعني منك يا بن عباس فوالذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج 2 ص 45 ط: دار الكتاب العربي بيروت عام 1405هـ-: (فقالت: يا بن عباس دعني منك ومن تزكيتك، فوالله لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي (مسند أبي يعلى): ج 5 ص 57 ح 2648 ط: دار المأمون للتراث، دمشق عام 1404هـ- (قالت دعني يا بن عباس فوالله لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني: ج 8 ص 484 ط دار المعرفة بيروت، عام 1379هـ-: (فقالت دعني منك يا بن عباس فوالذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي (صفوة الصفوة) ج 2 ص 38 ط: دار المعرفة بيروت عام 1399هـ-: (فقالت دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسيا منسيا). وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص 81 ح 239، ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن إبراهيم أن عائشة مرت بشجرة فقالت: يا ليتني ورقة من هذه الشجرة) أخرجه أحمد في الزهد. وفي (سير أعلام النبلاء) للذهبي: ج 2 ص 189 ط مؤسسة الرسالة بيروت، عام 1413هـ-: (قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة).

وثانياً: إن كلام الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) خاص وذاك عام.

وثالثاً: قد يراد عدم النفع في الجملة، فتأمل.

ورابعاً: إنهم لا يوفقون للتوبة.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وهو خارج من الكوفة، فتبعته من ورائه حتى إذا صار إلى جبانة اليهود ووقف في وسطها ونادى: يا يهود، يا يهود، فأجابوه من جوف القبور: لبيك لبيك مطلع، يعنون بذلك يا سيدنا.

فقال: كيف ترون العذاب؟

فقالوا: بعصياننا لك كهارون فنحن ومن عصاك في العذاب إلى يوم القيامة.

ثم صاح صيحة كادت السماوات ينقلبن، فوقعت مغشياً على وجهي من هول ما رأيت، فلما أفقت رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) على سرير من ياقوتة حمراء على رأسه أكليل من الجواهر وعليه حلل خضر وصفر ووجهه كدارة القمر، فقلت: يا سيدي هذا ملك عظيم!

قال: نعم يا جابر إن ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود (عليه السلام)، وسلطاننا أعظم من سلطانه.

ثم رجع (عليه السلام) ودخلنا الكوفة، ودخلت خلفه إلى المسجد فجعل يخطو خطوات وهو يقول: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً!

فقلت: يا مولاي لمن تكلم ولمن تخاطب وليس أرى أحداً؟

فقال (عليه السلام): يا جابر كشف لي عن برهوت فرأيت شنبويه وحبتر وهما يعذبان في جوف تابوت في برهوت، فنادياني: يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين ردنا إلى الدنيا نقر بفضلك ونقر بالولاية لك.

فقلت: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً، ثم قرأ هذه الآية: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون» (1) يا جابر وما من أحد خالف وصي نبي إلا حشره الله أعمى يتككب في عرصات القيامة» (2).

قولها (عليها السلام): «ولا ينفعكم إذ تندمون» إذ قد سبق أن ندامة الإنسان في الآخرة لا تنفع، نعم الندامة في الدنيا تنفع وذلك للانقلاع والتدارك، قال سبحانه: «رب ارجعون * لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو

ص: 116

1- سورة الأنعام: 28.

2- تأويل الآيات الظاهرة: ص 168-169 سورة الأنعام وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

قائلها»(1).

وربما يظهر من تعبيرها (صلوات الله عليها) ب- (إذ) دون (إذا) أو (لو) أنهم سيندمون فإن إذ طرفية، لكن ندمهم غير نافع، مضافاً إلى عدم عز مهم على الترك، بل العود لو عادوا.

فاطمة (عليها السلام) في يوم القيامة

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «قال جابر لأبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله، حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة (عليها السلام) إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر (عليه السلام): حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: «إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله: يا محمد اخطب.

فاخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثله.

ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصيي علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره (منبر علي) أعلى منابرهم.

ثم يقول الله: يا علي اخطب.

فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثله.

ص: 117

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابني وسبطي وريحانتي أيام حياتي منبر (منبران) من نور.

ثم يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما.

ثم ينادي المنادي (مناد) وهو جبرئيل (عليه السلام): أين فاطمة بنت محمد، أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران، أين آسية بنت مزاحم، أين أم كلثوم، أين أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة: (لله الواحد القهار).

فيقول الله جل جلاله (تعالى): يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطأوا الرؤوس وعضوا الأبصار، فان هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها، فتركبها. فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا على يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها (يسيروها) على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت!.

فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي (الجنة)؟

فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدرتي في مثل هذا اليوم.

فيقول الله تعالى: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده، فأدخله الجنة.

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم!

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وادخلوه الجنة.

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: «فما لنا من شافعين* ولا صديق حميم»(1).. فيقولون: «فلو أن لنا كرتة فنكون من المؤمنين»(2).

قال أبو جعفر (عليه السلام): هيهات هيهات، منعوا ما طلبوا، «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون»(3)، (4).

ص: 119

1- سورة الشعراء: 100-101.

2- سورة الشعراء: 102.

3- سورة الأنعام: 28.

4- تفسير فرات الكوفي: ص 298-299 من سورة الشعراء.

الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار

مسألة: إن الأخبار المستقبلية لا بد وأن يكون لها محل استقرار وتقرر وثبوت وظهور، مثلاً: إذا قال: بأن زيداً سوف يقدم، فإن قدومه بعد غد - مثلاً- هو مستقر هذا الخبر والنبأ. وهكذا.

ولا يختص ذلك بالمستقبلية، بل والماضية أيضاً، والحالية كذلك كما لا يخفى.

فكل نبأ صادق له مستقر زمني ومكاني إذا كان المخبر عنه من غير المجردات، وإلا كان له مستقر حقيقي وإن كان دون زمان ومكان وشبههما، ولكل نبأ مستقر في إحدى العوالم الأربعة في عدد منها أو فيها كلها(1)، أما الخبر الكاذب فليس له مستقر عيني كما لا يخفى، والأمور الاعتبارية لها ظرف تقررهما كما فصلناه في (الأصول).

والظاهر أن المنصرف من آية «لكل نبأ مستقر»(2) هو الأخبار الصادقة، ولو قصد الأعم كان المراد من المستقر الأعم من المستقر العيني وغيره.

ص: 120

1- المراد: عالم الوجود العيني وعالم الوجود الذهني وعالم الوجود الكتبي وعالم الوجود اللفظي.

2- سورة الأنعام: 67.

من ينقلب على عقبيه

مسألة: يظهر من اقتباسها (عليها السلام) ذلك من الآية الشريفة: «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»(1)، الحكم بكفر الذين انقلبوا على أعقابهم، قال تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(2)، وقد سبق أن المراد بالكفر هل هو موضوعي أو حكمي.

وفي الآية إشارة إلى الإيلام النفسي والجسدي، فإن الخزي إيلام نفسي، والعذاب إيلام جسدي.

قولها (عليها السلام): «وسوف...» أي سوف تعلمون عند وقوع مستقر العذاب من يأتيه عذاب يخزيه، فإن العذاب يخزي الإنسان نفساً، ويؤلمه جسماً.

وقد اقتبست (عليها الصلاة والسلام) كلامها هذا من مواضع من القرآن الحكيم، والخطاب في كلها إلى الكفار الذين وقفوا بوجه الأنبياء (عليهم السلام)، فالذي وقف بوجه فاطمة (عليها السلام) كأنما وقف بوجه رسول الله (صلي الله عليه وآله) وسائر الأنبياء (عليهم السلام):

أحدها: سورة الزمر خطاباً للرسول الأَعْظَم (صلي الله عليه وآله): «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»(3).

ص: 121

1- سورة هود: 39.

2- سورة آل عمران: 144.

3- سورة الزمر: 39-40.

والآخر: سورة هود في قصة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث قال: «وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»(1).

فالعذاب الذي أخزاهم في الدنيا هو الذلة في الغرق، والعذاب الذي يقيم عليهم في الآخرة هو النار «وبئس المصير»(2).

والمراد من العلم في (فسوف تعلمون) في المقام هو علم حق اليقين أو عين اليقين في الآخرة عند مشاهدة العذاب، أو المراد تجدون، إذ أن ظالمها (عليها السلام) كانوا عالمين بالجزاء الإلهي وشدة عقابه فلا دلالة في قولها (عليها السلام) على عدم علمهم كما لا يخفى.

وفي سورة هود قال تعالى في قصة شعيب (على نبينا وآله وعليه السلام): «قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا إني معكم رقيب»(3).

ص: 122

1- سورة هود: 38 - 39.

2- سورة البقرة: 126.

3- سورة هود: 92-93.

حدود النظر

مسألة: الظاهر أنه ليس المراد ب- (ثم رمت بطرفها نحو الأنصار) النظر إليهم، بل المراد النظر إلى جهتهم، فإن النظر وإن كان جائزاً إذا كان بدون ريبة وشهوة إلى مثل الوجه وما أشبه ذلك، من الطرفين على رأي المشهور بين الفقهاء، لكن الظاهر في المقام أن المراد أنها (عليها السلام) رمت بطرفها من وراء الستر نحو جهة الأنصار، أي المكان الذي علمت أن الأنصار كانوا مستقرين فيه، فإنه المستفاد من كونها (عليها السلام) جلست خلف الستر منذ بداية الخطبة.

وعلى هذا فلا يستند إلى هذا الكلام (ثم رمت) في جواز النظر وحدوده، بل الاستناد بالأدلة الأخرى (1).

التعددية زمن الرسول (صلي الله عليه وآله)

مسألة: التعددية الإيجابية، والتمييز على إثرها بشعار أو عمل بين فريقين من المؤمنين جائز، وذلك التنافس المطلوب، ولا ينافي الأخوة الإسلامية والأمة الواحدة كما لا يخفى.

ومن مصاديقه ما يفهم من كلامها (عليها السلام) من أن المهاجرين والأنصار كانوا يجلسون متميزين جماعة هنا وجماعة هناك.

ص: 123

1- للتفصيل راجع موسوعة الفقه: ج 26 ص 165-262 كتاب النكاح أحكام النظر.

وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية: أن الرسول الأعظم (صلي الله عليه وآله) جعل المسلمين على حزبين - وذلك لحفظ التعددية وإيجاد التنافس البناء :-

حزب المهاجرين.

وحزب الأنصار.

وكان لكل حزب تجمعه وخصوصياته، وإن لم يكونوا مختلفين في شتى الأحكام والطقوس الإسلامية العبادية والمعاملية والقضائية والعسكرية وغيرها، بل كانوا أخوة مؤمنين.

وهناك رواية ذكرها (جامع المقاصد) و(المسالك) و(الجواهر) وغيرهم يظهر منها أن المسلمين عرفوا بهذا اللفظ في زمان رسول الله (صلي الله عليه وآله).

وفي كتاب (السبق والرماية) (1) حيث قال (صلي الله عليه وآله) في قصة مذكورة: (أنا مع الحزب الذي فيه ابن الأدرع) (2).

لكن الحزب في الإسلام ليس بالمفهوم الغربي الذي هو قائم على أساس البرلمان الذي بيده التشريع، إذ التشريع خاص بالله سبحانه وتعالى، والرسول والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) هم المبلغون لتلك الأحكام وهم (عليهم السلام) أوعية مشيئة الله عز وجل (3).

ص: 124

1- راجع موسوعة الفقه: ج60 كتاب السبق والرماية.

2- غوالي اللثالي: ج3 ص266 باب السبق والرماية ح5 وفيه: «وروي أنه (صلي الله عليه وآله) مر بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر وقالوا لن يغلب حزب فيه رسول الله».

3- راجع موسوعة الفقه: ج106 كتاب السياسة ص117 وما بعدها.

نعم للفقهاء التطبيق، وكذلك الاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ولذا ذكرنا في بعض الكتب أن البرلمان هو (للتأطير) لا للتشريع (1).

إذن فتقسيم الرسول (صلي الله عليه وآله) المسلمين إلى قسمين: مهاجرين وأنصار كان لإيجاد التنافس الإيجابي في إطار الشرع لا خارجه، وكان للتسارع والتسابق نحو الخير والفضيلة كما هو أوضح من أن يخفى.

وقد تأسى (صلي الله عليه وآله) في ذلك بالقرآن الكريم حيث تكررت هذه الألفاظ فيها، ووردت أكثر من مرة، وكان ذلك من حكمة رسول الله (صلي الله عليه وآله) المستقاة من الوحي الإلهي، لأن التعددية توجب التنافس بينهما، قال سبحانه وتعالى: «فاستبقوا الخيرات» (2).

وقال عز وجل: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» (3).

وحتى أنه سبحانه جعل الجنة في مضمار المنافسة والمسابقة فقال عز من قائل: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» (4).

بل إن حكمة الرب في الكون قائمة على ذلك، كما قال تعالى: «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» (5).

ص: 125

1- راجع كتاب (هكذا حكم الإسلام) و(الفقه: القانون).

2- سورة البقرة: 148، والمائدة: 48.

3- سورة آل عمران: 133.

4- سورة المطففين: 26.

5- سورة الحجرات: 13.

فالتقسيم والتشقيق والتعددية سنة إلهية ينبغي صحتها في التعاون والتكامل والتنافس الإيجابي حسب المقرر شرعاً. وفي التاريخ نشاهد مواطن عديدة أن الرسول (صلي الله عليه وآله) كان (يوازن) بين المجموعتين، وكان يلتجأ تارة إلى هذه في قبال تلك - عندما تعدل عن الحق - وكذلك العكس، كما ورد في قصة تكلمه (صلي الله عليه وآله) عند احتضاره، فإنه (صلي الله عليه وآله) عندما رد عليه عمر بقوله الجارح: (إن الرجل ليهجر) (1) أخرجه النبي (صلي الله عليه وآله) مع

ص: 126

1- كشف الغمة: ج 1 ص 420، الصراط المستقيم: ج 3 ص 100، الصوارم المهرقة: ص 224، نهج الحق: ص 273، بحار الأنوار: ج 30 ص 130 وص 466 وص 513 وص 529 و 535 و 551 و 592 و... ومن مصادر العامة: في صحيح البخاري: ج 1 ص 37 ط دار الفكر 1401هـ- أوفست على طبعة دار الطباعة العامة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما اشتد بالنبي (صلي الله عليه وآله) وجعه قال: اتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلي الله عليه وآله) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلوا وكثر اللغظ، قال (صلي الله عليه وآله): قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وآله) وبين كتابه). وفي صحيح البخاري ج 4 ص 31 ط دار الفكر 1401هـ-: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله (صلي الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس فقال اتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه...). وفي صحيح البخاري: ج 5 ص 137-138 ط دار الفكر بيروت عام 1401هـ- أوفست على طبعة دار الطباعة العامة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله (صلي الله عليه وآله) - أي الوفاة - وفي البيت رجال فقال النبي (صلي الله عليه وآله): هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلأ أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): قوموا عني، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم). وفي صحيح البخاري: ج 8 ص 161 ط دار الفكر أوفست على دار الطباعة العامة باستانبول: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر النبي (صلي الله عليه وآله) - أي الوفاة - قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلي الله عليه وآله) غلبه الوجع وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلأ أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلي الله عليه وآله) كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف عند النبي (صلي الله عليه وآله) قال: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم). وفي صحيح مسلم: ج 5 ص 76 ط دار الفكر بيروت عن ابن عباس إنه قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): اتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) يهجر). وفي صحيح مسلم بشرح النووي: ج 11 ص 90 ط دار الكتاب العربي بيروت عام 1407: (وفي رواية: فقال عمر: إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله). وفي مسند أحمد: ج 1 ص 324-325 ط دار صادر بيروت: عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله (صلي الله عليه وآله) الوفاة قال: هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، وفي البيت رجال فيهم

عمر بن الخطاب فقال عمر: إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله قال: فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله (صلي الله عليه وآله) أو قال قربوا يكتب لكم رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف وغم رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم). وفي مسند أحمد: ج 1 ص 355 ط دار صادر بيروت: (عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم نظرت إلى دموعي على خدي تنحدر كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): اتنوني باللوح والدواة أو الكنف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقالوا: رسول الله (صلي الله عليه وآله) يهجر). وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج 8 ص 101 ط دار المعرفة بيروت: (فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجد... ما شأنه يهجر... إن نبي الله ليهجر...). وفي السنن الكبرى للنسائي: ج 3 ص 435 ح 5857 ط: دار الكتب العلمية بيروت عام 1411هـ -: عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال رسول الله (صلي الله عليه وآله) اتنوني باللوح والدواة والكنف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، قالوا: رسول الله (صلي الله عليه وآله) يهجر). وفي المصدر نفسه الحديث 5856 عن جابر: (إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) دعا بصحيفة في مرضه ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلون بعده ولا يضلون وكان في البيت لغظ وتكلم عمر فتركه). وفي المصدر نفسه ج 4 ص 360 ح 7516: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلي الله عليه وآله) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاجتمعوا في البيت فقال قوم: يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وقال قوم ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف عند رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال لهم: قوموا عني، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما فات من الكتاب الذي أراد رسول الله (صلي الله عليه وآله) أن يكتب لا تضلوا بعده أبداً لما كثر لغظهم واختلافهم). وفي المعجم الكبير: ج 11 ص 352 ط مكتبة ابن تيمية القاهرة: عن ابن عباس: (لما كان يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى فقال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله) اتنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقالوا: يهجر رسول الله (صلي الله عليه وآله) ثم سكتوا وسكت...). وفي البداية والنهاية لابن كثير: ج 5 ص 247-248 ط: دار إحياء التراث العربي بيروت عام 1408: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله (صلي الله عليه وآله) وفي البيت رجال فقال النبي (صلي الله عليه وآله): هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله). وفي الطبقات الكبرى: ج 2 ص 243 ط دار صادر بيروت: عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: (كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام لؤلؤ، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): اتنوني بالكنف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، قال: فقالوا إنما يهجر رسول الله (صلي الله عليه وآله)). وفي ص 243-244: عن عمر بن الخطاب قال: (كنا عند النبي (صلي الله عليه وآله) وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): اغسلوني بسبع قرب واتنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال النسوة: اتنوا رسول الله (صلي الله عليه وآله) بحاجته، قال عمر: فقلت: استكتهن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله) هن خير منكم). وفي ص 244 عن جابر قال: (دعا النبي (صلي الله عليه وآله) عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلوا ولا يغلطوا عنده حتى رفضها النبي (صلي الله عليه وآله)). وفي ص 244: عن الزهري بسنده عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله (صلي الله عليه وآله) الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلي الله عليه وآله) ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغظ والاختلاف وغموا رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال: قوموا عني، فقال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلي الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من

اختلافهم ولغظهم). وفي تاريخ الطبري: ج 2 ص 436 ط مؤسسة الأعلمي بيروت: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله (صلي الله عليه و آله) وجعه فقال: اتتوني اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي أبدا، فتنزعوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه أهجرا، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه). وفي المصدر نفسه: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: ثم نظرت إلى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله (صلي الله عليه و آله) اتتوني باللوح والدواة أو الكتف والدواة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، قال: فقالوا: إن رسول الله يهجر).

جماعته من غرفته وأمر أن يأتوا بالأنصار فذكر لهم ما أراد أن يذكر للمهاجرين وإن لم يكتبه (1).

وقد يسأل سائل: لماذا لم يخرج النبي (صلي الله عليه وآله) القائل وجماعته فقط ويتكلم مع بقية المهاجرين ويوصي لهم بما أراد ويكتبها؟

الجواب: لأنهم كانوا سيكررون دعوى الرجل (إنه ليهجر) خوفاً أو طمعاً أو عصبية، وكان ذلك مما يجعلهم أن يعمموا دعواهم في سائر أوامره ونواهيته (صلي الله عليه وآله) ويسعوا في إسقاطها عن الحجية. إضافة إلى ما يتضمنه ذلك من التأديب ومن تكريس واقع التعددية الهادفة التي تستقي قيمتها من محاولة الوصول للحق لا لوأده، حيث أخرجهم الرسول (صلي الله عليه وآله) وطلب الأنصار.

ص: 130

1- فأكد عليهم ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وشرح لهم بعض ما يجري على أهل بيته (عليهم السلام) وهذا ما يستفاد من بعض الروايات، فإنه ورد في وصية النبي (صلي الله عليه وآله) عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى - راوي الحديث -: فبكى أبو الحسن (عليه السلام) طويلاً وقطع بقية كلامه وقال: هُتِك واللّه حجاب الله، هُتِك واللّه حجاب الله، هُتِك واللّه حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها». راجع بحار الأنوار: ج 22 ص 477 ب 1 ضمن ح 27.

قولها (عليها السلام): (ثم رمت بطرفها نحو الأنصار)، الطرف: مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت، وهو أن ينظر ثم يغمض، كما يطلق الطرف أيضاً على العين نفسها، فإنها (عليها الصلاة والسلام) كانت توجه خطابها - عموماً - لمن غضب حقها مباشرة، ومن الطبيعي أن يكون المهاجرون أيضاً مورد هذا الخطاب حيث أزره على اغتصاب الخلافة وفدك.

فقالت: يا معشر الفتية(1)

توجيه الخطاب لفئة خاصة

مسألة: ينبغي - في الجملة - توجيه الخطاب لخصوص جمع، رغم توجيهه من قبل لمن يعمهم، فإنه أحرى بالتأثير وأوقع في القلب ومن مصاديق «فذكر» (2) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ولذلك ولغيره، وجهت (عليها السلام) الخطاب للأنصار بعد أن شملتهم بخطابها السابق: (أيها المسلمون) وغيره، فقالت: (يا معشر الفتية).

المعشر: عبارة عن الجماعة.

والفتية: جمع فتى وهو الشاب، وقد يطلق على الإنسان الكريم.

فقد أرادت (صلوات الله عليها) استثارة حمية الأنصار وغيرتهم في مقابل المهاجرين لعلمهم يقولون شيئاً من الحق، ويتخذون موقفاً ضد الباطل، لكن الخوف والرعب كان قد استولى عليهم نتيجة الإرهاب الشديد الذي ساد بعد استشهاد الرسول الأعظم (صلي الله عليه وآله) والذي كان التخطيط له قد جرى من قبل الخليفة وجماعته قبل وفاة الرسول (صلي الله عليه وآله) حيث تواطؤوا على ذلك..

ص: 132

1- وفي بعض النسخ: (يا معشر النقيبة)، وفي بعضها: (يا معشر البق

2- قال تعالى في سورة الغاشية الآية 21: «فذكر إنما أنت مذكر»، وقال سبحانه في سورة ق الآية 45: «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» وقال عز وجل في سورة الطور الآية 29: «فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون» وقال تعالى في سورة الأعلى الآية 9: «فذكر إن نفعت الذكرى».

وقد روي عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قوله: «إن أهليتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وإن أشد أقوام لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (1).

ولهذا ابتدؤوا بعقد الرايات لعكرمة بن أبي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم من بني مخزوم على بلاد اليمن..

وسموا خالد بن الوليد المخزومي الفاسق الذي قال فيه النبي (صلي الله عليه وآله): «اللهم إني أبرأ إليك مما فعله خالد» (2) سيف الله، وسلطوه على مشتهياته من فروج المسلمين ودمائهم وأموالهم (3).

ص: 133

1- الصوارم المهركة: ص 290.

2- راجع إعلام الوري: ص 113، ونهج الحق: 323.

3- في بحار الأنوار: ج 30 ص 350: (ولما امتنع طائفة من الناس في دفع الزكاة إليه - أي إلى أبي بكر - وقالوا إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) لم يأمرنا بدفع ذلك إليك، سمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وجعل ذلك فينا للمسلمين، وقتل خالد بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة، وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك، واستحلّ الباقون فروج نسائهم من غير استبراء. وقد روى أهل الحديث جميعاً بغير خلاف عن القوم الذين كانوا مع خالد أنهم قالوا أدّن مؤدّننا وأدّن مؤدّنهم، وصلّينا وصلّوا، وتشهدنا وتشهدوا، فأبى ردّة هاهنا، مع ما رووه أنّ عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل قوما يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وقد سمعت رسول الله (صلي الله عليه وآله) يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم. فقال: لو منعوني عقالا ممّا كانوا يدفعونه إلى رسول الله (صلي الله عليه وآله) لقاتلتهم أو قال لجاهدتهم، وكان هذا فعلاً فظيعاً في الإسلام وظلماً عظيماً، فكفى بذلك خزيًا وكفراً وجهلاً، وإنّما أخذ عليه عمر بسبب قتل مالك بن نويرة، لأنّه كان بين عمر وبين مالك خلة أوجبت المعصية له من عمر. ثم رووا جميعاً أنّ عمر لمّا ولي جمع من بقي من عشيرة مالك واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم، وردّ ذلك جميعاً عليهم. فإن كان فعل أبي بكر بهنّ خطأ فقد أطعم المسلمين الحرام من أموالهم وملّكهم العبيد الأحرار من أبنائهم، وأوطأهم فروجاً حراماً من نسائهم، وإن كان ما فعله حقاً فقد أخذ عمر نساء قوم ملكوهنّ بحقّ فانتزعهنّ من أيديهم غصبا وظلماً وردّهنّ إلى قوم لا يستحقّونهنّ بوطئهنّ حراماً من غير مباينة وقعت ولا أثمان دفعت إلى من كنّ عنده في تملكه، فعلى كلا الحالين قد أخطأنا جميعاً أو أحدهما، لأنّهما أباحا للمسلمين فروجاً حراماً، وأطعماهم طعاماً حراماً من أموال المقتولين على دفع الزكاة إليه، وليس له ذلك على ما تقدّم ذكره). انتهى. وفي الفضائل: ص 75-76: قال البراء بن عازب: بينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) جالس في أصحابه إذ أتاه وفد من بني تميم مالك بن نويرة فقال: يا رسول الله (صلي الله عليه وآله) علمني الإيمان، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّي رسول الله (صلي الله عليه وآله) وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتوالي وصيي هذا من بعدي وأشار إلى علي (عليه السلام) بيده، ولا تسفك دماً ولا تسرق ولا تخون ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر وتوفي بشرائعي وتحلل حلالاً وتحرم حراماً وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي والكبير والصغير، حتى عد عليه شرائع الإسلام. فقال: يا رسول الله (صلي الله عليه وآله) أعد علي فإني رجل نساء، فأعاد عليه فعقدتها بيده وقام وهو يجر إزاره وهو يقول: تعلمت الإيمان ورب الكعبة. فلما بعد من رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا الرجل، فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله، فأطرق إلى الأرض، فجدا في السير

فلحقاه فقالا:- لك البشارة من الله ورسوله بالجنة. فقال: أحسن الله تعالى بشارتكما إن كنتما ممن يشهد بما شهدت به فقد علمتما ما علمني النبي محمد، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما. فقال أبو بكر: لا تقل فأنا أبو عائشة زوجة النبي (صلي الله عليه وآله). قال: قلت ذلك فما حاجتكما. قالوا: إنك من أصحاب الجنة فاستغفر لنا. فقال: لا غفر الله لكما تتركان رسول الله صاحب الشفاعة وتسألاني أستغفر لكما. فرجعا والكآبة لائحة في وجهيهما، فلما رآهما رسول الله (صلي الله عليه وآله) تبسم وقال: أفي الحق مغضبة. فلما توفي رسول الله (صلي الله عليه وآله) ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة فخرج لينظر من قام مقام رسول الله (صلي الله عليه وآله) فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخوتيم! قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله (صلي الله عليه وآله) الذي أمرني بمولاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر. قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد خنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله (صلي الله عليه وآله) جالس. فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من مسجد رسول الله (صلي الله عليه وآله). فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكان عنقه حتى أخرجاه فركب راحلته وأنشأ يقول: أطعنا رسول الله ما كان بيننا *** فيا قوم ما شأنى وشأن أبي بكر إذا مات بكر قام عمرو مقامه *** فتلك وبيت الله قاصمة الظهر يدب ويغشاه العشار كأنما *** يجاهد جما أو يقوم على قبر فلو قام فينا من قریش عصابة *** أقمنا ولكن القيام على جمر قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤوس الأشهاد ولست آمن أن يفتق علينا فتقا لا يلتئم فاقتله. فحين أتاها خالد ركب جواده وكان فارسا يعد بألف فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموثيق ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله وأعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو الحمار والحديث طويل. انتهى ما في (الفضائل). وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: ج 1 ص 179 طرف من أخبار عمر بن الخطاب: (لما قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري فركب فرسه والتحق بأبي بكر وحلف ألا يسير في جيش تحت لواء خالد أبدا، فقص على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد فتنت الغنائم العرب وترك خالد ما أمر به، فقال عمر: إن عليك أن تقيده بمالك، فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدت من الحديد وفي عمامته ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر قال: أرياء يا عدو الله، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته، أما والله إن أمكنني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يرد عليه ظنا أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلما دخل إلى أبي بكر وحدثه صدقه فيما حكاه وقبل عذره، فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيها يا عمر ما هو بأول من أخطأ فارفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين. انتهى.

وسموا أبا عبيدة الجراح (1) المجروح أمين الأمة وجعلوه مشيراً لهم..

وأرضوا أبا سفيان بتفويض إمارة الشام ولده يزيد (2)، ووجهوا أسامة مع

ص: 136

1- عن الحارث بن الحصيرة الأسدي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (كنت دخلت مع أبي الكعبة فضلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاهد القوم إن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً، قال: قلت: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة). الكافي: ج 4 ص 545 ح 28. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» قال: (نزلت هذه الآية في فلان وفلان وأبي عبيدة الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا لئن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً، فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية، قال: قلت: قوله عز وجل «أَمْ أَرْبُومَا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم). الكافي: ج 8 ص 179 ح 202.

2- ولى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان إمارة الشام وتوفي وهو خليفته على ذلك، فأقره عمر إلى أن مات فولى أخاه معاوية. انظر بحار الأنوار: ج 33 ص 201. إعلام الوری: ص 138. الإفصاح: ص 104.

من كان في جيشه من الذين خافوا فتنهم، مظهرين له إبقاءه على إمارته ليسكت عن مخالفتهم حتى إذا انتهى إلى نواحي الشام عزلوه واستعملوا مكانه يزيد بن أبي سفيان، فما كان بين خروج أسامة ورجوعه إلى المدينة إلا نحواً من أربعين يوماً، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله (صلي الله عليه وآله) فتأمر علي وعزمني (1).

فغضب الخلافة كان تواطؤ بين الذين تصدوا للغصب وبين آخرين كبعض بني تميم وبني عدي وطوائف من قريش والسرّ في أن بني مخزوم وبني أمية وغيرهم من صناديد قريش لم يتصدوا لغصبها بأنفسهم وإنما حملوا ابن أبي قحافة على ذلك، لعدم سابقيتهم في الإسلام وسرعة توجه التهمة إليهم بمعادة أمير المؤمنين علي (صلي الله عليه وآله) وأهل بيته، بل بمعادة الأنصار أيضاً، فحملوا ابن أبي قحافة على أكتاف الناس رغماً لعلي (عليه السلام) ولهم (2).

وقد ورد في الحديث عن الإمام العسكري (عليه السلام) حيث سأله أحد أصحابه أن أحد المخالفين طرح عليه هذه الشبهة أن فلاناً وفلاناً هل أسلما طوعاً أو كرهاً، فقال (عليه السلام): «لم لم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوارة وفي سائر الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال، من قصة محمد (صلي الله عليه وآله) ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أن محمداً يسלט على العرب كما كان بخت نصر سلت على بني إسرائيل، ولا بد له من الظفر بالعرب كما ظفر بخت نصر ببني إسرائيل».

ص: 137

1- الصوارم المهركة: ص 290.

2- الصوارم المهركة: ص 290.

ثم قال (عليه السلام): «فأتيا محمداً فساعدها على شهادة أن لا إله إلا الله وبايعاه طمعاً في أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره واستتبت أحواله، فلما آيسا من ذلك تلثما وصعدا العقبة مع عدة من أمثالهما من المنافقين على أن يقتلوه (صلي الله عليه و آله) فدفع الله تعالى كيدهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتى طلحة والزبير علياً (عليه السلام) فبايعاه وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلما آيسا نكثا بيعته وخرجا عليه» الحديث(1).

العقل والعاطفة

مسألة: من أساليب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شفع الدليل العقلي بالإثارة العاطفية، وتحريك العواطف نحو الالتزام بالحق أو الدفاع عن المظلوم، وقد ثبت ذلك في (علم النفس) أيضاً، وربما كان من ذلك قوله تعالى: «وإنك لعلی خلق عظیم»(2)، وقوله سبحانه: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»(3).

وهذا (4) هو ما صنعتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) حيث استشارت همم الأنصار بقولها: «يا معشر النقيبة أو الفتية» تحريماً للفتوة فيهم، وبقولها: «وأعضاد

ص: 138

1- كمال الدين: ج 2 ص 463 ب 43 ضمن ح 21.

2- سورة القلم: 4.

3- سورة آل عمران: 159.

4- أي الشفع بين الدليل العقلي والعاطفي.

.....
الملة...» تذكيراً لهم بماضيهم المشرق.

لا يقال: كيف خاف أولئك الذين آووا ونصروا كما في القرآن الحكيم(1) وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الرسول (صلي الله عليه وآله) والإسلام؟

لأنه يقال: من الواضح أن الناس يرهبون حكومات الانقلاب دائماً، فإن الحكومة العسكرية عادة تنسف الناس مالأً وعرضاً ودمماً، وفي حياة الرسول (صلي الله عليه وآله) كان (صلي الله عليه وآله) هو قطب الرحي وعمود الخيمة الذي يستندون إليه وإلى حكومته وكانت به استقامتهم وصبرهم وصمودهم، فلما توفي (صلي الله عليه وآله) وتحولت الحكومة إلى حكومة عسكرية إرهابية وتعرضوا لامتحان عسير، سقطوا في الامتحان وتراجعوا حتى عن الدفاع بالكلام إلا القليل منهم.

وكان ذلك كما أخبر جل وعلا: «أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(2). وكما جرى على مر التاريخ بالنسبة إلى الكثير من الأقبام، حيث قال تعالى: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين»(3)، و...

وبالنسبة إلى الكثير من الأفراد حتى من امتلك الاسم الأعظم كما في قصة بلعم بن باعوراء(4) حيث قال سبحانه:

ص: 139

1- قال تعالى: «ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض» سورة الأنفال: 72.

2- سورة آل عمران: 144.

3- سورة الصف: 5.

4- راجع قصص الأنبياء للجزائري: ص 311 الفصل العاشر في قصة بلعم بن باعوراء...

«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين»(1).

وتلك هي سنة الله في الحياة: «ألم * أحسب الناس أن يتركوا أنيقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»(2).

هذا مضافاً إلى أن العديد ممن كانوا يدعون الإسلام كانوا يبغضون أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لأجل هلاك آبائهم وإخوانهم وأولادهم بيده (عليه السلام) في غزوات النبي (صلي الله عليه وآله) حتى روي أنه لم يكن بيت من قریش إلا ولهم عليه دعوى دم أراقه في سبيل الله(3)، فإن المشركين عندما كانوا يهاجمون رسول الله (صلي الله عليه وآله) حتى يقتلوه كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو الذي يدافع عن الرسول (صلي الله عليه وآله) ويقتل المشركين.

وكان العديد منهم يحسدون أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) على ما آتاه الله من فضله، خصوصاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم ومن أشبه.

قال تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»(4).

وفي الحديث الشريف: «يعني بالناس ههنا أمير المؤمنين والأئمة»(5).

ص: 140

1- سورة الأعراف: 175.

2- سورة العنكبوت: 1-3.

3- راجع الصوارم المهركة: ص 289.

4- سورة النساء: 54.

5- تفسير القمي: ج 1 ص 140 سورة النساء.

بين طائفتين

مسألتان: استعداد طائفة من المؤمنين على طائفة أخرى محرم، قال تعالى: «فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَدَابٌ أَلِيمٌ» (1). وقال سبحانه: «وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» (2). وقال عز وجل: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» (3).

وقال تعالى: «فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» (4).

والاستنصار بطائفة على طائفة أخرى دفاعاً عن الحق والمظلوم واجب، قال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْحَابُهَا يُبَیِّنُهَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْحَابُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَمُوا أَنْ يُلْقُوا إِلَيْهَا يُلْقُونَ فِيهَا كَلْعًا خَالِطَةً وَسُجُوجًا» (5). ولذلك استنصرت فاطمة الزهراء (عليها السلام) الأنصار على المهاجرين كما هو أبين من الشمس.

بل قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبِيعَ صَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (6).

ص: 141

1- سورة البقرة: 178، وسورة المائدة: 94.

2- سورة البقرة: 190، وسورة المائدة: 87.

3- سورة المائدة: 91.

4- سورة المؤمنون: 7، وسورة المعارج: 31.

5- سورة الحجرات: 9.

6- سورة الحجج: 40.

وأعضاء الملة(1) وأنصار الإسلام(2)

المشتق بلحاظ حال التلبس

مسألة: المشتق حقيقة فيما انقضى عنه المبدأ بلحاظ حال التلبس، فإطلاقها (عليها السلام) (أعضاء الملة) عليهم حقيقة بهذا اللحاظ، ومجاز لو أريد الحال الحاضر - أي حال الخطاب -.

أو يقال(3): إن هذا الإطلاق وأشباهه مبني على الحال الغالب وليس على المفردات كلها، وهم كانوا كذلك في طابعهم العام وإن لم ينصروها (عليها السلام) في فذك.

أو يقال: إن هذه كانت صفتهم إلى الخطاب، أما بعده فسقطوا عنها لتخليهم عنها (عليها السلام) في فذك، وعن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة وسائر ما يتعلق بها.

والذي يدل على ذلك قولها (عليها السلام) فيما سيأتي: «فأني حزتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان».

وقد ورد عن رسول الله (صلي الله عليه وآله): «من أصبح لا- يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين، ومن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجب فليس من المسلمين»(4).

ص: 142

1- وفي بعض النسخ: وأعوان الملة.

2- وفي بعض النسخ: وحصنة الإسلام.

3- لا يخفى أن مآل هذا القول ولاحقه إلى أن الإطلاق حقيقي.

4- الجعفریات: ص 88 باب وجوب الاهتمام بأمر المسلمين وإعانتهم.

قولها (عليها السلام): «وأعضاء الملة»، الأعضاد: جمع عضد، وهو عبارة عن: الأعوان، ولذا يقال: عضده بمعنى: نصره إي صار عضداً له.

و«الملة»: الأمة التي على طريقة واحدة.

قولها (عليها السلام): «وأنصار الإسلام» فإنهم كانوا ينصرون الإسلام في صلاته وصيامه وحجه وجهاده وزكاته وسائر شؤونه، فيقال: أنصار الإسلام باعتبار المبدأ والدين، كما يقال: أنصار المسلمين أو أنصار زيد وعمرو باعتبار الفرد أو الأفراد.

وفي الحديث: إن جابراً كان يتوكأ على عصاه وهو يدور في سلك الأنصار ومجالسهم ويقول: علي خير البشر فمن أبي فقد كفر، يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي (عليه السلام) فمن أبي فانظروا في شأن أمه (1).

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله (صلي الله عليه وآله) ذات يوم وهو آخذ بيد علي ابن أبي طالب وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر» الحديث (2).

وفي بعض النسخ (وحضنة الإسلام) فإنهم احتضنوا نواة الإسلام في المدينة قبل مجيء الرسول (صلي الله عليه وآله) وبعده، ولكن في قصة الامتحان في الخلافة تغيرت المعادلة

ص: 143

1- الأماي للشيخ الصدوق: ص 76-77 المجلس 18 ضمن ح 6.

2- الأماي للشيخ الصدوق: ص 206-207 المجلس 37 ضمن ح 7.

وفي كتاب كتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية: «... إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قبضه الله إليه ونحن أهل بيته أحق الناس به، فقلنا: لا يعدل الناس عنا ولا يبخسوننا حقنا، فما راعنا إلا والأنصار قد صارت إلى سقيفة بني ساعدة يطلبون هذا الأمر، فصار أبو بكر إليهم وعمر فيمن تبعهما، فاحتج أبو بكر عليهم بأن قريشاً أولى بمقام رسول الله (صلي الله عليه وآله) منهم، لأن رسول الله (صلي الله عليه وآله) من قريش وتوصل بذلك إلى الأمر دون الأنصار، فإن كانت الحجة لأبي بكر بقريش، فنحن أحق الناس برسول الله (صلي الله عليه وآله) ممن تقدمنا، لأننا أقرب من قريش كلها إليه وأخصهم به»(1).

نصرة الإسلام

مسألة: عضد الملة ونصرة الإسلام من الواجبات، ومن الواضح أن الإسلام الذي ارتضاه الله للناس هو مشروع بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث كمل الدين وأتمت النعمة بولايته (عليه السلام) وعند ذلك رضي الله الإسلام ديناً لنا، قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»(2).

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له نصراً، فأما

ص: 144

1- الفصول المختارة: ص 287.

2- سورة المائدة: 3.

عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل (عليه السلام) لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أممي، فمؤمنو أممي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أممي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضا لأهل بيتي وشيعتي ما فرج الله صدره إلا عن النفاق» (1).

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوج رسول الله (صلي الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام) تحدثن نساء قريش وغيرهن وعيرنها وقلن: زوجك رسول الله (صلي الله عليه وآله) من عائل لا مال له.

فقال لها رسول الله (صلي الله عليه وآله): «يا فاطمة أما ترضين أن الله تبارك وتعالى اطلع اطلاعة إلى الأرض فاختر منها رجلين: أحدهما أبوك والآخر بعلك، يا فاطمة كنت أنا وعلي نورين بين يدي الله عز وجل مطيعين من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزءين جزء أنا وجزء علي».

ثم إن قريشا تكلمت في ذلك وفشا الخبر فبلغ النبي (صلي الله عليه وآله) فأمر بلالا فجمع الناس وخرج إلى مسجده ورقي منبره يحدث الناس بما خصه الله تعالى من

الكرامة وبما خصص به عليا وفاطمة (عليها السلام) فقال: «يا معشر الناس إنه بلغني مقالتم وإني محدثكم حديثا فعوه واحفظوه مني واسمعوه فإنني مخبركم بما خصص به أهل البيت وبما خصص به عليا (عليه السلام) من الفضل والكرامة وفضله عليكم، فلا تخالفوه فتقلبوا على أعقابكم ومن يتقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين، معاشر الناس إن الله قد اختارني من خلقه فبعثني إليكم رسولا واختار لي عليا خليفة ووصيا، معاشر الناس إنني لما أسري بي إلى السماء وتخلف عني جميع من كان معي من ملائكة السموات وجبرئيل والملائكة المقربين ووصلت إلى حجب ربي دخلت سبعين ألف حجاب بين كل حجاب إلى حجاب من حجب العزة والقدرة والبهاء والكرامة والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار، حتى وصلت إلى حجاب الجلال فناجيت ربي تبارك وتعالى وقمت بين يديه وتقدم إلي عز ذكره بما أحبه وأمرني بما أراد، لم أسأله لنفسي شيئا في علي (عليه السلام) إلا أعطاني ووعدني الشفاعة في شيعته وأوليائه، ثم قال لي الجليل جل جلاله: يا محمد من تحب من خلقي؟

قلت: أحب الذي تحبه أنت يا ربي.

قال لي جل جلاله: فأحب عليا، فإنني أحبه وأحب من يحبه.

فخررت لله ساجدا مسبحا شاكرا لربي تبارك وتعالى.

فقال لي: يا محمد، علي وليي وخيرتي بعدك من خلقي، اخترته لك أخا ووصيا ووزيرا وصفيا وخليفة وناصر لك على أعدائي، يا محمد وعزتي وجلالي لا يناوي عليا جبار إلا قصمته، ولا يقاتل عليا عدو من أعدائي إلا هزمته وأبدته، يا محمد إنني اطلعت على قلوب عبادي فوجدت عليا أنصح

خلقي لك وأطوعهم لك، فاتخذه أبا وخليفة ووصيا وزوجه ابنتك فإني سأهب لهما غلامين طيبين طاهرين تقيين نقيين، فبي حلفت وعلى نفسي حتمت أنه لا يتولين عليا وزوجته وذريتهما أحد من خلقي إلا رفعت لواءه إلى قائمة عرشى وجنتي وبحبوحه كرامتي وسقيته من حظيرة قدسي، ولا يعاديهم أحد ويعدل عن ولايتهم يا محمد إلا سلبته ودي وباعدته من قربي وضاعفت عليهم عذابي ولعنتي..

يا محمد إنك رسولي إلى جميع خلقي وإن عليا وليي وأمير المؤمنين وعلى ذلك أخذت ميثاق ملائكتي وأنبيائي وجميع خلقي من قبل أن أخلق خلقا في سمائي وأرضي محبة مني لك يا محمد ولعلي ولولدكما ولمن أحبكما وكان من شيعتكما ولذلك خلقتهم من خليقتكما.

فقلت: إلهي وسيدي فاجمع الأمة عليه، فأبى علي وقال: يا محمد إنه المبتلى والمبتلى به وإني جعلتكم محنة لخلقي أمتحن بكم جميع عبادي وخلق في سمائي وأرضي وما فيهن، لأكمل الثواب لمن أطاعني فيكم وأحل عذابي ولعنتي على من خالفني فيكم وعصاني وبكم أميز الخبيث من الطيب، يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت آدم، ولولا علي ما خلقت الجنة، لأنني بكم أجزي العباد يوم المعاد بالثواب والعقاب، وبعلي وبالائمة من ولده أنتقم من أعدائي في دار الدنيا، ثم إلي المصير للعباد والمعاد، وأحكمكما في جنتي وناري فلا يدخل الجنة لكما عدو ولا يدخل النار لكما ولي، وبذلك أقسمت على نفسي

ثم انصرفت فجعلت لا أخرج من حجاب من حجب ربي ذي الجلال والإكرام إلا سمعت في النداء ورائي: يا محمد قدم عليا، يا محمد استخلف عليا، يا محمد أوص إلى علي، يا محمد واخ عليا، يا محمد أحب من يحب عليا، يا محمد استوص بعلي وشيعته خيرا.

فلما وصلت إلى الملائكة جعلوا يهنئونني في السماوات ويقولون: هنيئا لك يا رسول الله بكرامة لك ولعلي.

معاشر الناس علي أخي في الدنيا والآخرة ووصيي وأميني علي سري وسر رب العالمين ووزيرني وخليفتي عليكم في حياتي وبعد وفاتي، لا يتقدمه أحد غيري، وخير من أخلف بعدي، ولقد أعلمني ربي تبارك وتعالى أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين ووارثي ووارث النبيين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين من شيعته وأهل ولايته إلى جنات النعيم بأمر رب العالمين، يبعثه الله يوم القيامة مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، بيده لوائي لواء الحمد يسير به أمامي وتحتة آدم وجميع من ولد من النبيين والشهداء والصالحين إلى جنات النعيم حتما من الله محتوما من رب العالمين، وعد وعدنيه ربي فيه ولن يخلف الله وعده وأنا على ذلك من الشاهدين»(1).

ص: 148

ما هذه الغمزة (1) في حقي؟

الغمز من قناة الحق

مسألتان: يحرم الغمز من قناة الحق، كما يحرم الضعف عن الدفاع عن الحق إن أدى إلى تضييعه، وتتأكد الحرمة إذا كان حقاً متعلقاً بأولياء الله الصالحين، فكيف بحق سيدة نساء العالمين (عليها السلام).

فإن الحرمة كما تتأكد بلحاظ الزمان (كالمعصية في شهر الصيام أو ليلة القدر أو يوم الجمعة) والمكان (كشرب الخمر في المسجد وشبهها) كذلك تتأكد بلحاظ المنسوب إليه، مثلاً اتهام شخص عادي محرم، واتهام المؤمن العالم أشد حرمة، واتهام رسول الله (صلي الله عليه وآله) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) أشد بمراتب وقد يوجب الكفر والارتداد، حسب الموازين المذكورة لهما في الأصول والفقه، وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) عندما وقف على مصرع ولده الأكبر (عليه السلام): «ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع» (2).

ومن هنا أفتى الفقهاء بأنه من زنى في شهر رمضان نهاراً أقيم عليه الحد وعوقب زيادة عليه لانتهاكه حرمة شهر رمضان (3)، وكذلك الحكم في شارب الخمر في شهر رمضان (4)، وكل من فعل شيئاً من المحظورات إن كان عليه حد

ص: 149

1- وفي بعض النسخ (والغميرة) بالراء وهو بمعنى الحقد، أو بمعنى الستر.

2- إعلام الوری: ص 246 الفصل الرابع.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 87 ص 279 كتاب الحدود والتعزيرات.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 87 ص 280 كتاب الحدود والتعزيرات.

أقيم عليه وعزر لانتهاكه حرمة شهر الصيام.

ومن زنى في حرم الله وحرم رسوله (صلي الله عليه وآله) أو في حرم إمام (عليه السلام) حد للزنا وعزر لانتهاكه حرمة حرم الله وأوليائه (عليهم السلام) وكذلك من فعل شيئاً يوجب عليه حداً في مسجد أو موضع عبادة وجب عليه مع الحد التعزير(1).

ويغلظ عقاب من أتى محظوراً في ليالي الجمع وأيامها وليالي العبادات وأيامها كليلة النصف من شعبان وليلة الفطر ويومه، ويوم سبعة وعشرين من رجب، وخمسة وعشرين من ذي القعدة، وليلة سبع عشرة من ربيع الأول ويومه، وليلة الغدير ويومه، وليلة عاشوراء ويومه(2).

وقال (رحمة الله) أيضاً: من نكح امرأة ميتة كان الحكم عليه الحكم في نكاح الحية سواء، وتغلظ عقوبته لجرأته على الله عز وجل في انتهاك محارمه والاستخفاف بما عظم فيه الزجر ووعظ به العباد(3).

ومعنى الغمزة: أن يشيروا بأن لا حق لها إن كانت بمعنى الطعن، أو معناها: الضعف عن المطالبة بحقها وهو الأنسب للقرينة المقامية وبقرينة (والسنة). فالتقاعس عن الحق محرم وله أثره الوضعي في الدنيا قبل الآخرة.

وقد قال الرسول (صلي الله عليه وآله) في دعائه يوم غدير خم لأمر المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله»(4)، وهو يشمل كل

ص: 150

1- المقنعة: ص 782 باب حدود الزنا.

2- المقنعة: ص 782 باب حدود الزنا.

3- المقنعة: ص 790 باب الحد في نكاح الأموات.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 245.

أهل البيت (عليه السلام) إلى الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) (1)، ودعاء الرسول (صلي الله عليه وآله) مستجاب قطعاً كما نشاهد ذلك تاريخياً بالنسبة إلى الذين خذلوا أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) أو نصروهم.

وقد استنصر أمير المؤمنين (عليه السلام) المهاجرين والأنصار فلم ينصروه، وفي احتجاجه (عليه السلام) مع القوم قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد (صلي الله عليه وآله) من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس، فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم، ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأننا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم».

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر، وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي (عليه السلام): «يا هؤلاء كنت أدع رسول الله (صلي الله عليه وآله) مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحداً يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتتموه، ولا علمت أن رسول الله (صلي الله عليه وآله) ترك يوم غدير خم

ص: 151

1- ليس المقصود التعميم، للمناطق والملاك القطعي فقط بل لوضوح كونهم نوراً واحداً، كما أن علياً نفس الرسول بشهادة قوله تعالى: «وأنفسنا وأنفسكم» سورة آل عمران: 61، وهذا مع أن الأدلة على خذلان من خذل أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة جداً.

لأحد حجة ولا لقائل مقالاً، فانشد الله رجلاً سمع النبي (صلي الله عليه وآله) يوم غدیر خم يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع».

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بديراً بذلك، وكنت ممن سمع القول من رسول الله (صلي الله عليه وآله) فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي (عليه السلام) عليّ، فذهب بصري، قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت، وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي (عليه السلام) ففسخ المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك(1).

وبشكل عام لا يجوز التقاعس عن نصره أهل الحق مطلقاً، بل نصرتهم واجبة، وعدمها لها أثره الوضعي، لكنه كالكلي المشكك وبالنسبة إلى غيرهم (عليهم السلام) في مرتبة دون مرتبتهم (عليهم الصلاة والسلام) حسب اختلاف الموضوع ودرجته

ص: 152

1- الاحتجاج: ص 74-75 ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله) من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة..

الحق القديم

مسألة: ليس (الزمان) من مسقطات الحق، فإن الحق القديم لا يبطله شيء كما ورد، على خلاف ما تذهب إليه القوانين الوضعية في عدد من الحقوق، وقد خطب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا وإن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»⁽¹⁾.

فإذا كانت ظلامتها (عليها السلام) لا تزال قائمة - كما هو كذلك في العديد من القضايا ومنها فدك وغصب الخلافة - فإن الضعف عن الدفاع عنها والسنة عن ظلامتها محرم على عامة الناس في هذا الزمن أيضاً.

فقولها (عليها السلام): «ما هذا الغميمة عن حقي» وإن لم يشمل الأجيال اللاحقة خطاباً مباشراً إلا أنه يشملهم ملاكاً وضرورة.

ص: 153

1- شرح نهج البلاغة: ج 1 ص 269. خطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس.

التواني في ظلامتها (عليها السلام)

مسألة: الظاهر أن مثل هذا العتاب يقتضي الحرمة، بقرينة المقام وغيره.

قولها (عليها السلام): «والسنة عن ظلامتي» السنة: هي النعاس وأول النوم، قال سبحانه: «لا تأخذه سنة ولا نوم»⁽¹⁾، كأنهم بعدم اعتنائهم بظلامتها وقصيتها (صلوات الله عليها) في حالة نوم ونعاس، كمن هو كذلك حيث لا يسمع ولا يرى ولا يجيب.

والظلامه: بالضم كالمظلمة، بمعنى ما يأخذه الظالم فتطلبه عنده، فإنهم لم يساعدوها (عليها الصلاة والسلام) في استرجاع فذك وخلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

روي أن فاطمة (عليها السلام) جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقالت: يا أبا بكر من يرثك إذا مت؟ قال: أهلي وولدي.

قالت: فما لي لا أرث رسول الله (صلي الله عليه وآله)؟

قال: يا بنت رسول الله إن النبي لا يورث! ولكن أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله وأعطي ما كان يعطيه.

ص: 154

قالت: والله لا أكلمك بكلمة ما حييت، فما كلمته حتى ماتت (1).

وقد أخبرها (عليها السلام) رسول الله (صلي الله عليه وآله) بما يجري عليها من الظلم، حيث روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت فاطمة (عليها السلام) على رسول الله (صلي الله عليه وآله) وهو في سكرات الموت، فانكبت عليه تبكي، ففتح عينه وأفاق ثم قال (صلي الله عليه وآله): «يا بنية أنت المظلومة بعدي وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرك فقد سرنني، ومن برك فقد برني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبي».

ثم قال (صلي الله عليه وآله): «إلى الله أشكو ظالميك من أمتي» ثم دخل الحسن والحسين 3 فانكبا على رسول الله (صلي الله عليه وآله) وهما يبكيان ويقولان: «أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله» فذهب علي (عليه السلام) لينحيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثم قال: «يا علي دعهما يشماني وأشمهما، ويتزودان مني وأتزود منهما، فإنهما مقتولان بعدي ظلما وعدوانا، فلعنة الله على من يقتلهما» ثم قال: «يا علي وأنت المظلوم المقتول بعدي وأنا خصم لمن أنت خصمه يوم القيامة» (2).

وعن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله (صلي الله عليه وآله) الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقليله: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد

ص: 155

1- بحار الأنوار: ج 29 ص 206 ب 11 نزول الآيات في أمر فلك وقصصه وجوامع الاحتجاج فيه.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 497-498.

ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي»، فسمعت ذلك فاطمة (عليها السلام) فبكت فقال لها رسول الله (صلي الله عليه وآله): «لا تبكين يا بنية» فقالت: «لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله» فقال لها: «أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي»(1).

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «ما رثيت فاطمة (عليها السلام) ضاحكة قط منذ قبض رسول الله (صلي الله عليه وآله) حتى قبضت»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «البكاءون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين (عليهم السلام)، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له «تَاللَّهِ تَقْتَوًا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»(3)، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة فبكت على رسول الله (صلي الله عليه وآله) حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد أذيتنا بكثرة بكائك، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى

ص: 156

1- الأماي للطوسي: ص 188 المجلس 7 ح 316.

2- بحار الأنوار: ج 43 ص 196 ب 7.

3- سورة يوسف: 85.

أما كان رسول الله (صلي الله عليه وآله) أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟

إشارة

له: جعلت فداك إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون»⁽¹⁾ إني لم أذكر مصرع بني فاطمة (عليهم السلام) إلا خنقتني لذلك عبرة»⁽²⁾.

أما كان رسول الله أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»⁽³⁾؟

الاستشهاد بكلام المعصوم (عليه السلام)

مسألة: يستحب الاستشهاد بكلام الرسول (صلي الله عليه وآله) وإن كان بمضمونه مثلاً سائر، فإن إسناده إليه (صلي الله عليه وآله) أولى وأفضل، لكونه (صلي الله عليه وآله) حجة دون الأمثال، كما استشهدت (عليها السلام) بقوله (صلي الله عليه وآله): «المرء يحفظ في ولده». ومن ذلك يعرف أن المثل إذا استشهد به المعصوم (عليه السلام) صار حجة وأمكن التمسك بإطلاقه أو عمومه إلا إذا لم يكن (عليه السلام) في مقام البيان من تلك الجهة كما لا يخفى.

قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) لابنته سكينه (عليها السلام): «هيئات لو ترك القطا لنا»⁽⁴⁾.

ص: 157

1- سورة يوسف: 86.

2- وسائل الشيعة: ج 3 ص 280-281 ب 87 ح 3655.

3- وفي بعض النسخ: (أما كان رسول الله أن يحفظ).

4- بحار الأنوار: ج 45 ص 47 بقية الباب 37.

وفي رواية أنه (عليه السلام) قالها لأخته العقيلة زينب (عليها السلام) (1).

وفي الرواية: «الناس على دين ملوكهم» (2).

وفي الرواية: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» (3).

وفي الرواية: «الناس بالناس» (4).

وعن رسول الله (صلي الله عليه وآله): «إذا لم تستح فافعل ما شئت» (5).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «إنَّ العرقَ دساس» (6).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «الجار ثم الدار» (7).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «الحرب خدعة» (8). وعنه (صلي الله عليه وآله): «سيد القوم خادمهم» (9).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «خير الأمور أوسطها» (10).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «ربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (11).

ص: 158

1- راجع بحار الأنوار: ج 45 ص 2 ب 37.

2- كشف الغمة: ج 2 ص 21.

3- الكافي: ج 8 ص 177 ح 197 عن أبي عبد الله (عليه السلام).

4- بحار الأنوار: ج 75 ص 135 ب 21 ح 3. تحف العقول: ص 278.

5- مستدرک الوسائل: ج 8 ص 466 ب 93 ح 10030.

6- مكارم الأخلاق: ص 197.

7- وسائل الشيعة: ج 7 ص 112-113 ب 42 ح 8884.

8- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 378 ح 5794.

9- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 378 ح 5791.

10- غوالي اللآلي: ج 1 ص 296 ح 199.

11- الكافي: ج 1 ص 403 ح 1.

وعنه : «العجلةُ من الشيطان»(1).

وعنه (صلي الله عليه وآله): «عند جهينة الخبر اليقين»(2).

يحفظ المرء في ولده

مسألة: يجب حفظ المرء في ولده في الجملة، للأدلة الدالة على بعض المصاديق، ولكون قوله (صلي الله عليه وآله): «المرء يحفظ في ولده» إنشاء بصيغة إخبار كقوله (عليه السلام): «يعيد صلاته»، وقد يستحب ذلك، فالجواب في مورده(3) والاستحباب كذلك.

ومعنى (حفظ المرء في ولده) إيصال حقه إليهم ورعاية الاحترام اللائق بهم لنسبتهم به، إلى غير ذلك من الأمور المادية والمعنوية.

قال (عليه السلام): «أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله (صلي الله عليه وآله) حرمة رسول الله، وأن حرمة رسول الله حرمة الله تعالى»(4).

ومن هنا أخذ يخاطب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ويقول: «أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين، المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه...»(5).

ص: 159

1- تحف العقول: ص 43 ح 58.

2- بحار الأنوار: ج 52 ص 187 ب 25 ح 11.

3- كالإرث وشبهه.

4- تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص 35.

5- الإرشاد: ج 2 ص 97.

هذا والعجب أن عائشة كانت تطالب بحرمة رسول الله (صلي الله عليه وآله) فيها، وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وأهل بيته الطاهرون (عليهم السلام) لم يراع في حقهم حرمة رسول الله (صلي الله عليه وآله).

وفي الحديث: إن بعد حرب جمل لما عزم أمير المؤمنين (عليه السلام) على المسير إلى الكوفة، أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك، وأنفذ الإمام معها رعاية لها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلائس وقلدهن السيوف وأمرهن أن يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها، فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي، بعث معي الرجال (1) ولم يحفظ بي حرمة رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فلما قدم المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بدم أمير المؤمنين (عليه السلام) وسبه، وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ في حرمة رسول الله (صلي الله عليه وآله) (2).

قولها (عليها السلام): «أما كان رسول الله (صلي الله عليه وآله) أبي يقول: المرء يحفظ في ولده»، فإن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) استدلت بنمطين من الاستدلال:

النمط الأول: أنها (عليها السلام) مع الحق، والحق معها، وأنها مظلومة، فاللازم الانتصار لها وأخذ ظلالتها من الخصم وردها إليها.

النمط الثاني: أنها ابنة رسول الله (صلي الله عليه وآله)، واللازم أن يحفظ رسول الله (صلي الله عليه وآله) فيها، حيث قال: «المرء يحفظ في ولده»، فإن حفظ الأولاد وقضاء حوائجهم

ص: 160

1- هذا وقد خرجت هي مع الرجال لحرب أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم ترع ذلك بنفسها!

2- راجع الجمل: ص 415 إرسال عائشة إلى المدينة.

.....
والقيام بأمرهم هو عبارة أخرى عن حفظ الوالد.

و(في) هنا بمعنى: النسبة على قول، مثله مثل قول المتكلمين: (الواجبات الشرعية ألطف في الواجبات العقلية) أي: بالنسبة للواجبات العقلية.

أو أن (في) بمعنى: الظرفية المتسعة، فإن الظرف له اتساع يصدق مع كل من الظرفية الحقيقية والمجازية وهنا الظرفية مجازية.

هذا وقد ورد التأكيد الكبير على لزوم إكرام ذرية رسول الله (صلي الله عليه وآله).

قال النبي (صلي الله عليه وآله): «أنا شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في قضاء حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا»⁽¹⁾. وقال (صلي الله عليه وآله): «من أحبني وأحب ذريتي أتاه جبرئيل إذا خرج من قبره فلا يمر بهول إلا أجازه إياه»⁽²⁾.

وقال (صلي الله عليه وآله): «معاشر الناس إن عليا والطاهرين من ذريتي وولدي وولده هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، وكل واحد منهما منبئ عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا إنهم أمناء الله في خلقه وحكامه في أرضه، ألا وقد أدبت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أوضحت»⁽³⁾.

ص: 161

1- وسائل الشيعة: ج 16 ص 332 ب 17 ح 21690.

2- المناقب: ج 3 ص 237 فصل في حمايته لأولياته.

3- راجع اليقين: ص 351-352 ب 127.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»(1).

وفي الحديث: «إنَّ الحسين بن عليّ (عليه السلام) أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة، فقال له: انزل عن منبر أبي. فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا- منبر أبي، فقال عليّ (عليه السلام) ما هو والله عن رأبي، فقال: صدقت والله ما اتهمتك يا أبا الحسن، ثم نزل عن المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر فخطب الناس وهو جالس على المنبر معه، ثم قال: أيها الناس سمعت نبيكم (صلي الله عليه وآله) يقول: احفظوني في عترتي وذريتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم، ثلاثاً»(2).

وفي تفسير العياشي(3) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وأن الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة»

ص: 162

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 24-25 ب 31 ح 4.

2- الأماشي للطوسي: ص 703 مجلس 40 ح 1504.

3- تفسير العياشي: ج 2 ص 336 ح 58.

الولد يشمل الذكر والأنثى

مسألة: لا- فرق بين الذكر والأنثى في وجوب أو استحباب محفوظيتهما في أولادهما، فإن قوله (صلي الله عليه وآله): «يحفظ المرء في ولده» يشمل الرجل والمرأة، إذ المراد بالمرء: الإنسان، ولو كان المراد به ما هو جمع الرجل لكان الشمول بالملاك، وكان ذكره من باب الغالب، ومن الواضح أن (الولد) يطلق على الذكر والأنثى.

قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «خير أولادكم البنات»⁽¹⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سننها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له»⁽²⁾، فإن الولد يشملهما كما لا يخفى.

وقال (صلي الله عليه وآله): «إن الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»⁽³⁾.

وقال (صلي الله عليه وآله): «من سعادة المرء المسلم: الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الهنيء، والولد الصالح»⁽⁴⁾. وقال (صلي الله عليه وآله): «من سعادة المرء الخلطاء الصالحون والولد البار»⁽⁵⁾.

ص: 163

- 1- مستدرک الوسائل: ج 15 ص 116 ب 3 ح 17708.
- 2- وسائل الشيعة: ج 16 ص 174 ب 16 ح 21275.
- 3- الكافي: ج 6 ص 3 باب فضل الولد ح 10.
- 4- دعائم الإسلام: ج 2 ص 195 ف 2 ح 709.
- 5- مستدرک الوسائل: ج 15 ص 113 ب 2 ح 17692.

حق الأجيال القادمة

مسألة: من الحقوق التي ينبغي مراعاتها حق الأجيال القادمة، على تفصيل ذكرناه في بعض الكتب الاقتصادية بالنسبة إلى حيازة المباحات وما أشبهه.

فإن هناك فرقاً واضحاً بين ما لو أنها (عليها السلام) قالت: (أما قال رسول الله)، وبين قولها (عليها السلام): «أما كان رسول الله أبي يقول» فإن الثاني دال على الاستمرار دون الأول.

وقد كان (صلي الله عليه وآله) يهتم بحقوق الأجيال القادمة أيضاً، خاصة بلحاظ أن (الولد) يشمل أبناء الأبناء أيضاً (1)، وبمسؤولية المجتمع تجاه الجيل الجديد ممن توفي أبائهم بل حتى في حال حياة الآباء، خاصة إذا قلنا بأن (المرء يحفظ في ولده) دال بإطلاقه على حالتي الحياة والممات، إلا أن يقال بالانصراف، فتأمل.

هذا مضافاً إلى كثرة الروايات والآيات الواردة في مطلق الذرية مما يدل على لزوم الاهتمام بهم.

قال تعالى حكاية عن امرأة عمران: «وَإِنِّي

سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَدُرِّتُّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (2).

ص: 164

1- لاحظ قوله: (بنونا بنو أبنائنا)، ولاحظ إطلاق (ابن الرضا) على الإمام الهادي (عليه السلام) والعسكري (عليه السلام) ولاحظ قبل ذلك قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»، سورة آل عمران:

61، وإطلاق (ابني رسول الله) على الحسن والحسين 3 فالشمول بالاطلاق، وإلا فبالملك.

2- سورة آل عمران: 36.

وقال سبحانه: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ»(1)

وقال تعالى: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ»(2).

وقال سبحانه: «وأصلح لي في ذريتي»(3).

وفي الدعاء: «أعيذك نفسي وأهلي وذريتي من الشيطان الرجيم»(4).

وأيضاً: «اللهم إني أستودعك نفسي وأهلي ومالي وذريتي ودياري وآخرتي» الدعاء(5).

ص: 165

1- سورة آل عمران: 38.

2- سورة النساء: 9.

3- سورة الأحقاف: 15.

4- الكافي: ج 2 ص 585-586 باب دعوات موجزات ضمن ح 24.

5- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 271 باب ما يستحب للمسافر ضمن ح 2413.

سرعان ما أحدثتم (1)

مصدرية الخطبة

مسألة: يلزم على المؤرخين أن يعدّوا خطبتها (عليها السلام) مصدراً أساسياً ومعتمداً للأحداث التاريخية التي جرت في تلك الفترة، كما يلزم الانطلاق في (زاوية الرؤية) من المقاييس التي أعطتها (عليها السلام) في هذه الخطبة: من تقييم للأحداث أو للأشخاص.

فإن الحق ما قالوه، والصواب ما بينوه (صلوات الله عليهم أجمعين).

وفي زيارة الجامعة: «الحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعنده» (2).

وقال (عليه السلام): «سلم من صدقكم وهدى من اعتصم بكم» (3).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «... فليوال علي بن أبي طالب وذريته من بعده فهم الأئمة وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، لا تعلموهم فهم أعلم منكم» (4).

وقال (صلي الله عليه وآله): «لا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تتخلفوا عنهم فإنهم مع الحق

ص: 166

- 1- وفي بعض النسخ: (سرعان ما أجديتم فأكديتم) أجذب القوم أي أصابهم الجذب، وأكدى الرجل إذا قل خيره.
- 2- راجع البلد الأمين: ص 299 أعمال شهر ذي الحجة.
- 3- راجع تهذيب الأحكام: ج 6 ص 97 ب 46 ضمن ح 1.
- 4- راجع الخصال: ج 2 ص 558 احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام).

والحق معهم لا يزالونه»(1).

عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله (صلي الله عليه وآله) يقول، وسأله سلمان عن الأئمة فقال: «الأئمة بعدي عدد نساء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة، ألا إنهم مع الحق والحق معهم فانظروا كيف تخلفوني فيهم»(2).

وعن عمران بن حصين قال: خطبنا رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيرا، فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك، فقال: نعم الأئمة بعدي من عترتي بعدد نساء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة فمن تمسك بهم فقد تمسك بحبل الله لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم حتى يردوا علي الحوض»(3).

ص: 167

- 1- راجع كتاب سليم بن قيس: ص 646 ضمن الحديث الحادي عشر.
- 2- كفاية الأثر: ص 129-130 باب ما جاء عن حذيفة بن أسيد عن النبي (صلي الله عليه وآله).
- 3- بحار الأنوار: ج 36 ص 330 ب 41 ح 188.

الإحداث في الدين

مسألة: الإحداث في الدين محرم، والإسراع في الإحداث محرم آخر، لأن الفترة الزمانية والفاصل الزمني بين الإحداث المتأخر وبين الإحداث المسارع إليه أيضاً من مصاديق الإثم، ولما سبق أيضاً في الأجزاء السابقة، ويمكن استفادة الحرمة للمسارعة نحو الباطل من كلامها (عليها السلام) ههنا: «سرعان ما أحدثتم» بلحاظ كونها (عليها السلام) في مقام الذم والقدح والعتاب، فليتأمل.

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن السنة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقة؟

فقال (عليه السلام): «السنة ما سن رسول الله (صلي الله عليه وآله)، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»⁽¹⁾.

وقال (صلي الله عليه وآله): «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «من مشى إلى صاحب بدعة فوفره فقد مشى في هدم الإسلام»⁽⁴⁾.

وقال (صلي الله عليه وآله): «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»⁽⁵⁾.

ص: 168

1- معاني الأخبار: ص 155 باب معنى السنّة والبدعة والجماعة والفرقة ح 3.

2- فقه القرآن: ج 1 ص 133 باب أحكام الجمعة.

3- المناقب: ج 4 ص 251.

4- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 258 عقاب من ابتدع ديناً.

5- راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص 211 المجلس 24 ضمن ح 1.

وقال (صلي الله عليه وآله): «اتبعوا ولا تبتدعوا»(1).

وروي عن العالم (عليه السلام) أنه قال: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة إلى النار»(2).

وفي الحديث: «إن قليلا من سنة خير من كثير بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار»(3).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليا من أهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»(4).

قولها (عليها السلام): «سرعان ما أحدثتم»، سرعان: اسم فعل بمعنى: سرع، وفيه معنى التعجب، أي: ما أسرع ما أحدثتم في الدين وتركتم طريقة سيد المرسلين (صلي الله عليه وآله) في ترك أهل بيته وخذلانهم (عليهم السلام) وعدم الدفاع عن المظلوم وفي التواني عن الأخذ بالحق الذي قرره أبي (صلي الله عليه وآله) لي.

ص: 169

1- دعائم الإسلام: ج 1 ص 143.

2- فقه الرضا (عليه السلام): ص 383 ب 107.

3- راجع نهج الحق: ص 289.

4- الكافي: ج 1 ص 54 باب البدع والرأي والمقاييس ح 5.

حفظ واستخدام الأمثال

مسألة: يستحب حفظ الأمثال التي استعملها المعصومون (عليهم السلام) واستخدامها وتداولها في شتى المحافل المناسبة، وبهذا القصد، فإنه نوع من إحياء أمرهم (عليهم السلام) فيما لو تعنون كذلك، إضافة إلى أن استخدام الأمثال في الخطاب يجعله أكثر تأثيراً، كما قالت (سلام الله عليها): «ذا إهالة».

وكذلك كان سائر الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) يستخدمون الأمثال في الجملة، قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) كما في الخطبة الشقشقية:

شтан ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جابر (1)

وقال الإمام الحسين (عليه السلام):

فما إن طبنا جبن ولكن *** منايانا ودولة آخرينا (2)

إلى غير ذلك مما يجده المتتبع في كلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وإنما كان استخدام الأمثال راجحاً لأنه أدعى للتأثير - كما سبق - وأقرب إلى القبول، إذ الناس عندما يعتادون شيئاً، يؤثر فيهم ذلك الشيء تأثيراً أسرع وأبلغ، بخلاف مجرد ذكر الواقع من دون المؤثرات، فإن تأثيره ليس بتلك المنزلة في كثير من الأحيان.

ص: 170

1- الإرشاد: ج 1 ص 288.

2- الاحتجاج: ج 2 ص 300، مشير الأحران: ص 55، اللهوف: ص 98.

قال تعالى: «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»(1).

وقال سبحانه: «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»(2).

وقال عز وجل: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»(3).

وقال تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(4).

قولها (عليها السلام): «وعجلان ذا إهالة»، عجلان: اسم فعل بمعنى: عجل، وفيه معنى التعجب، أي: ما أعجل ترككم الإسلام وترككم للانتصار للمظلوم على الظالم.

والإهالة: عبارة عن الودك، وهو الدسومة في اللحم، قال الفيروز آبادي: قولهم: (سرعان ذا إهالة) أصلها: إن رجلاً كانت له نعيمة عجفاء وكان رغامها(5) يسيل من منخريها لهزالها، ف قيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرغام أي ما أسرع هذا الحيوان في سيلان رغامه وماء أنفه (بل دسم لحمه) أو ما أسرع دسومته في السيلان والجريان - على تقديري الحال والتمييز -.

وهذا مثل يضرب لمن يسرع في الشيء الذي ليس له، فإن فدك لم تكن

ص: 171

1- سورة إبراهيم: 25.

2- سورة الرعد: 17.

3- سورة العنكبوت: 43.

4- سورة الحشر: 21.

5- الرغام: المخاط.

لأولئك الذي غصبوها، وقد أسرعوا في غضبها، كما إن الحيوان لم يكن له ودك يخرج من أنفه.

والظاهر أن مقصودها (صلوات الله وسلامه عليها) التعجب المزيج بالاستنكار، من مسارعة الأنصار وتعجيلهم ومبادرتهم إلى ترك سنة رسول الله (صلي الله عليه وآله) في عدم نصره ابنته، مع قرب عهدهم به.

ولا تخفى دقة تشبيه حالتهم بالنعجة العجفاء التي يسيل ماء أنفها من الضعف والهزل والمرض ويتصور صاحبها - أو هكذا يحلوه له أن يصور للآخرين - إنها معافاة سليمة سمينة بحيث تسيل دسومتها من أنفها.

فهكذا كان حال خلافتهم وسلطتهم، فهي عجفاء مريضة هزيلة قبيحة المنظر وإن حاول أصحابها تصويرها سمينة سليمة، فالعملية كلها تدليس وخداع لا أكثر.

نصرة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: يجب نصرة أهل البيت (عليهم السلام) فيما يحاولون وما يطلبون ويزاولون، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب نصرتهم، وحرّم خذلانهم، وكل من النصرة والخذلان يعود نفعه إلى الناصر والخاذل.

وقد قال الرسول (صلي الله عليه وآله): «منصور من نصره ومخذول من خذله»⁽¹⁾.

وقال تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»⁽²⁾.

وقال سبحانه: «مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ»⁽³⁾.

كما قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»⁽⁴⁾.

وقال سبحانه: «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَهُ اللَّهُ شَيْئًا»⁽⁵⁾.

وقد ذكرنا في بعض الكتب أن الذين نصرّوهم نصروا في الدنيا قبل الآخرة، والذي خذلّوهم خذلوا في الدنيا قبل الآخرة.

وذلك مع ملاحظة معادلة (الامتداد الديني) في ذريته وسمعته وتاريخه،

ص: 173

1- راجع كشف الغمة: ج 1 ص 148، والمناقب: ج 3 ص 56 عن الخطيب البغدادي في تاريخه.

2- سورة الشورى: 23.

3- سورة سبأ: 47.

4- سورة الأعراف: 96.

5- سورة آل عمران: 144.

إذ النصر والخذلان لا يدوران مدار اللحظة، وليساً أنيين حتى في مثل الجيش المنتصر والجيش المنخذل، فإن المقياس ليس في النصر التكتيكي بل المقياس العقلاني هو النصر الاستراتيجي(1)، أما في الآخرة فالأمر واضح.

وفي حديث احتجاج بعض الأصحاب مع أبي بكر في أمر الخلافة «ثم قام أبو أيوب الأنصاري، فقال: اتقوا عباد الله في أهل بيت نبيكم ورددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا (صلي الله عليه وآله) ومجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي أئمتكم بعدي، ويومئ إلى علي (عليه السلام) ويقول: هذا أمير البررة، وقاتل الكفرة، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق (عليه السلام): فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا كع إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام، والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة» الحديث(2)

ص: 174

-
- 1- وانطلاقاً من هذا المنطلق الفطري والعقلاني قال الشاعر: زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم *** لكنما قتل الحسين يزيداً
 - 2- الاحتجاج: ص 79 ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله) من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة.

العصيان المدني

مسألة: يلزم التحريض على العصيان المدني وعلى النهضة الشعبية ضد الحكومة الجائرة كلاً أو ضد قرار جائر منها، لو لم يكن لإحقاق الحق طريق آخر، وهذا ما صنعتة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في مطاوي هذه الخطبة.

ومن الوسائل لذلك بعث الروح في الأفراد والفئات وإعادة ثقتهم بأنفسهم وتعريفهم بأن بمقدورهم ذلك لو أرادوا، كما قالت (عليها السلام): «ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول».

قال (عليه السلام): «من أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام»⁽¹⁾.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «مجالسة الموتى مفسدة للقلوب، فقبل له: يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل ضال عن الإيمان وجائر في الأحكام»⁽²⁾.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «من قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وأنت تطيعه»⁽⁴⁾.

ص: 175

1- كشف الريبة: ص 93 الفصل الخامس.

2- راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص 315 المجلس 37 ضمن ح 6.

3- الاختصاص: ص 261-262 حديث في زيارة المؤمن لله.

4- راجع دعائم الإسلام: ج 2 ص 541 ضمن ح 1928 كتاب آداب القضاة.

وقال (عليه السلام): «لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «من آثر رضى رب قادر فليتكلم بكلمة عدل عند سلطان جائر»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «من دخل على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا لعن القارئ بكل حرف عشر لعنات ولعن المستمع بكل حرف لعنة»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به»⁽⁵⁾.

وفي الحديث القدسي قال تعالى: «لأعذبن كل رعية دانت بإمام جائر وإن كانت في نفسها برة تقية، ولأرحمن كل رعية دانت بإمام عادل مني، وإن كانت في نفسها غير برة تقية»⁽⁶⁾.

ص: 176

1- تأويل الآيات: ص 102 سورة البقرة.

2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 12.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ح 8029.

4- الاختصاص: ص 262.

5- الجمل: ص 187 نصيحة أمير المؤمنين (عليه السلام) لعثمان.

6- الصراط المستقيم: ج 2 ص 127 ف 4.

بين القوة والطاقة

مسألتان: القدرة من شرائط التكليف عقلاً، وأما شرعاً فإن الله سبحانه وتعالى تفضلاً منه ورحمة لم يكتف في تشريع التكليف بإناباتها بالقدرة العقلية فقط، بل لم يوجه التكليف عادة إلا مع توفر القدرة العرفية وعدم حصول العسر والحرج الكثيرين وهكذا الضرر.

قال تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرج»(1).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): «لا حرج لا حرج»(2).

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «لم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من

حرج»(3).

وقال تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»(4).

وقال سبحانه: «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به»(5).

والسؤال هو هل أنه من الممكن أن الله يحمل المرء ما لا طاقة له به؟ فإن تحميل الإنسان ما لا طاقة له به خلاف العدل، والله عادل بالضرورة، فما معنى هذا الطلب؟

ص: 177

1- سورة الحج: 78.

2- راجع الكافي: ج 4 ص 504 باب من قدم شيئاً أو أخره من مناسكه ضمن ح 2.

3- راجع الكافي: ج 1 ص 191 باب في أنّ الأئمة شهداء الله (عز وجل) ضمن ح 4.

4- سورة البقرة: 185.

5- سورة البقرة: 286.

والجواب: أن المراد نهاية الطاقة مما يكون عسراً وحرماً لا أصل الطاقة، فالطلب هو طلب عدم تحميل ما هو عسر وحر، وإذا لاحظنا التكاليف الإلهية نرى النادر منها - كالجهد - عسرياً أو حرجياً، وذلك لمصلحة العبد نفسه أو لضرورة وحكمة أهم، إذ ضرر عدم الجهاد أكبر وأكثر.

قال في (متشابه القرآن): قوله تعالى: «لا تكلف نفس إلا وسعها» (1) الوسع دون الطاقة.

قال الشاعر:

كلفتها الوسع في سيرى لها أصلاً*** والوسع منها دون الجهد والرشد

وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة من أن الله تعالى يكلف العبد ما لا قدرة له عليه (2).

سئل الإمام الرضا (عليه السلام) فقيل له: هل يكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال (عليه السلام): «الله أعدل من ذلك» (3).

وفي التفسير: قوله سبحانه: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» أي ما يشتد تكليفه من العبادات المتعبة، يقال والله ما أستطيع النظر إليك ولا أطيق الاحتفال برؤيتك مع أنه يراه (4).

ولعل الفرق بين القوة والطاقة: أن الطاقة تطلق على القوى الكامنة في

ص: 178

1- سورة البقرة: 233.

2- راجع متشابه القرآن: ج 1 ص 146.

3- راجع متشابه القرآن: ج 1 ص 146.

4- راجع متشابه القرآن: ج 1 ص 146.

الإنسان نفسه، بخلاف القوة فإنها أعم، إذ قد تكون في غيره بسبب عشيرة أو سلاح أو مال أو جاه أو ما أشبه ذلك، وقد قال النبي لوط (عليه الصلاة والسلام): «لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد»(1).

ولا يخفى أن القوة اللازمة لنصرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأخذ حقها من الغاصبين كانت موجودة في القوم، مضافاً إلى أن ذلك من باب الجهاد الذي يجب على الإنسان تحمل الضرر فيه وما أشبهه.

وفي حديث المناشدة قال (عليه السلام): «أنشدكم بالله أتعلمون أن الله عزوجل أنزل في سورة الحج «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ إِذْ جَدُّوا وَاغْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(2) إلى آخر السورة فقام سلمان فقال: يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم؟»

قال (صلي الله عليه وآله): «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأمة».

فقال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله؟

فقال (صلي الله عليه وآله): «أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي».

قالوا: اللهم نعم.

قال (عليه السلام): «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قام خطيباً ولم يخطب بعد ذلك، فقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي

ص: 179

1- سورة هود: 80.

2- سورة الحج: 77.

أهل بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

فقام عمر بن الخطاب وهو شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكل أهل بيتك؟

قال: «لا ولكن أوصيائي منهم أولهم أخي ووزيري وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي هو أولهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا علي الحوض، شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله».

فقالوا كلهم: نشهد أن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال ذلك (1)

ص: 180

1- راجع الاحتجاج: ج 1 ص 149.

تبرير التقاعس

مسألة: يحرم (تبرير) عدم التصدي للطغاة ب- (عدم القدرة) أو (قوة الحكومة) أو (التخويف من بطشها) في كثير من الحالات، حيث إن القدرة موجودة، وكان من مصاديق ذلك كثير من الأنصار والمهاجرين الذي أجمعهم الخوف وأفعدهم عن نصرة الحق، ولذلك قالت (صلوات الله عليها) إتماماً للحجة عليهم وإرشاداً للأجيال القادمة: «ولكم طاقة بما أحاول».

وعند دراسة نفسية المجتمعات البشرية على مر التاريخ نكتشف أن الكثير من الذي تعللوا في عدم الدفاع عن الحق بعدم المقدرة على التصدي للحكومة، كاذبون أو مخادعون، قال تعالى: «بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره»⁽¹⁾.

قال (عليه السلام): «إذا دعاك الرجل لتشهد له على دين أو حق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»⁽²⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أیما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلوله يده إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار»⁽³⁾.

ص: 181

1- سورة القيامة: 14-15.

2- الكافي: ج 7 ص 380 باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح 3.

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 387-388 ب 39 ح 21836.

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه» (1).

وقال (عليه السلام): «من سأله أخوه المؤمن حاجة من ضر فممنعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره حشره الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق» (2).

وقال (عليه السلام): «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (3).

وقال (عليه السلام): «أيما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فرده بها سلط الله عليه شجاعا في قبره ينهش أصابعه» (4).

وقال (عليه السلام): «أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها إليه وسببها له وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره» (5).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة

ص: 182

-
- 1- راجع الأمالي للصدوق: ص 269-270 المجلس 46 ضمن ح 1.
 - 2- مشكاة الأنوار: ص 186 ب 4 ف الأول في اتخاذ الأخوان.
 - 3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 267-268 ب 146 ح 16274.
 - 4- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 437 ب 38 ح 14556.
 - 5- راجع الكافي: ج 2 ص 193-194 باب قضاء حاجة المؤمن ضمن ح 5.

وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها غيره الله يوم القيامة تعبيراً شديداً وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضائها في يدك فممنعته إياها زهداً منك في ثوابها وعزتي لا أنظر إليك في حاجة معذبا كنت أو مغفوراً لك»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِنَا أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِنَا فَاسْتَعَانَ بِهِ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ يَعْنِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَنْ يَقْضِي حَوَائِجَ عَدُوِّهِ مِنْ أَعْدَائِنَا يَعْذِبُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لَمْ يَدَعْ رَجُلٌ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَتَّى يَسْعَى فِيهَا وَيُوَاسِيهِ إِلَّا ابْتَلَى بِمَعُونَةٍ مِنْ يَأْتِمُ وَلَا يُؤْجِرُ»(3).

وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مُسْتَجِيرًا بِهِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ فَلَمْ يَجْرِهِ بَعْدَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ قَطَعَ وِلَايَةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»(4).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا اسْتَعَانَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي حَاجَةٍ وَلَمْ يَبَالِغْ فِيهَا بِكُلِّ جَهْدٍ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ» قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما تعني بقولك والمؤمنين؟ قال: «مَنْ لَدُنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى آخِرِهِمْ»(5). وعن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةٍ

ص: 183

1- الأمل للطوسي: ص 99 المجلس 4 ح 152.

2- ثواب الأعمال: ص 249 عقاب من استعان به المؤمن فلم يعنه.

3- الكافي: ج 2 ص 366 باب من استعان به أخوه فلم يعنه ح 3.

4- وسائل الشيعة: ج 16 ص 386 ب 37 ح 21834.

5- المحاسن: ج 1 ص 98 ب 28 ح 65.

أخيه ثم لم يناصره فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»(1).

وعن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبي (صلي الله عليه وآله): «لا تخب راجيك فيمقتك الله ويعاديك»(2).

هذا كله بالنسبة إلى المؤمن العادي فكيف بأهل البيت (عليهم السلام) والتقاعس عن حقهم.

عدالة الصحابة

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) هذا: أن الحاضرين في المسجد آنذاك (إلا من خرج بالدليل) عاصون آثمون حينما سمعوا بظلامتها وكانوا قادرين على دفعها فلم يفعلوا.

وحيث إن هذه المعصية من الكبائر بل من أكبرها وأشدّها(3) لذلك فإن هذا الموقف منهم وتخاذلهم عن نصره فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) أسقط من كان عادلاً منهم عن العدالة كما هو واضح. فكل ما يشترط فيه العدالة لا حق لهم فيه(4) ولا حجية لقولهم فيه(5)، أما

ص: 184

1- الكافي: ج2 ص363 باب من لم يناصر أخاه المؤمن ح4.

2- مستدرک الوسائل: ج12 ص435 ب38 ح14548.

3- لأنه تتخاذل عن نصره سيدة نساء العالمين وعن نصره أمير المؤمنين علي وهو الإمام على الخلق أجمعين، وإيذاء لها (عليها السلام) و(من أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله) ومن كان كذلك (أكبه الله على منخره في النار).

4- كإمامة الجماعة والقضاء.

5- كالشهادة.

ما يكفي فيه الوثاقفة فمن ثبتت وثاقته يكون حاله كما في بني فضال حيث سألوا: كيف نعمل بكتبهم ويوتنا منها ملاء، فقال (عليه السلام): «خذوا بما رووا وذروا ما رأوا»(1)، وكذا ما ورد في كتب ابن أبي العزاقر بعد ما ذم وخرجت فيه اللعنة(2) على تفصيل مذكور في محله.

ولا يكفي في عدالة الشخص بمعرفة حاله قبل هذه القضية إلا إذا علم أنه لم يكن من الساكتين والمتخاذلين، قال (عليه السلام): «السكوت عند الضرورة بدعة»(3)، ولو شك فهل أن وقوعه طرفاً للعلم الإجمالي قادح في استصحاب حاله أم لا، رغم كونه من شبهة الكثير في الكثير؟ فتأمل.

وقد ورد في الحديث الشريف: قال سليم ثم أقبل (عليه السلام) على سلمان فقال: «إن القوم ارتدوا بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله) إلا من عصمة الله بآل محمد»(4).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله) غير أربعة»(5).

وهكذا في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) حيث ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ارتد الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) إلا ثلاثة»(6).

ص: 185

1- الغيبة للطوسي: ص 390.

2- الغيبة للطوسي: ص 391-392.

3- غوالي اللئالي: ج 1 ص 293 ف 10 ح 175.

4- الاحتجاج: ج 1 ص 86 ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه وآله).

5- كتاب سليم بن قيس: ص 598 الحديث الرابع.

6- رجال الكشي: ص 123 ح 194، يحيى بن أم طويل.

قولها (عليها السلام): «ولكم طاقة بما أحاول»، أي: بما أريد من استرجاع فدك لأن الأنصار كانوا أقوياء(1) فكان عليهم أن يواجهوا ابن أبي قحافة ويشمروا سواعدهم لاسترجاع فدك، ولو فعلوا ذلك لردت فدك، إلا أنهم سكتوا ولم يتصدوا للدفاع.

قولها (عليها السلام): «وقوة على ما أطلب وأزاول» يقال: (زاوله) أي: مارسه وعمل لإصلاحه مثلاً، فان فاطمة (عليها الصلاة والسلام) كانت تزاول مسؤولية كبرى ومهمة خطيرة في محاولتها استرجاع فدك، والأنصار كانت لهم قوة على مساعدتها في استرجاع حقها المعتصب.

علماً بأن (فدك) لم تكن مجرد قطعة أرض بل كانت (رمزاً) للحقيقة، وكاشفاً عن كل من جبهتي الحق والباطل، أي كان لها جانب طريقي وموضوعي، ولذلك حد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حدود فدك بحدود الدولة الإسلامية. روى علي بن أسباط قال: سئل موسى بن جعفر (عليه السلام) عن حدود فدك؟ فقال: «حدها الأول عرش مصر، والحد الثاني دومة الجندل، والحد الثالثيحاء، والحد الرابع جبال أحد من المدينة»(2).

ومن هنا يعلم أن «ما أطلب» ليس مقتصراً على فدك، بل سائر الحقوق المضيعة أيضاً، ومنها الخلافة المعتصبة، ويفهم ذلك بالقرائن المقامية والمقالية الأخرى، وإن كان الظاهر المطالبة بفدك فحسب.

ص: 186

1- بل أن أربعين شخصاً لو استعدوا لكفى كما يفهم من الأحاديث.

2- الطرائف: ج 1 ص 252 ح 350.

أدلة الخصم

مسألة: استعراض أدلة الخصم في مقام الرد جائز، بل راجح وربما وجب، قال تعالى: «وَصَرَّبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» (1).

وقال سبحانه: «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (2).

وقال تعالى: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» (3).

وقال عز وجل: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (4). وقال سبحانه: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (5).

ص: 187

1- سورة يس: 78-79.

2- سورة البقرة: 80.

3- سورة البقرة: 88.

4- سورة البقرة: 275.

5- سورة المائدة: 104.

وقال تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (1).

وقال عزوجل: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» (2).

وكما ذكرت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) في هذه الخطبة عدداً من استدلالاتهم أو من دوافعهم، ومنها: «أتقولون مات محمد»؟

ولا يخفى أن الجواب محذوف وهذا من قبيل قوله سبحانه: «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (3)، وما أشبه ذلك كما ذكره البلاغ (4).

أي: أتقولون إن محمداً (صلى الله عليه وآله) مات وانتهى الأمر، أي فسقط التكليف عنا، أهذا هو الصحيح، كلا وألف كلا، إذ أن تكاليف الإسلام تكاليف دائمة، سواء مات الرسول (صلى الله عليه وآله) أم بقي على قيد الحياة، فإذا كانت حججكم للتواني والتكاسل أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد مات وانقطع أمره فهذا خطأ بين، لأن أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) لا تنقطع بموته.

ص: 188

1- سورة الأنعام: 37.

2- سورة المائدة: 18.

3- سورة الزمر: 9.

4- راجع كتاب (البلاغة) للإمام الشيرازي (رحمة الله).

.....
قال الإمام الصادق (عليه السلام): «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ولأن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً وما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا فيها ... حتى أرش الخدش وما سواها، والجلدة ونصفاً للجلدة» (1).

وفي الخبر: «إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يخبر عن وفاته بمدة ويقول قد حان مني خفوق من بين أظهركم، وكانت المنافقون يقولون: لئن مات محمد لنخرب دينه، فلما كان موقف الغدير قالوا: بطل كيدنا، فنزلت: «اليوم يؤس الذين كفروا» (2) الآية» (3).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال في قوله: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» (4) «الآية نزلت فيهم، وذلك حيث اجتمعوا فقالوا لئن مات محمد لم نسمع لعلي (عليه السلام) ولا لأحد من أهل بيته» (5).

وفي تفسير القمي: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين، قالوا: يا رسول الله ما الثقلان، قال: كتاب الله وعترتي أهليتي، فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض كإصبعي هاتين، وجمع بين سبابتيه، ولا أقول كهاتين، وجمع بين سبابته والوسطى فتفضل هذه

ص: 189

1- راجع بصائر الدرجات: ص 148 ب 13 باب آخر فيه أمر الكتب ضمن ح 7.

2- سورة المائدة: 3

3- المناقب: ج 3 ص 40 فصل في قصة يوم الغدير.

4- سورة آل عمران: 31.

5- المناقب: ج 3 ص 205 فصل في بغضه (عليه السلام).

.....
على هذه» فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاهدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فانزل الله على نبيه في ذلك «أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» (1) الحديث (2).

وعن سليمان بن خالد قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ» (3) قال: «فلان، قوله: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابُعُهُمْ» (4) فلان وفلان وابن فلان أمينهم، حين اجتمعوا فدخلوا الكعبة فكتبوا بينهم كتاباً إن مات محمد أن لا يرجع الأمر فيهم أبداً» (5).

قال العلامة المجلسي (رحمة الله): أبو فلان أبو عبيدة (6).

وفي الحديث أن بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين ارتدوا بعده قالوا: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال (7) وقال هاهنا ما قال وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له - أي لعلي (عليه السلام) - فاجتمعوا أربعة عشر نفراً وتآمروا على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء،

ص: 190

1- سورة الزخرف: 79-80.

2- تفسير القمي: ج 1 ص 173 خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير.

3- سورة المجادلة: 10.

4- سورة المجادلة: 7.

5- تفسير القمي: ج 2 ص 356

6- بحار الأنوار: ج 28 ص 86 ب 3 ح 2.

7- أي في أمر ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وخلافته من بعده.

فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما جن الليل تقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد إن فلانا وفلانا وفلانا قد قعدوا لك.

فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «من هذا خلفي».

فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان.

قال: سمعت ما سمعت.

قال: بلى.

قال: فاكنتم.

ثم دنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهم فناداهم بأسمائهم.

فلما سمعوا نداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فروا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا عقلوا وراحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) وطلبوهم وانتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى راحلهم فعرفهم.

فلما نزل قال (صلى الله عليه وآله): «ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبدا».

فجاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئا ولم يريدوه ولم يكتموا شيئا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آلته، فأنزل الله «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا» أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) «وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا» من قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) «وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

.....
مِنْ وَلِيِّ وَ لَا نَصِيرٍ»(1) فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً ثم ابتداء به الوجد الذي توفي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قولها (عليها السلام): «أقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله)» فيه إشارة وتذكير أيضاً بالآية الشريفة: «أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(2).

عند أمن الإضلال

مسألة: يختص جواز استعراض أدلة الخصم بما لم يوجب الإضلال، كما هو واضح، وذلك كما لو كان السائل - أو الجمهور - بحيث لو طرحت عليه الشبهة لأثرت فيه دون أن يقتنع بعدها بالجواب أو الأجوبة، وقد أمرنا الأئمة أن لا نكلم الناس إلا على قدر عقولهم(3)، وقال (صلى الله عليه وآله): «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»(4)، ولو كان القراء أو المستمعون مختلفين من هذه الجهة لوحظ ذلك أيضاً، أو الأهم أو ما أشبهه.

ومثله حكم كتب الضلال حيث قال الفقهاء بحرمة حفظها والتكسب بها إلا للردّ، قال في المقنعة: «ولا يحل كتب الكفر وتجليده الصحف إلا لإثبات الحجج في فسادها، والتكسب بحفظ كتب الضلال وكتبه على غير ما ذكرناه

ص: 192

1- سورة التوبة: 74.

2- سورة آل عمران: 144.

3- انظر التوحيد: ص 120 ب 8 ضمن ح 22.

4- الكافي: ج 1 ص 23 كتاب العقل والجهل ح 15.

.....
حرام»(1).

قال الشيخ (رحمة الله) في المكاسب: «حفظ كتب الضلال حرام في الجملة، بلا خلاف كما في التذكرة والمنتهى، ويدل عليه مضافاً إلى حكم العقل بوجوب قطع مادة الفساد، والذم المستفاد من قوله تعالى: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله»(2) والأمر بالإعراض عن قول الزور، وقوله (عليه السلام) فيما تقدم من رواية تحف العقول: إنما حرم الله تعالى الصناعة التي هي حرام كلها التي يجيء منها الفساد محضاً، إلى آخر الحديث. بل قوله (عليه السلام) قبل ذلك: أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي أو باب يوهن به الحق، إلى آخره»(3).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله غافر كل ذنب إلا من أحدث ديناً أو اغتصب أجيراً أجره أو رجل باع حراً»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها فطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلك على شيء تكثر به دينك ويكثر به تبعك؟

فقال: بلى.

ص: 193

1- المقنعة: ص 588-589 باب المكاسب.

2- سورة لقمان: 6.

3- إيصال الطالب إلى المكاسب: ج 2 ص 179-180 السابعة حفظ كتب الضلال.

4- وسائل الشيعة: ج 19 ص 108 ب 5 ح 24256.

.....
قال: تبتدع دينا وتدعو إليه الناس.

ففعل، فاستجاب له الناس فأطاعوه فأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت ابتدعت دينا ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتي من دعوته إليه فأرده عنه.

فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته.

فجعلوا يقولون: كذبت هو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه.

فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدا ثم جعلها في عنقه وقال: لا أحلها حتى يتوب الله عليّ.

فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان: وعزتي وجلالي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه»(1). وعن الثمالي: قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ»(2)، قال: «عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى»(3).

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ»

ص: 194

1- من لا يحضره الفقيه: ج3 ص572-573 باب معرفة الكبائر ح4958.

2- سورة القصص: 50.

3- بصائر الدرجات: ص13 ب8 ح3.

.....
النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً»(1). فقال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»(2).

وعن الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من دعي إلى ضلال لم يزل في سخط الله حتى يرجع منه»(3).

لا تقاعس بموت القائد

مسألة: يحرم تبرير التقاعس(4) بموت القائد أو غيابه، أو بعدم قيام الآخرين بالدور المناط بهم، كما نجد كثيراً من الناس يتعلل لعدم العمل بأن العالم الفلاني أو التجمع الفلاني لم يتم بواجبه من الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه أفأقوم بهما أنا؟، بل لو كان الأمر واجباً كفائياً ولم يتم من فيه الكفاية لوجب على الشخص أن يؤديه فكيف بالواجب العيني.

قال (عليه السلام): «إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذونا بوقاع من الله»(5).

ص: 195

1- سورة المائدة: 32.

2- المحاسن: ج 1 ص 231-232 ب 18 ح 181.

3- بحار الأنوار: ج 2 ص 22 ب 8 ح 64.

4- التقاعس: هو من تقاعس فلان إذا لم ينفذ ولم يمض لما كلف، راجع معاني الأخبار: ص 346 باب معنى الاقيعس.

5- أعلام الدين: ص 407 باب ما جاء من عقاب الأعمال.

.....

وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ابن عمه محمدا (صلى الله عليه وآله) فصلى عليه ثم قال: «أما بعد فإنه إنما هلكتما كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، فإنهم لما تهادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان أجلا ولا يقطعان رزقا، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس ما قدر الله من زيادة ونقصان فإن أصابت أحدكم مصيبة في أهل ومال ونفس ورأى عند أخيه عقوبة فلا يكونن عليه فتنة ينتظر إحدى الحسنين إما داع إلى الله فما عند الله خير له وإما الرزق من الله فإذا هو ذو أهل ومال والبنون لحرث الدنيا والعمل الصالح لحرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت الأحياء»(2).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن أول ما تقلبون إليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر منكرا نكس قلبه فجعل أسفلها أعلاه فلا يقبل خيرا أبدا»(3).

وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أخبرني ما أفضل الأعمال؟

فقال (صلى الله عليه وآله): «الإيمان بالله».

ص: 196

1- الزهد: ص 105-106 ب 20 ح 288.

2- غوالي اللئالي: ج 3 ص 188 باب الجهاد ح 24.

3- بحار الأنوار: ج 97 ص 82 ب 1 ح 6.

.....

قال: ثم ماذا؟

قال: «ثم صلة الرحم».

قال: ثم ماذا؟

قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

فقال الرجل: فأبي الأعمال أبغض إلى الله؟

قال: «الشرك بالله».

قال: ثم ماذا؟

قال: «قطيعة الرحم».

قال: ثم ماذا؟

قال: «الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»⁽¹⁾.

وعن أحدهما (عليهما السلام) أنه قال: «ويل لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»⁽²⁾.

ص: 197

1- بحار الأنوار: ج 97 ص 82 ب 1 ح 44.

2- الزهد: ص 19 ب 2 ح 41.

فخطب جليل، استوسع وهنه(1)، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه(2).

آثار وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) هاهنا وما سيأتي من تصريحاتها: إن وفاته (صلى الله عليه وآله) (خطب جليل استوسع وهيه...) في شتى الجهات: تكوينياً وتشريعياً، لهذا العالم ولسائر العوالم، سياسياً واجتماعياً، وفكرياً وعملياً، حالياً ومستقبلياً... وذلك للإطلاق وحذف المتعلق، وللقرائن والتصريحات اللاحقة منها(عليها السلام)، والألفاظ المشككة(3) في مثل المقام تحمل على أعلى المراتب.

وقد ورد في زيارته (صلى الله عليه وآله) يوم السبت بعد الاسترجاع ثلاثاً: «أصنبا بك يا حبيب قلوبنا، فما أعظم المصيبة بك، حيث انقطع عنا الوحي وحيث فقدناك فإننا لله وإنا إليه راجعون»(4).

روي بالأسانيد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) خبر من أحبار اليهود فقال: يا رسول الله قد أرسلني إليك قومي وقالوا إنه عهد إلينا نبينا موسى بن عمران وقال إذا بعث بعدي نبي اسمه محمد وهو عربي فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمر الوبر

ص: 198

1- وفي بعض النسخ: (استوسع وهيه).

2- وفي بعض النسخ: (واستنهر فتقه، وفقد رتقه، وأظلمت الأرض واكتأبت لخيرة الله).

3- ف- (جليل) لفظ له مراتب.

4- جمال الأسبوع: ص 29-30 ذكر زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) في يوم السبت.

.....
سود الحدق، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه، فهو سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء وهو منه كمثل أخي هارون مني.

فعند ذلك قال (صلى الله عليه وآله): الله أكبر قم بنا يا أبا اليهود.

قال: فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة وجاء إلى جبل فيسط البردة وصلى ركعتين وتكلم بكلام خفي وإذا الجبل يصير صريحا عظيما فانشق وسمع الناس حنين النوق.

فقال: اليهود مد يدك، فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن جميع ما جئت به صدق وعدل، يا رسول الله فأمهلني حتى أمضي إلى قومي وأخبرهم ليقبضوا عدتهم منك ويؤمنوا بك.

قال: فمضى الحبر إلى قومه بذلك ففروا بأجمعهم وتجهزوا للمسير وساروا يطلبون المدينة ليقبضوا عدتهم، فلما دخلوا المدينة وجدوها مظلمة مسودة بفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد انقطع الوحي من السماء وقد قبض (صلى الله عليه وآله) وجلس مكانه أبو بكر، فدخلوا عليه وقالوا: أنت خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال: نعم.

قالوا: أعطنا عدتنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال: وما عدتكم؟

قالوا: أنت أعلم منا بعدتنا إن كنت خليفته حقا، وإن لم تكن خليفته فكيف جلست مجلس نبيك بغير حق لك ولست له أهلا؟

فقام وقعد وتحير في أمره ولم يعلم ماذا يصنع، وإذا برجل من المسلمين قد قام وقال: اتبعوني حتى أدلكم على خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: 199

قال: فخرج اليهود من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا إلى منزل فاطمة الزهراء (عليها السلام) فطرقوا الباب وإذا الباب قد فتح وخرج إليهم علي وهو شديد الحزن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما رأهم قال: أيها اليهود تريدون عدتكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قالوا: نعم.

فخرج معهم إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما رأى مكانه تنفس الصعداء وقال: بأبي وأمي من كان بهذا الموضع منذ هنيئة ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق وهي سبع نوق.

فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) من عند ربنا هو الحق وأنت خليفته حقا ووصيه ووارث علمه، فجزاه الله وجزاك عن الإسلام خيرا، ورجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين» (1).

الخطب الجليل

مسألة: يستحب إلفات الناس إلى أن موت الرسول (صلى الله عليه وآله) خطب جليل، استوسع وهنه... فإن بيان وفيات المعصومين (عليهم السلام) وآثارها كبيان أفراحهم ومواليدهم داخل في قوله (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا واختر لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» (2)، وهو من

ص: 200

1- الفضائل: ص 130-132.

2- الخصال: ج 2 ص 635، وتأويل الآيات: ص 641 سورة الحديد.

.....
المشاركة الوجدانية المحبوبة عقلاً قبل أن تكون محبوبة شرعاً.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب»(1).

وفي الخصال عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «تراوروا في بيوتكم، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحى أمرنا»(2).

وقال (عليه السلام) في وصف شيعة علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «المتبادلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا»(3).

وهكذا من الراجح تذكير الناس بوفاة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وشهادتهم، وكذلك شهادة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهكذا بالنسبة إلى القادة العلماء وما ينجم عنها من الخسائر الكبيرة، وذلك من مصاديق (التعظيم) ومن أسباب التفاف الناس حول مبادئهم أكثر فأكثر، ومن علل تمسك الناس بالأحياء منهم أكثر فأكثر، وقد ورد في زيارة عاشوراء: «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض»(4).

فمن الهروي قال: سمعت الإمام الرضا (عليه السلام) يقول: «رحم الله عبداً

ص: 201

1- الأماي للشيخ الصدوق: ص 73 المجلس 17 ح 4.

2- الخصال: ج 1 ص 22 ح 77.

3- الخصال: ج 2 ص 397 في الشيعة سبع خصال ضمن ح 4.

4- انظر مصباح الكفعمي: ص 484، والبلد الأمين: ص 270، وكامل الزيارات: ص 177 ب 71 ثواب من زار الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء..

أحيى أمرنا، فقلت له: فكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسنكلامنا لاتبعونا»(1).

وقال (عليه السلام): «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»(2).

وقال (عليه السلام): «رحم الله من حببنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم»(3).

تخليد ذكرى الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب الاهتمام بذكرى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وتخليد ذكراه.

وكذلك بالنسبة إلى سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

بل وكذلك ذويهم كالسيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) وأبي طالب (عليه السلام) وحمزة (عليه السلام) ومن أشبههم، فإن قوله (صلى الله عليه وآله): «المرء يحفظ في ولده»(4) يجري في القربى أيضاً، وإنما جاء ذكر (الولد) من باب المثال الأظهر والمصداق الأوضح.

ويؤيده بل يدل عليه قوله سبحانه: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»(5).

وفي الحديث عن الأزدى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «تجلسون وتحدثون قال: قلت: جعلت فداك نعم، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، إنه

ص: 202

- 1- معاني الأخبار: ص 180 باب معنى قول الصادق (عليه السلام) من تعلم علماً ليماري به ضمن ح 1.
- 2- الحكايات: ص 93، وأعلام الدين: ص 143، وفقه الإمام الرضا (عليه السلام): ص 356.
- 3- الأمالي للشيخ المفيد: ص 31 المجلس 4 ضمن ح 4.
- 4- المناقب: ج 2 ص 206، شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 212 ب 45 ف 1.
- 5- سورة الأنفال: 75، وسورة الأحزاب: 6.

من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح ذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»(1).

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحبب أمرنا»(2). وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصاياه لشيئته: «فإن في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا» ثم قال: «رحم الله عبداً أحبب أمرنا»(3).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «إنما شيعة علي المتبازلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا» الحديث(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «اقرأ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم.. وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقاءهم حياة لأمرنا» ثم رفع يده فقال: «رحم الله من أحبب أمرنا»(5).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «نفس المهموم لظلمنا تسيح، وهمه لنا عبادة»(6).

قولها (عليها السلام): «فخطب جليل استوسع وهنه» (الخطب): الشأن،

ص: 203

1- ثواب الأعمال: ص 187 ثواب من ذكر عنده أهل البيت (عليهم السلام)...

2- كمال الدين: ج 2 ص 644 باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج ضمن ح 2.

3- مصادقة الإخوان: ص 34 باب اجتماع الاخوان في محادثتهم ضمن ح 6.

4- صفات الشيعة: ص 13 ح 23.

5- الاختصاص: ص 29.

6- الأمالي للطوسي: ص 115 المجلس 4 ح 178.

.....
و(جليل):أي عظيم، و(استوسع) بمعنى: اتسع، و(الوهن) عبارة عن: الضعف.

أي: إن الوهن والضعف الذي نجم عن وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) قد توسع واتسع، حتى عم الضعف صفوف المسلمين.

قولها (عليها السلام): «واستنهر فتقه» الإستنهار: استفعال من النهز بالتحريك، بمعنى: السعة أي: اتسع.

و(الفتق) عبارة عن الشق وهو ضد الرق، كأنه ثوب اتسع فتقه فصعب رتقه مرة ثانية.

الأمم ومسيرة الانحطاط

مسألة: مسيرة الانحراف في الأمم تبدأ بخطوة ثم تتسع، وهكذا في الفرد.

ولعل استخدامها (عليها السلام) صيغة (الاستفعال) في الفعلين للتمييز على قاعدة عامة في مسيرة الأمم المنحطة، من جهة أن من طبيعة الوهن أن يتسع، ومن طبيعة الفتق أن يتزايد، فكأنهما يطلبان مزيداً من الوهن والفتق، مثل: (استخرج) بمعنى: طلب الخروج، ومثل: (استنسر) في قول الشاعر:

(ان البغات بأرضنا تستنسر).أي: تطلب أن تكون نسرًا، فإن الأصل في الاستفعال الطلب، فهو إشارة إلى سنة اجتماعية وقاعدة هامة في علم النفس الاجتماعي، فإن التخاذل في الأمم ما إن يبدأ حتى يتسع ويتزايد، والفتن ما إن تلوح حتى تتكاثر ويعضد بعضها بعضاً، والمعاصي كذلك، فقد ورد أن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض،

وهكذا، فإن أمواج الفساد الخلقي في الأمم وسائر المحرمات كالربا والنفاق والتخاذل عن نصرة المظلوم و... تبدأ ضعيفة ثم تتسع وتمتد باطراد، فهي كالأمرض المعدية إلا أن يقف بوجهها عامل قوي.

ومما لا شك فيه أن وقتتها (عليها السلام) ضد هذه التموجات قد كبح من انطلاقتها الهائلة إلى حد كبير، وكذلك كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، وإلا لما بقي من الإسلام حتى الاسم، ولعم الظلم كل الكون بأقبح صورة حتى مجاهيل المستقبل.

ويستشعر من استخدامها (صلوات الله عليها) صيغة الاستفعال بالمعنى الذي ذكر: أن فيه تلميحاً إلى تضاعف حجم مسؤوليتهم مع علمهم بأن الفتنة في استنهاض، والوهن في توسع، وبذلك فإن تخليهم عنالدفاع عن خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله): الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - وهو (1) الطريق الوحيد للتعويض عن خلأ- فقد الرسول (صلى الله عليه وآله) ولجبر الكسر ورتق الفتق - يحملهم كافة المضاعفات السلبية والمعاصي المستقبلية التي تنتج عن موقفهم هذا.

قولها (عليها السلام): «وانفتق رتقه» الرتق ضد الفتق، كما يخاطب الثوب المفتوق، وانفتق أي: صار مرة ثانية منفتقاً بعد أن رتق، فالرسول (صلى الله عليه وآله) رتق الاجتماع رتقاً صحيحاً، بعد ما كانوا في الجاهلية منفتقين ثم بموت الرسول (صلى الله عليه وآله) انفتق ذلك الرتق ورجعوا إلى جاهليتهم الأولى.

ص: 205

1- أي الدفاع عن خليفته (صلى الله عليه وآله).

امتداد النبوة

مسألة: هناك بعدان من الأبعاد الاجتماعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية وغيرها، التي أشارت (عليها السلام) إليهما بهاتين الجملتين: (استنهر فتقه وانفتق رتقه):

1: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) رتق كثيراً مما كان منفتقاً في المجتمع وأدى ما عليه بأحسن ما يمكن.

2: إن على خليفته (صلى الله عليه وآله) المنصوص عليه بأمر من الله عزوجل أن يرتق ما بقي من الفتق أو ما سيحصل منه، فإن قصر فترة عمره (صلى الله عليه وآله) الشريف وكثرة المشاكل والحروب وعدم قابلية القابل في الكثيرين «إنك لا تهدي من أحببت» (1) وكثرة المنافقين والفتن لم تسمح بأن يحول كل مثالب المجتمع إلى محاسن، ولذلك أمره الله تعالى بأن يعين من يواصل المسيرة الإلهية الإصلاحية بقوله: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» (2).

هذا مضافاً إلى الفتق الذي سيحدث بعده (صلى الله عليه وآله)، فإنه بحاجة إلى من يكون بمنزلة نفس النبي (صلى الله عليه وآله) لكي يرتقه رتقاً صحيحاً.

وهي (عليها السلام) تشير إلى هذين البعدين في خطبتها الشريفة، فقد استنهر

ص: 206

1- سورة القصص: 56.

2- سورة المائدة: 67.

.....
واتسع ما كان منفتقاً، وقد انفتق ما رتقه (صلى الله عليه وآله).

وفي الدعاء: «اللهم اشعب بهم الصدع، وارثق بهم الفتق، وأمت بهم الجور، وأظهر بهم العدل، وزين بطول بقائهم الأرض»⁽¹⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: «فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فلم الله به الصدع ورتق به الفتق وألف به الشمل بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب»⁽²⁾.

وفي نهج البلاغة أيضاً: «إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار مُنيخون، بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»⁽³⁾.

وفيه أيضاً: «إن الله سبحانه بعث محمداً وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محللتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم»⁽⁴⁾.

وفيه أيضاً: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي، أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة، مولده بمكة وهجرته بطيبة، علا بها ذكره وامتد منها صوته، أرسله

ص: 207

1- انظر مصباح الكفعمي: ص 653 ف 46 فيما يعمل في شهر شوال.

2- نهج البلاغة، الخطب: 26 من خطبة له (عليه السلام) وفيها يصف العرب قبل البعثة.

3- نهج البلاغة، الخطب: 26 من خطبة له (عليه السلام) وفيها يصف العرب قبل البعثة.

4- نهج البلاغة، الخطب: 33 من خطبة له (عليه السلام) عند خروجه لقتال أهل البصرة.

بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية، أظهر بها الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الأحكام المفصولة»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقرؤا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمت»⁽²⁾.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال عند توجههما⁽³⁾ إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأييليه، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «أما بعد فإن الله عزوجل بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلم به الصدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميدا لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة ولأبلغ شيئا كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولى أبو بكر وبعده عمر ثم تولى عثمان، فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلتم: لا أفعل، قلتم: بلى، فقلتم: لا وقبضت يدي

ص: 208

-
- 1- نهج البلاغة، الخطب: 161 من خطبة له (عليه السلام) في صفة النبي وأهل بيته.
 - 2- نهج البلاغة، الخطب: 147 من خطبة له (عليه السلام) في الغاية من البعثة.
 - 3- أي طلحة والزبير.

فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها وحتى تداكتم علي كتداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض وبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا الأمة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي وتقضا عهدي فعجبا لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما»(1).

ص: 209

1- بحار الأنوار: ج 32 ص 98 ب 1 ح 69.

وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر(1)، وانتشرت النجوم لمصيبته

لجان الرصد العلمي

مسألة: ينبغي تشكيل لجان من ذوي الخبرة والاختصاص في الفلك وعلم طبقات الأرض(2) وغيرهما للقيام بمحاولة الرصد العلمي للارتباط التكويني بين عالم التشريع وعالم التكوين، وبين ظواهر من عوالم التكوين تطرقت الروايات إلى بيان أنها معلولة أو ملازمة لوقائع معينة اجتماعية أو فكرية أو قلبية أو ما أشبهه، كتأثير صلة الرحم في سعة الرزق وتأجيل الأجل وما أشبهه(3).

وكبكاء السماء والأرض لموت المؤمن، حيث ورد في غير المؤمنين: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»(4).

وكالأمور المذكورة في هذه الخطبة الشريفة التي وقعت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) من ظلمة الأرضوكسوف الشمس والقمر واندثار النجوم.

وكشق القمر للرسول (صلى الله عليه وآله)(5).

والحمرة في الأفق لقتل الإمام الحسين (عليه السلام)(6).

ص: 210

1- وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم).

2- ما يسمى بالجيولوجيا.

3- انظر علل الشرائع: ص 248، وكشف الغمة: ج 2 ص 206.

4- سورة الدخان: 29.

5- قال تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر» سورة القمر: 1.

6- المناقب: ج 4 ص 54 فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام).

.....
وغير ذلك.

فإن هذه الوقائع الكونية قد دل عليها القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة دون شك، إلا أن دفع شبهات المكذبين الذين لا يؤمنون بالغيب والذين يشككون ضعاف الإيمان واجب، ومن طرقة التطرق لإثبات كل ذلك بالطرق العلمية.

أما ما ورد من قول النبي (صلى الله عليه وآله): (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله) الخ . حسب ما يرويه البعض في قصة موت إبراهيم (صلوات الله عليه) فيلزم البحث السندي والدلالي لتعارضها مع ما ذكر، فإنه لا شك في انكساف الشمس وانخساف القمر في وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وكذلك كسفت الشمس لقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

قال العلامة المجلسي (رحمة الله): (بيان، قوله (صلى الله عليه وآله): «آيتان» أي علامتان من علامة وجوده وقدرته وعلمه وحكمته (لا ينكسفان لموت أحد) أي لمحض الموت بل إذا كان بسبب سوء فعال الأمة واستحقوا العذاب والتخويف أمكن أن ينكسفا لذلك كما في شهادة الحسين (عليه السلام) فإنها كانت بفعل الأمة الملعونة فاستحقوا بذلك التخويف والعذاب بخلاف وفاة إبراهيم (عليه السلام) فإنه لم يكن بفعلهم(1).

وقال (رحمة الله) في موضع آخر: (بيان: «لموت أحد» أي لمحض الموت لأنه من فعله سبحانه فلا يغضب به على عباده إلا أن يكون بسبب فعلهم فيغضب عليهم لذلك كواقعة الحسين (عليه السلام))(2).

ص: 211

1- بحار الأنوار: ج 78 ص 380-381 ب 10.

2- بحار الأنوار: ج 88 ص 155 ب 6 ح 12.

.....
ومن الممكن أن تكون تلك الرواية من باب التقية.

لا يقال: إذا كان الكسوف والخسوف يقعان نتيجة نظام كوني دقيق وحركات كونية بالغة الدقة كما ذكره أهل النجوم والفلك، فأى ربط لهما بالذنوب - كما في الروايات - أو بموت العظماء كما في هذه الأحاديث؟

لأنه يقال: من الممكن أن الله سبحانه وتعالى - هو الخالق الحكيم القادر - نظم الكون وفقاً لهذه الأحداث لأنه كان يعلم بعلمه الأزلي أوقات الذنوب والعظائم من الأ-مور فكانت الهندسة للكون بحيث يتطابق زمن الخسوف والكسوف مع وقوع الذنوب الكثيرة أو موت العظماء، فلا منافاة بين العلة الواقعية والعلة الظاهرية(1).

صلة الأرحام والآثار التكوينية

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): «وصلة الأرحام منمأة للعدد»(2).

وقال (عليه السلام): «صلة الأرحام منمأة في الأعمار، وحسن الجوار عمارة للديار، وصدقة السر مثارة للمال»(3).

ص: 212

1- لتوضيح ذلك نذكر المثال التالي: مهندس حكيم بنى داراً أو قلعة محكمة ثم زودها بأجهزة رصد واستكشاف (كعين إلكترونية مرتبطة بجهاز كمبيوتر) بحيث لو أن أي شخص حاول كسر الباب أو الدخول من النافذة فإن صفارات الإنذار ستنتطق وستسقط عليه شبكة تحتجزه في نفس النقطة فإن هذا التلازم بين دخول الشخص وبين صفارات الإنذار وسقوط الشبكة هو من هندسة مهندس قدير ولا ينسف قانون العلية والنظم والحاكم في القلعة - التي تدار كل مرافقها كمبيوترياً - بل يؤكد.

2- علل الشرائع: ص 248.

3- كشف الغمة: ج 2 ص 206.

وقال (عليه السلام): «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسى في الأجل»(1).

وقال (عليه السلام): «صلة الأرحام وحسن الجوار زيادة في الأموال»(2).

بكاء الأرض على المؤمن

عن علي بن رئاب قال: سمعت أبا الحسن الأول (عليه السلام) يقول: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد أعماله فيها» الحديث(3).

وقال (عليه السلام): «إذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله عز وجل فيها والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من مؤمن يموت في أرض غربة يغيب فيها بواكيه إلا بكته بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وبكته أبواب السماء التي كان يصعد فيها عمله»(5).

الكون في قتل الحسين (عليه السلام)

في الأمالي للشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن أبي عمار قال: (أمطرت

ص: 213

1- تحف العقول: 299.

2- صحيفة الرضا (عليه السلام): ص 85 ح 196.

3- الكافي: ج 3 ص 254 باب النوادر ضمن ح 13.

4- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 139 باب غسل الميت ح 381.

5- وسائل الشيعة: ج 5 ص 187-188 ب 42 ح 6292.

.....
السماء يوم قتل الحسين (عليه السلام) دما عبيطا (1).

وعن زرارة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحا بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتشرت، وإن البحار تقجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين (عليه السلام) وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وإن الملائكة الذين عند قبره ليكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء و السماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه (عليه السلام) فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها، ولقد خرجت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشبهت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعت، ولكنها مأمورة مصفودة، ولقد عنت على الخزان غير مرة حتى أتاه جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت وأنها لتبكيه وتدبه وأنها لتتلظى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفأت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة، وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه (عليه السلام) وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة (عليها السلام) وأسعدها عليه ووصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدى حقنا، وما من عبد يحشر لإوعيناه باكية إلا

ص: 214

1- الأماي للطوسي: ص 330 المجلس 11 ح 659.

.....

الباكين على جدي الحسين (عليه السلام) فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور بين على وجهه والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حدث الحسين (عليه السلام) تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء يوم الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم أنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار ومن قائل ما لنا من شافعين ولا صديق حميم وإنهم ليرون منزلهم وما يقدر أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم، وإن الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدامهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالا-تهم فيزدادون إليهم شوقا إذا هم خبروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين (عليه السلام) فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب فيستون عليها وهم في الثناء على الله والحمد لله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم»(1).

وقصة الحمرة وبكاء السماء والأرض وما أشبه روته العامة أيضا: ففي صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ»(2) قال: (لما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) بكى السماء وبكاؤها حمرتها)(3).

ص: 215

1- كامل الزيارات: ص 80-81 ب 26 ح 6.

2- سورة الدخان: 29.

3- الطرائف: ج 1 ص 203 فيما جاء في الحسين (عليه السلام) وأنه قتل مظلوماً ح 293.

.....
وروى الثعلبي في تفسير هذه الآية: (أن الحمرة التي مع الشفق لم يكن قبل قتل الحسين (عليه السلام)) (1).

وروى الثعلبي أيضا يرفعه قال: (مطرنا دما بأيام قتل الحسين (عليه السلام)) (2).

وفي تاريخ النسوي قال أبو قبيل: (لما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي) (3). وروى أبو نعيم في دلائل النبوة، والنسوي في المعرفة: قالت نصرمة الأزديّة: (لما قتل الحسين أمطرت السماء دما وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دما) (4).

ظلمة الأرض

قولها (عليها السلام): «وأظلمت الأرض لغييبته»، الظلام قد يطلق على المعنوي (5)، وقد يطلق على المادي، وكذلك النور قال سبحانه: «الله نور السماوات والأرض» (6).

قال المفسرون: إن النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، فالنور الحقيقي هو الله الظاهر بنفسه المظهر لكل ما عداه من كتم العدم، أو يقال: هو جل اسمه نور معنوي للسماوات والأرض، أو خالق لنورهما.

ص: 216

-
- 1- الطرائف: ج 1 ص 203 فيما جاء في الحسين (عليه السلام) وأنه قتل مظلوماً ح 294.
 - 2- الطرائف: ج 1 ص 203 فيما جاء في الحسين (عليه السلام) وأنه قتل مظلوماً ح 295.
 - 3- المناقب: ج 4 ص 54 فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام).
 - 4- المناقب: ج 4 ص 54 فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام).
 - 5- كما يقال: اظلم قلبه أو يعيش في ظلمات الجهل.
 - 6- سورة النور: 35.

.....
فالتفسير بأنه المنور(1) لا انحصار به بعد إمكان جعله معنوياً أيضاً، فتأمل.

والمراد بالظلمة ههنا: المعنوية - ولا تبعد المادية أيضاً - فكما أن الإنسان يبصر الأمور التكوينية بحاسة الباصرة بسبب النور، كذلك يبصر بحسه الباطني الأشياء الواقعية بسبب أنوار الله المعنوية، وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هم أنوار الله تعالى، كما ورد في زيادة الجامعة: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محققين حتى منّ علينا بكم»(2).

وهل المراد أنهم (عليهم السلام) كانوا أنواراً ظاهرة ثم صاروا أنواراً واقعية في هذا العالم، أو أنهم كانوا هناك أيضاً أنواراً واقعية ثم تفضل الله بهم علينا؟ احتمالان.

ويحتمل إرادة الظلمة - في قولها (عليها السلام) - المقابلة للنور المراد به أشعة نورانية من نمط آخر(3).

قولها (عليها السلام): «وانتشرت النجوم لمصيبت» ظاهرة: إرادة المعنى الحقيقي بأن انتشرت النجوم بسبب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنها تراءت للناظرين متناثرة كما رثيت متناثرة في موت بعض العلماء، أو غير ذلك من المعاني.

وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم) وهو كما سبق ظاهر في الحقيقة.

أو المراد أنها تذكرت وانكدرت بسبب موت الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه (صلى الله عليه وآله) كان نوراً للأرض وللسماء بجعل الله سبحانه.

ص: 217

1- أي معطي الضياء والنور وخالقهما في السماوات والأرض.

2- من لا يحضره الفقيه: ج2 ص613 زيارة جامعته لجميع الأئمة (عليهم السلام) ضمن ح3213.

3- كما أن الإنسان يبصر بنور الشمس ويبصر في الظلام بالأشعة تحت الحمراء.

أمل الكون

مسألة: إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو أمل الكون بأجمعه وقد أرسله الله عز وجل «رحمة للعالمين»⁽¹⁾.

قولها (عليها السلام): «وأكدت الآمال»، يقال: أكدى فلان أي: بخل أو قل خيره.

فمعنى إكداء الآمال هنا: أن الآمال انقطعت بفقد الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه (صلى الله عليه وآله) كان موضع أمل الآملين.

ثم إنها (عليها السلام) ذكرت قولها (أكدت الآمال) في وسط ذكرها لمجموعة من الحوادث السماوية والطوارئ الكونية على الكرة الأرضية، مما قد يستظهر منه أن المراد بالآمال ليس (الآمال) البشرية فحسب، بل (الآمال الكونية) التي كانت معقودة به (صلى الله عليه وآله) إذ كان وجوده خيراً وبركة لكافة العوالم، وبوفاته (صلى الله عليه وآله) انقطع منها ما كان منوطاً بحياته وإن بقي ما هو معلق على أصل وجوده وما استمر بأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

قولها (عليها السلام): «وخشعت الجبال» فكما أن الإنسان يخشع أمام العظيم من الأمور، كذلك سائر المخلوقات والحقائق الكونية والتي من أظهرها في الأرض الجبال، فإنها تخشع من خشية الله وهيبته أوليائه.

قال سبحانه: «فقال لها وللأرض أنتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا

ص: 218

طائعين»(1).

وقال تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله»(2).

وقال سبحانه: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَجِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا»(3).

وخشوع الجبل إما ضعف صلابته كما قال سبحانه بالنسبة إلى آثار القيامة:

قال تعالى: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا»(4).

وقال سبحانه: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا»(5).

وقال تعالى: «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا»(6).

ص: 219

1- سورة فصلت: 11.

2- سورة الحشر: 21.

3- سورة مريم: 90-91.

4- سورة الكهف: 47.

5- سورة طه: 105-108.

6- سورة الواقعة: 4-6.

وقال سبحانه: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» (1).

وقال تعالى: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» (2).

وقال سبحانه: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا» (3). وقال تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ» (4).

وقال سبحانه: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» (5).

وإما احتمال تأثره، فمن الواضح أن الكون كله قابل للتأثر.

قال تعالى: «فَأَبِينْ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفِقْنِ مِنْهَا» (6).

وقال سبحانه: «يَسِيحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» (7).

وقال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (8).

وقال سبحانه: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

ص: 220

1- سورة الحاقة: 14-15.

2- سورة المعارج: 9.

3- سورة المزمل: 14.

4- سورة المرسلات: 10.

5- سورة القارعة: 5.

6- سورة الأحزاب: 72.

7- سورة الجمعة: 1.

8- سورة الإسراء: 44.

.....
فَاعِلِينَ»(1).

وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»(2). وقال سبحانه: «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ»(3).

ويدل على تأثر الكون وتفاعله وفهمه، متواتر الآيات والروايات - تواتراً إجمالياً - ومنها: شهادة جلود الإنسان عليه في يوم القيامة، قال تعالى: «قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا»(4).

وقال سبحانه: «حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(5).

وشهادة بقاع الأرض للإنسان بالصلاة عليها وما أشبه.

وخطاب الزمن للإنسان: (أنا يوم جديد وغداً عليك شهيد).

قال لقمان: «يا بني إن كل يوم يأتيك يوم جديد، يشهد عليك عند رب كريم»(6).

ص: 221

1- سورة الأنبياء: 79.

2- سورة الحج: 18.

3- سورة ص: 18.

4- سورة فصلت: 21.

5- سورة فصلت: 20.

6- راجع الاختصاص: ص 340 بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه.

.....
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل في خيرا وأعمل في خيرا، أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعده أبدا»(1).

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين: يا ابن آدم إنني خلق جديد، إنني على ما في شهيد، فخذ مني، فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا، ثم لم تزد في حسنة ولم تستعتب في من سيئة، وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل»(2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث: «فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئا وهو قول الله «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ»(3)، وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين (عليه السلام) فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله»(4).

وعن الصادق (عليه السلام) في حديث أنه قال: «صلوا من المساجد في بقاع مختلفة

ص: 222

-
- 1- روضة الواعظين: ج2 ص393 مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.
 - 2- محاسبة النفس: ص14.
 - 3- سورة المجادلة: 18.
 - 4- تفسير القمي: ج2 ص264 سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

.....
فإن كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة»(1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) أن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام) كان له خمسمائة نخلة وكان يصلي عند كل نخلة ركعتين»(2). وعن أبي ذر عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته له: «يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وما من منزل نزله قوم إلا وأصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم، يا أبا ذر ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا: يا جارة هل مر بك اليوم ذاك لله أو عبد وضع جبهته عليك ساجدا لله تعالى، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم، فإذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى أن لها الفضل على جارتها»(3).

وعن عبد الله بن علي الزراد قال سألت أبو كههمس أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: «لا، بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة»(4)، قال الصدوق (رحمة الله): (يعني أن بقاع الأرض تشهد له)(5).

ص: 223

-
- 1- وسائل الشيعة: ج5 ص188 ب42 ح6293.
 - 2- وسائل الشيعة: ج5 ص188 ب42 ح6294.
 - 3- الأمالي للطوسي: ص534 المجلس 19.
 - 4- تهذيب الأحكام: ج2 ص335 ب15 ح237.
 - 5- وسائل الشيعة: ج5 ص186 ب42.

من خسائر فقد النبي (صلى الله عليه وآله)

مسألة: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان الحافظ الأشد لكل الحرمات، ومن المعلوم أن بفقده (صلى الله عليه وآله) حصل الضياع للحرمات، وقد كان شعاره (صلى الله عليه وآله) حفظ الحرمة، كما أمر بالنداء في يوم فتح مكة:

اليوم يوم المرحمة *** اليوم تحفظ الحرمة

بدل قول المنادي:

اليوم يوم الملحمة *** اليوم تسبى الحرمة (1)

ومن هذا يفهم - عرفاً - لزوم حفظ الحريم، من غير فرق بين أن يكون حريماً إنسانياً، أو حريم الأرض والبئر وما أشبهه، مما ذكر في مختلف الكتب، ككتاب إحياء الموات، وكتاب النكاح في باب الحقوق، وغير ذلك، وقد ألمعنا إلى جملة منها في (الفقه: الحقوق) (2). قولها (عليها السلام): «وأضيق الحريم» يحتمل فيه ثلاثة معان:

1: إن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبب ضياع حريمه، أي أهل بيته وذلك بظلم القوم لهم.

ص: 224

1- راجع (ولأول مرة في تاريخ العالم) فتح مكة، للإمام الشيرازي». وانظر شرح النهج: ج 17 ص 272، ذكر الخبر عن فتح مكة.

2- موسوعة الفقه: ج 100 كتاب الحقوق.

2: إنه سبب ضياع حريم المسلمين بل وغيرهم أيضاً ممن كانوا يتمتعون بحمايته، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يحفظ ويحمي حرم الناس بأجمعهم من المسلمين وغيرهم.

3: إنه سبب ضياع الأعم من ذلك أي كل حرمة من حرم الإسلام وحرم المسلمين وغيرهما (1)، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان شديد الحماية والحراسة لكل حرمة.

لكن المنصرف الأول، والإطلاق يقتضي الثالث، وإن كان لا يبعد الثاني أيضاً.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لله عزوجل في بلاده خمس حُرْم: حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحرمة آل رسول الله (عليهم السلام)، وحرمة كتاب الله عزوجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن» (2).

وقال (عليه السلام): «إن لله تبارك وتعالى حرّات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحرمة بيت المقدس وحرمة المؤمن» (3).

وقال (عليه السلام): «إن لله عزوجل في الأرض حرّات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله وحرمة أهل البيت وحرمة الكعبة وحرمة المسلم وحرمة المسلم وحرمة المسلم» (4).

ص: 225

-
- 1- الظاهر أن المراد الحرم التكوينية.
 - 2- الكافي: ج 8 ص 107 حديث أبي بصير مع المرأة ح 82.
 - 3- بحار الأنوار: ج 71 ص 232 ب 15.
 - 4- المؤمن: ص 73 ب 8 ح 201.

وفي يوم عاشوراء عندما وقف الإمام الحسين (عليه السلام) على ولده علي الأكبر (عليه السلام) قال: «قتل الله قوما قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع ثم قال: على الدنيا بعدك العفاء»(1).

وفي دعاء النذبة المروي عن الإمام الحجة (عليه السلام): «لم يمثل أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الهادين بعد الهادين والأمة مصرة على مقتته، مجتمعة على قطيعة رحمته، وإقصاء ولده، إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم، فقتل من قتل، وسبي من سبي، وأقصى من أقصى، وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة» الدعاء»(2).

وعن الحسن بن عطية قال: كان أبو عبد الله (عليه السلام) واقفا على الصفا، فقال له عباد البصري: حديث يروى عنك، قال: «وما هو»، قال: قلت: حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنية، قال: «قد قلت ذلك، إن المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلني أقبلت»! قال: فنظرت إلى الجبال قد أقبلت، فقال لها: «على رسلك إنني لم أردك»(3).

وقال (عليه السلام): «حرمة المؤمن الفقير أعظم عند الله من سبع سماوات وسبع أرضين والملائكة والجبال وما فيها»(4).

وقال (عليه السلام): «حرمة المؤمنيتا كحرمة حيا»(5).

ص: 226

1- إعلام الوری: ص 246 الفصل الرابع.

2- إقبال الأعمال: ص 296.

3- الاختصاص: ص 325 حديث في زيارة المؤمن لله.

4- إرشاد القلوب: ج 1 ص 194 ب 52.

5- الصراط المستقيم: ج 3 ص 115.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) والكوفة حرمي لا يريدها جبار بحادثة إلا قصمه الله» (1).

وعن زرارة بن أعين عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة ما بين لابتيتها صيدها، وحرم (عليه السلام) ما حولها بريداً في بريد أن يختلى خلاها أو يعضد شجرها إلا عودي الناضح» (2).

وقال (عليه السلام): «حريم قبر الحسين (عليه السلام) خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر» (3). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «حريم المسجد أربعون ذراعاً، والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها» (4). وروي: «أن حريم المسجد أربعون ذراعاً من كل ناحية» (5). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حريم النخلة طول سعفها» (6).

وعن الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام): «أن علياً (عليه السلام) كان يقول: حريم البئر العادية خمسون ذراعاً، إلا أن يكون إلى عطن أو إلى الطريق فيكون أقل من ذلك خمسة وعشرين ذراعاً، وحريم البئر المحدثه خمسة وعشرون ذراعاً» (7).

وقال (عليه السلام): «حريم النهر حافته وما يليها» (8).

ص: 227

- 1- الكافي: ج 4 ص 563 باب تحريم المدينة ح 1.
- 2- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 561 باب تحريم المدينة وفضلها ح 3148.
- 3- مستدرک الوسائل: ج 10 ص 320 ب 50 ح 12088.
- 4- وسائل الشيعة: ج 5 ص 202 ب 6 ح 6331.
- 5- من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 102 باب حكم الحريم ضمن ح 3419.
- 6- قرب الإسناد: ص 62.
- 7- بحار الأنوار: ج 101 ص 253 ب 2 ح 2.
- 8- الكافي: ج 5 ص 296 باب جامع في حريم الحقوق ح 7.

وأزيلت الحرمة (1) عند مماته

الحرمة والحريم

مسألة: يستحب بيان أن الحرمة أزيلت عند ممات الرسول (صلى الله عليه وآله).

ولا يخفى أن الحريم غير الحرمة، إذ الحرمة ذاتية والحريم عرضية وبالتبع (2)، مثلاً: حرمة الإنسان ذاتية، أما حرمة ذويه باعتباره عرضية، فلهم حرمة حريم ذلك الإنسان المحترم، وربما اجتمعت الذاتية والعرضية بالاعتبارين.

وللكعبة مثلاً حرمة، أما مكة فهي من الحريم، فتأمل، وهكذا.

فهي (عليها السلام) أشارت إلى أمرين نجما عن وفاته (صلى الله عليه وآله): إضاعة الحريم، وهتك الحرمة.

والظاهر أن المراد ب- (أزيلت الحرمة) أن القوم أزالوا حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهتكوها (عليها السلام) وضربوا بها عرض الجدار، بناء على كون المراد بالحرمة المعنى الخاص أو العام، أما لو أريد بها المعنى الأعم (3) فإن الإزالة في بعدها التكويني عندئذٍ تسند لجاعل (4) سببته (صلى الله عليه وآله) لتلك الحرمة التكوينية.

هذا وجملتها هذه بلحاظ أن الحرمة عبارة عما لا يحل انتهاكه، تقرب أن يكون المراد ب- (أزيلت الحرمة) في الجملة السابقة المعنى الأوسط.

ص: 228

- 1- وفي بعض النسخ: (وأديلت الحرمة) من الإدالة بمعنى الغلبة، وفي بعضها: (وأزيلت الرحمة).
- 2- أي أن حرمة الحريم اكتسابية.
- 3- الشامل للحرمة التكوينية.
- 4- أي الله سبحانه وتعالى.

.....

قال علي بن الحسين (عليه السلام) في حديث: «إن الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله عز وجل حال من قتل أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهتك حريمه، إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف عذاب المسخ»(1).

وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله) عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى - راوي الحديث - فبكى أبو الحسن (عليه السلام) طويلاً وقطع بقية كلامه وقال: هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ، هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ، هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ يَا أُمَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً في وصيته عند قرب وفاته: «واعلم يا علي أنني راض عن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء، وهم مني براء»(3).

وقد دخلت أم سلمة على فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟

ص: 229

1- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 270 قصة أصحاب السبت ضمن ح 137.

2- راجع بحار الأنوار: ج 22 ص 477 ب 1 ضمن ح 27.

3- راجع بحار الأنوار: ج 22 ص 485 ب 1 ضمن ح 31.

.....

قالت: «أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصي، هُتِك والله حجابهِ، من أصبحت إمامته مقبضة مقتضبة على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبي (صلى الله عليه وآله) في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة»(1).

حق أم حكم

مسألة: الحریم والحرمه هل هما حق أم حكم؟

الظاهر: أن بعض المصاديق حق كحریم الدار، وبعضها حكم كحرمه هتك المؤمن.

قال (عليه السلام): «من استهان بحرمه المسلمين فقد هتك ستر إيمانه»(2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أذله الله»(4).

وفي الحديث: «ومن هتك حجاب غير هانكشفت عورات بيته»(5).

ص: 230

1- راجع بحار الأنوار: ج 43 ص 156-157 ب 7 ضمن ح 5.

2- راجع بحار الأنوار: ج 71 ص 227 ب 15 ضمن ح 21.

3- راجع مستدرک الوسائل: ج 9 ص 109 ب 130 ضمن ح 10373.

4- الكافي: ج 2 ص 226 باب الكتمان ح 15.

5- انظر تحف العقول: ص 88 وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسين (عليهما السلام).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله عزوجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق للمرء ألا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول، قال الله عزوجل: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنا حَاسِبِينَ» (1)» (2).

ص: 231

1- سورة الأنبياء: 47.

2- انظر مصباح الشريعة: ص 85 ب 38 في الحساب.

إعادة ما أضيع

مسألة: يجب السعي على مر الأزمان لإعادة ما أمكن إعادته مما أضيع من حريم الرسول (صلى الله عليه وآله) ومما أزيل من حرمة (صلى الله عليه وآله).

وفي الجانب التكويني يمكن إعادة مآزال ولو في الجملة عبر الدعاء وما أشبه لتعجيل الظهور، فإن به (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تشرق الأرض بنور ربها، وتعود المياه إلى مجاريها.

وفي الدعاء: «اللهم عجل فرجه وأيده بالنصر وانصر ناصريه واخذل خاذليه»(1).

وفي دعاء العهد: «اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، واكحل بصري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه وسهل مخرجه، اللهم اشدد أزره وقوّ ظهره وطوّل عمره، اللهم اعمر بهبلادك وأحي به عبادك»(2).

وفي دعاء للإمام الجواد (عليه السلام) في قنوته: «وأنت اللهم بعبادك وذوي الرغبة إليك شفيع وإجابة دعائهم وتعجيل الفرج عنهم حقيق»(3).

ص: 232

1- كمال الدين: ج 2 ص 513 الدعاء في غيبة القائم (عليه السلام) ضمن ح 43.

2- راجع مستدرک الوسائل: ج 5 ص 74 ب 22 ضمن ح 5388.

3- انظر مهج الدعوات: ص 59 قنوت الإمام محمد بن علي بن موسى (عليه السلام).

من مستثنيات كراهة القسم

مسألة: قد سبق أن من الجائز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب - : القسم لبيان أهمية الأمر، وهنا قد أقسمت (عليها السلام) لبيان شدة المصيبة.

ومن هذا القبيل تكرار القسم في القرآن الحكيم.

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كانا يحلفان في موارد، كما نرى ذلك في كلامهما (عليهما السلام).

أما ما ورد من كراهة القسم، مثل قوله سبحانه وتعالى: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» (1) فالمراد به الاستخفاف باسم الله سبحانه وتعالى، بأن يكون اسم الله معرضاً لليمين بدون أن يكون هناك أهمية توجب ذلك.

أو المراد الأعم من ذلك ومن القسم كاذباً.

أو القسم من دون أهمية فيالموضوع، أو ما أشبهه.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَدِّقُوا بَيْنَ النَّاسِ» (2) قال: «إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ألا أفعل» (3).

ص: 233

1- سورة البقرة: 224.

2- سورة البقرة: 224.

3- الكافي: ج2 ص210 باب الإصلاح بين الناس ح6.

.....
وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» (1)، قال: «يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه و ما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه» (2).

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى لا إله غيره «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا» قال: «هو قول الرجل لا والله، وبلى والله» (3). وفي الحديث القدسي: «يا عيسى لا تحلف باسمي كاذبا فيهتز عرشي غضبا» (4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي لا تحلف بالله كاذبا ولا صادقا من غير ضرورة، ولا تجعل الله عرضة ليمينك فإن الله لا يرحم ولا يرعى من حلف باسمه كاذبا» (5).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا أذعي عليك مال ولم يكن له عليك، فأراد أن يحلّفك، فإن بلغ مقدار ثلاثين درهما فأعطه ولا تحلف، وإن كان أكثر من ذلك فاحلف ولا تعطه» (6).

ص: 234

1- سورة البقرة: 224.

2- وسائل الشيعة: ج 23 ص 223 ب 11 ح 29421.

3- تفسير العياشي: ج 1 ص 111-112 من سورة البقرة ح 337.

4- الأماي للصندوق: ص 519 المجلس 78 ضمن ح 1.

5- انظر تحف العقول: ص 14 وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

6- الكافي: ج 7 ص 435 باب كراهية اليمين ح 6.

.....
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «اجتمع الحواريون إلى عيسى (عليه السلام) فقالوا: يا معلم الخير أرشدنا، فقال: إن موسى نبي الله (عليه السلام) أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين ينفق السلعة ويمحق البركة»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تحلفوا إلا بالله، ومن حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن حلف له بالله فلم يرض فليس من الله في شيء»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا تحلفوا ببائتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»(4).

النازلة الكبرى

مسألة: يستحب بيان أن موت الرسول (صلى الله عليه وآله) هي النازلة الكبرى والمصيبة العظمى وتأکید ذلك.

فإن مثل هذه التأكيدات تبين قدر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقيمته ولو بقدر، مما يسبب التفاف الناس حوله أكثر فأكثر، فإن من عادة الناس أن يلتفتوا حول

ص: 235

1- وسائل الشيعة: ج 23 ص 197 ب 1 ح 29354.

2- انظر مستدرک الوسائل: ج 13 ص 273 ب 20 ضمن ح 15331.

3- تهذيب الأحكام: ج 8 ص 284 ب 4 ح 32.

4- غوالي اللئالي: ج 3 ص 444 باب الإيمان ح 6.

العظماء، وكل ما ازدادوا معرفة بعظمتهم كان التفاهم حولهم أكثر، وكلما التف الناس حول الرسول (صلى الله عليه وآله) أكثر كانوا بمنجى ومأمن من مشاكل الدنيا وعذاب الآخرة ف- «ما سألتكم من أجر فهو لكم» (1).

قال (عليه السلام): «من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بالنبي (صلى الله عليه وآله) فإنه من أعظم المصائب» (2).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا علي من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتيه بي فإنها من أعظم المصائب» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتى فإنها أعظم المصائب» (4).

وعن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان قال: فلما بلغ عليا (عليه السلام) موت الأشر قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا، فقد وفى بعهده وقضى نحبته ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنها أعظم المصائب» (5).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «إن الله ليكتب الدرجة العالية في الجنة فلا يبلغها عبده فلا يزال يتعهد بالبلاء حتى يبلغها وإذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتى فإنها

ص: 236

1- سورة سبأ: 47.

2- الكافي: ج 3 ص 220 باب التعزي ح 1.

3- المناقب: ج 1 ص 238 فصل في وفاته (عليه السلام).

4- روضة الواعظين: ج 2 ص 423 مجلس في ذكر فضل الصبر.

5- الغارات: ج 1 ص 169 خبر قتل الأشر (رحمة الله).

أعظم المصائب»(1).

وأنشأ أمير المؤمنين (عليه السلام):

الموت لا والدا يبقي ولا ولدا *** هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا

هذا النبي ولم يخلد لأمته *** لو خلد الله خلقا قبله خلدا

للموت فينا سهام غير خاطئة *** من فاته اليوم سهم لم يفته غدا (2)

وقالت فاطمة الزهراء (عليها السلام):

إذا مات يوما ميت قلّ ذكره *** وذكر أبي مذ مات والله أزيد

تذكرت لما فرق الموت بيننا *** فعزيت نفسي بالنبي محمد

فقلت لها إن الممات سبيلنا *** ومن لم يمت في يومه مات في غدا (3)

وهذا لا ينافي الاهتمام الأكثر بعزاء الإمام الحسين (عليه السلام) فإن ذلك بأمرهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

كما لا ينافي الأخبار التالية أيضا:

قال لقمان: «يا بني إن أشدّ العدم عدم القلب، وإن أعظم المصائب مصيبة الدين، وأسنى المرزئة مرزأته»(4).

ص: 237

1- مشكاة الأنوار: ص 300 ف 7 في الشدائد والبلايا.

2- بحار الأنوار: ج 22 ص 522-523 ب 2.

3- انظر المناقب: ج 1 ص 238 فصل في وفاته (صلى الله عليه وآله)، وبحار الأنوار: ج 22 ص 523 ب 2.

4- قصص الأنبياء للراوندي: ص 196 ف 6 في حديث لقمان ح 246.

.....
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أعظم المصائب الجهل» (1).

وقال (عليه السلام): «المصيبة بالدين أعظم المصائب» (2).

وقال (عليه السلام): «أعظم المصائب و الشقاء الوله بالدنيا» (3).

التوسع في معنى (احتمال التأثير)

مسألة: (كشف الحقيقة) واجب في الجملة، ويكفي في التأثير احتمالاً عقلاً ولو في المستقبل للأجيال القادمة، وذلك من وجوه ذكرهم (صلوات الله عليهم) لبعض العلامات المبهمه لما قبل الظهور.

وأما ما ذكرته (عليها السلام) ههنا فتأثيره كان فعلياً ومستقبلياً.

قال الشهيد الثاني (رحمة الله) في (شرح اللمعة) في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وتجوز التأثير، بأن لا يكون التأثير ممتنعاً، بل يمكننا بحسب ما يظهر له من حاله، وهذا يقتضي الوجوب ما لم يعلم عدم التأثير وإن ظن عدمه، لأن التجوز قائم مع الظن، وهو حسن) (4).

وقال المحقق الأردبيلي (رحمة الله): (نعم لا يبعد استحبابه مع احتمال التأثير مع ظن عدمه، إن كان مسقطاً للوجوب، لاحتمال حصول نفع، فتأمل) (5).

ص: 238

-
- 1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 73 الجهل شر المصائب ح 1105.
 - 2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 86 الدين هو الملاك ح 1428.
 - 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 140 الدنيا وحبها سبب الشقاء ح 2462.
 - 4- شرح اللمعة: ج 2 ص 415.
 - 5- مجمع الفائدة: ج 7 ص 539.

وقال المحقق السبزواري (رحمة الله): (هل يعتبر مجرد التجويز وإن كان احتمال التأثير بعيداً، أو عدم غلبة الظن أو العلم بعدم التأثير، ظاهر بعض عباراتهم يقتضي الأول، وظاهر بعضها الثاني، ولعل نظر الأول على الآية) (1).

والتفصيل في الفقه (2).

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مرءون ينفرون وينسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير» إلى أن قال: «هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه» (3).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم» (4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرا من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم تغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عز وجل» (5).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن المعصية إذا عمل بها العبد سرا لم تضر إلا

ص: 239

1- كفاية الأحكام: ص 82.

2- انظر موسوعة الفقه، للإمام الشيرازي، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ج 48 ص 180-182.

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 129 ب 2 ح 21157.

4- الاختصاص: ص 261-262 حديث في زيارة المؤمن لله.

5- وسائل الشيعة: ج 16 ص 135-136 ب 4 ح 21174.

.....
عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه أضرت بالعامّة» قال جعفر بن محمد (عليه السلام): «وذلك أنه يذل بعمله دين الله ويقتدي به أهل عداوة الله»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي (عليه السلام) أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن جده علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: «قال موسى بن عمران (عليه السلام): يا رب من أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك؟ فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم والتربة أيديهم الذين يذكرون جلالتي إذا ذكروا ربهم» إلى أن قال: «والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلحت مثل النمر إذا حرد»(4).

ص: 240

-
- 1- ثواب الأعمال: ص 261 عقاب من قرب المنكر.
 - 2- وسائل الشيعة: ج 16 ص 137 ب 4 ح 21176.
 - 3- قصص الأنبياء للجزائري: ص 214 ب 11 في قصص شعيب (عليه السلام).
 - 4- انظر مستدرک الوسائل: ج 3 ص 361 ب 3 ضمن ح 3782.

ذكر الحقيقة

مسألة: (ذكر الحقيقة) أمر، والتأكيد عليها أمر ثان، والبرهنة عليها أمر ثالث، والكل واجب في الجملة.

وهذا ما فعلته (عليها السلام) في هذه الجمل المتلاحقة وفي طول الخطبة، فإنها (عليها السلام) تارة اكتفت بالأول وأخرى ضمت إليه الثاني وثالثةً ثلثت.

قولها (عليها السلام): «فتلك والله النازلة الكبرى» النازلة أي التي تنزل من السماء، كما قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): في كل يوم ينزل البلاء إلى الأرض كقطر المطر(1).

والمعنى: أن الحوادث تقع في صفوف البشر بصورة مستمرة، فهذا يموت وهذا يقتل وهذا يسقط في هوة وهذا يغرق وهذا يحترق بيته وهذا يفتقر وما أشبه ذلك، ولكن موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكبر من كل تلك النوازل والمصائب إذ أن كل مصيبة تخص فرداً أو أفراداً أو شعباً أو شعوباً، أما موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمصيبة تعم كل العالمين لأنه (صلى الله عليه وآله) في حياته كان رحمة للعالمين، وبموته حرم العالمون من رحمة وجوده الشريف، وإن كان (صلى الله عليه وآله) بعد موته أيضاً كحياته رحمة للناس حيث يستغفر لهم وإن الله ببركته يتفضل عليهم، إلى غير ذلك.

قولها (عليها السلام): (والمصيبة العظمى) فإن الناس أصيبوا بمصيبة كبيرة لا يعرف مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

ص: 241

1- انظر الكافي: ج 5 ص 57 باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ح 6 وفيه: «إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر».

وفي الحديث: قال (عليه السلام): «إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض»⁽¹⁾.

وفي صحيفة الرضا (عليه السلام) عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام): «إن في كتاب علي (عليه السلام): أن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحَّ دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخر دينه وضعف عمله قلَّ بلاؤه، وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض، وذلك أن الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر»⁽²⁾.

وعن سلمان بن غانم قال: سألتني أبو عبد الله (عليه السلام): «كيف تركت الشيعة»؟

فقلت: تركت الحاجة فيهم والبلاء أسرع إليهم من الميزاب السريع في ماء المطر.

فقال: «الله المستعان» ثم قال: «أيسرك الأمر الذي أنت عليه أم مائة ألف»؟

قلت: لا والله، ولا جبال تهامة ذهباً.

فقال: «من أغنى منك ومن أصحابك، ما على أحدكم ولو ساح في الأرض يأكل من ورق الشجر ونبت الأرض حتى يأتيها الموت»⁽³⁾.

ص: 242

1- انظر وسائل الشيعة: ج3 ص262 ب77 ضمن ح3591.

2- مستدرک الوسائل: ج2 ص440-441 ب65 ح2408.

3- مشكاة الأنوار: ص292 ف6 في الابتلاء والاختبار.

رحمة للعالمين

قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (1).

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى لعيسى بن مريم (عليهما السلام): «ثم إني أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحببيي منهم، أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقرم المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحبي المتكرم، فإنه رحمة للعالمين وسيد ولد آدم عندي» (2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى بعثني رحمة للعالمين» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إنما أنا رحمة مهداة» (4).

وقد روي أنه: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس إني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثا.

ثم انطلق (صلى الله عليه وآله) حتى أتى المروة، ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس إني رسول الله، ثلاثا.

فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل (قبحه الله) بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب (صلى الله عليه وآله) حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ، وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال: يا علي قد قتل محمد.

ص: 243

1- سورة الأنبياء: 107.

2- الأمالي للصدوق: ص 519-520 المجلس 78.

3- انظر روضة الواعظين: ج 2 ص 464 مجلس في ذكر الخمر والربا.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 8 ذكر أسمائه (صلى الله عليه وآله).

فانطلق (عليه السلام) إلى منزل خديجة (عليها السلام) فدق الباب، فقالت: خديجة من هذا؟

قال: أنا علي.

قالت: يا علي ما فعل محمد؟ قال: لا أدري، إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحي هو أم ميت، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذي معك شيئاً من هيس وانطلقني بنا نلتمس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإننا نجده جائعاً عطشاناً.

فمضى (عليه السلام) حتى جاز الجبل وخديجة (عليها السلام) معه، فقال علي: يا خديجة استبطني الوادي حتى أستظهره، فجعل ينادي: يا محمدا، يا رسول الله، نفسي لك الفداء، في أي واد أنت ملقى؟

وجعلت خديجة تنادي: من أحس لي النبي المصطفى، من أحس لي الربيع المرتضى، من أحس لي المطرود في الله، من أحس لي أبا القاسم؟

وهبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فلما نظر إليه النبي (صلى الله عليه وآله) بكى وقال: ما ترى ما صنع بي قومي، كذبوني وطردوني وخرجوا عليّ!.

فقال: يا محمد ناولني يدك، فأخذ يده فأقعدته على الجبل، ثم أخرج من تحت جناحه درنوكاً من درانيك الجنة منسوجاً بالدر والياقوت وبسطه حتى جلل به جبال تهامة، ثم أخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أقعدته عليه ثم قال له جبرئيل: يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟

قال: نعم. قال: فادع إليك تلك الشجرة تجبك.

.....

فدعاها، فأقبلت حتى خرت بين يديه ساجدة.

فقال: يا محمد مرها ترجع.

فأمرها، فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل حارس السماء الدنيا فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم؟

وأقبل ملك الشمس فقال: السلام عليك يا رسول الله، أفتأمرني أن آخذ عليهم الشمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم؟

وأقبل ملك الأرض فقال: السلام عليك يا رسول الله، إن الله عزوجل قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الأرض فتجعلهم في بطنها كما هم على ظهرها؟

وأقبل ملك الجبال فقال: السلام عليك يا رسول الله، إن الله قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الجبال فتقلب عليهم فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قد أمرتم بطاعتي؟

قالوا: نعم.

فرفع رأسه إلى السماء ونادى:

إني لم أبعث عذاباً، إنما بعثت رحمة للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون.

ص: 245

ونظر جبرئيل (عليه السلام) إلى خديجة (عليها السلام) تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة، قد أبكت لبكائها ملائكة السماء، ادعها إليك فأقرئها مني السلام وقل لها: إن الله يقرئك السلام ويشرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكللا بالذهب.

فدعاها النبي (صلى الله عليه وآله) والدماء تسيل من وجهه على الأرض وهو يمسحها ويردها، قالت: فذاك أبي وأمي، دع الدمع يقع على الأرض.

قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على من عليها.

فلما جن عليهم الليل انصرفت خديجة (عليها السلام) ورسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) ودخلت به منزلها، فأقعده على الموضوع الذي فيه الصخرة وأظلته بصخرة من فوق رأسه وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبلا لمشركون يرمونه بالحجارة فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران المحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة (عليها السلام) بنفسها وجعلت تنادي: يا معشر قريش ترمي الحرة في منزلها، فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه وأصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغدا إلى المسجد يصلي⁽¹⁾.

ص: 246

النكرة في سياق النفي

مسألة: النكرة في سياق النفي أو النهي تفيد العموم(1)، على ما ذكرناه في الأصول(2).

فإن كل ما نزل على البشر من المصائب لم يكن بمنزلة موت الرسول (صلى الله عليه وآله) في الأهمية، وكذلك ما سيحل على البشر بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وإلى يوم القيامة.

قولها (عليها السلام): «لا مثلها نازلة» فإن تلك النوازل صغار بالنسبة إلى هذه النازلة وهي موت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قولها (عليها السلام): «ولا بانقة عاجلة» البانقة: الداهية والطامة، والمراد بالعاجلة: في هذه الدنيا في مقابل المحشر الذي هو بانقة آجلة، ففي البوائق العاجلة في الدنيا لا شبيه لموت الرسول (صلى الله عليه وآله) إطلاقاً.

وربما يكون (بانقة عاجلة) في قبال مصيبة كفاجرة الطف، أو ما قبلها: كمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن الفاصل بين استشهادهما (صلوات الله عليهما) كان ثلاثين سنة، وباعتبار كونه (عليه السلام) نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتضح المعنى أكثر.

قال الراوي في بيان ما وقع في مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام): فاصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف سوداء

ص: 247

- 1- فان (نازلة) و(بانقة) نكرتان وقعتا في سياق النفي.
- 2- راجع (الأصول) للإمام الشيرازي «: ص 517 طبع دار العلوم، الطبعة الخامسة 2000م 1421هـ-.

مظلمة، ونادى جبرئيل (عليه السلام) بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: «تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عم محمد المصطفى، قُتل الوصي المجتبي، قُتل علي المرتضى، قُتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشتياء»⁽¹⁾.

هذا وقد تأمر القوم على قتل علي (عليه السلام) في مواطن عديدة منها ليلة العقبة حينما تأمروا على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال الإمام العسكري (عليه السلام): «لقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على العقبة، ورام من بقي من مرده المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام) فما قدروا على مغالبة ربهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في علي (عليه السلام) لما فخم من أمره وعظم من شأنه، من ذلك أنه لما خرج من المدينة وقد كان خلفه عليها قال له: إن جبرئيل أتاني قال لي: يا محمد إن العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: يا محمد إما أن تخرج أنت وقيم علي أو يخرج علي وقيم أنت، لا بد من ذلك، فإن عليا قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري.

فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا: مله وسئمه وكره صحبته.

فتبعه علي (عليه السلام) حتى لحقه وقد وجد مما قالوا فيه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما أشخصك عن مركزك؟

قال: بلغني عن الناس كذا وكذا.

ص: 248

1- راجع بحار الأنوار: ج 42 ص 282 ب 127.

.....
فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

فانصرف علي (عليه السلام) إلى موضعه، فدبروا عليه أن يقتلوه، وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعا ثم غطوها بحصر رقاق ونثروا فوقها يسيرا من التراب بقدر ما غطوا وجوه الحصر وكان ذلك على طريق علي (عليه السلام) الذي لا بد له من سلوكه، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها، وكان ما حوالي المحفور أرضا ذات حجارة، دبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه.

فلما بلغ علي (عليه السلام) قرب المكان لوى فرسه عنقه وأطاله الله فبلغت جحفلته أذنه وقال: يا أمير المؤمنين قد حفر هاهنا ودبر عليك الحتف، وأنت أعلم لا تمر فيه.

فقال له علي (عليه السلام): جزاك الله من ناصح خيرا كما تدبر تدييري فإن الله عزوجل لا يخليك من صنعه الجميل، وسار حتى شارف المكان فتوقف الفرس خوفا من المرور على المكان، فقال علي (عليه السلام): سر ياذن الله سالما سوياعجيبا شأنك بديعا أمرك، فتبادرت الدابة، فإذا الله عزوجل قد متن الأرض وصلبها ولأم حفرها وجعلها كسائر الأرض، فلما جاوزها علي (عليه السلام) لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال: ما أكرمك على رب العالمين، جوزك على هذا المكان الخاوي.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): جزاك الله بهذه السلامة عن تلك النصيحة التي نصحتني، ثم قلب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها والقوم معه، بعضهم كان أمامه

.....
وبعضهم خلفه، وقال: اكتشفوا عن هذا المكان، فكشفوا عنه فإذا هو خاو ولايسير عليه أحد إلا وقع في الحفيرة.

فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا، فقال علي (عليه السلام) للقوم: أتدرون من عمل هذا؟

قالوا: لا ندري.

قال علي (عليه السلام): لكن فرسي هذا يدري، يا أيها الفرس كيف هذا ومن دبر هذا؟

فقال الفرس: يا أمير المؤمنين إذا كان الله عزوجل يبرم ما يروم جهال الخلق نقضه أو كان ينقض ما يروم جهال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون، فعل هذا يا أمير المؤمنين فلان وفلان إلى أن ذكر العشرة بمواطاة من أربعة وعشرين هم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في طريقه، ثم دبروا هم على أن يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) على العقبة والله عزوجل من وراء حياطة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولي الله لا يغلبه الكافرون، الحديث»(1).

يوم عاشوراء

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) واليوم الذي ماتت فيه فاطمة (عليها السلام) واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) واليوم الذي قتل فيه الحسن (عليه السلام) بالسم؟

ص: 250

1- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 380-382 واقعة ليلة العقبة ضمن ح 265.

.....

فقال: «إن يوم قتل الحسين (عليه السلام) أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي (صلى الله عليه وآله) بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة (عليها السلام) كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين (عليه السلام) كان للناس في الحسن والحسين (عليهما السلام) عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن (عليه السلام) كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين (عليه السلام) لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين (عليه السلام) عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه (عليهم السلام)؟

فقال: «بلى، إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يسمع منه وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي (صلى الله عليه وآله) وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) قد شاهدتهم الناس مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أحوال في أن يتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين (عليه السلام) لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى (عليه السلام) ثم قال: «لما قتل الحسين (عليه السلام) تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم»⁽¹⁾.

ص: 252

1- علل الشرائع: ج 1 ص 225-227 ب 162 ح 1.

علاقة القرآن والعترة

مسألة: الظاهر أن هنالك ترابطاً ثبوتياً وإثباتياً بين كتاب الله التشريعي وكتابه التكويني.

والمصداق الأجلى لذلك: الترابط بين القرآن الناطق (1) والصامت، و«لن يفترقا» (2) يشير فيما يشير إلى ذلك أيضاً.

وقولها (عليها السلام): «أعلن» من الشواهد على ذلك.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا- وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فترقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم خليفتي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (4).

ص: 253

- 1- إشارة إلى أهل البيت (عليهم السلام).
- 2- إشارة إلى حديث الثقلين، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» وسائل الشيعة: ج 27 ص 33 ب 5 ح 33144.
- 3- الإرشاد: ج 1 ص 180.
- 4- كمال الدين: ج 1 ص 240 ب 22 ح 60.

.....

وعن جابر قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بمنى فقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم حرمة الله: كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام»، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): «أما كتاب الله فحرفوا(1)، وأما الكعبة فهدموا، و أما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله فقد تبروا(2)». وعن الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه (عليهم السلام) قال: «سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فقيل له: من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حوضه(3)».

وقال (عليه السلام): «عليكم بالقرآن، فإنه الشفاء النافع، والدواء المبارك، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه» ثم قال: «أندرون من المتمسك به، الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم، هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا(4)».

وعن سليم بن قيس قال: خرج علينا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونحن في

ص: 254

-
- 1- أي حرفوا معناه ولم يعملوا به.
 - 2- بصائر الدرجات: ص 413-414 ب 17 ح 3.
 - 3- كشف الغمة: ج 2 ص 509 ب 25.
 - 4- انظر وسائل الشيعة: ج 27 ص 33 ب 5 ضمن ح 33143.

المسجد فاحتوشناه فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن القرآن فإن في القرآن علم الأولين والآخرين، لم يدع لقائل مقالا، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وليسوا بواحد ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كان واحدا منهم، علمه الله سبحانه إياه وعلمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة ثم قرأ: «وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» (1)، فأنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة، ثم قرأ: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» (2)، ثم قال: كان رسول الله عقب إبراهيم ونحن أهل البيت عقب إبراهيم وعقب محمد (صلى الله عليه وآله)» (3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينازل القرآن وفينا معدن الرسالة» (4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عليّ مثلك في أمّتي مثل «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (5)، فمن أحبّك بقلبه فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده فكأنما قرأ القرآن كلّ» (6).

ص: 255

1- سورة البقرة: 248.

2- سورة الزخرف: 28.

3- تأويل الآيات الظاهرة: ص 540 سورة الزخرف وما فيها من الآيات.

4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 66 ب 31 ح 297.

5- سورة الإخلاص: 1.

6- الخصال: ج 2 ص 580 أبواب السبعين، لأمير المؤمنين (عليه السلام) سبعون منقبة.

.....
وقال النبي (صلى الله عليه وآله): في حديث: «بما تعجبون، إن القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي (عليه السلام) كرائم القرآن»(1).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوهت الكتب، ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «أخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن والحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض»(3).

ص: 256

1- تفسير فرات الكوفي: ص 249 سورة مريم، ضمن ح 248.

2- تفسير العياشي: ج 1 ص 5 في فضل القرآن ح 9.

3- انظر الاحتجاج: ج 1 ص 148 احتجاجة (عليه السلام) على جماعة كثيرة من المهاجرين.

الرسول الأعظم والقرآن الكريم

مسألة: من اللازم سبر أغوار شدة ارتباط الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم، وبصورة عامة استكشاف عمق العلاقة التشريعية والتكوينية بين العترة المطهرة (عليهم السلام) والكتاب المبين، عبر دراسة الأبعاد الجلية والخفية في عبارات وإشارات ولطائف وحقائق القرآن الكريم(1).

وقولها (عليها السلام): «أعلن» من مصاديق ذلك، والإعلان كان في آيات عديدة. حيث قال سبحانه: «إنك ميت وأنهم ميتون»(2).

وقال تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متّ فهم الخالدون»(3). وقال سبحانه: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ»(4).

وقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»(5).

وذكر البعض بأن المسلمين كانوا يتوقعون البقاء والخلود في الحياة الدنيا لما رأوا من معاجز الرسول (صلى الله عليه وآله) ووجاهته عند الله سبحانه وتعالى، لكن الله أعلن

ص: 257

1- للمزيد راجع الموسوعة الفقهية للإمام الشيرازي (قدس سره) كتاب حول القرآن الكريم: ج 98 ص 247-260.

2- سورة الزمر: 30.

3- سورة الأنبياء: 34.

4- سورة العنكبوت: 57.

5- سورة الأنبياء: 35.

.....
أن كل شيء هالك إلا وجهه وأعلن أن الرسول (صلى الله عليه وآله) ميت أيضاً بصورة خاصة.

ولعل كلامها (عليها السلام) تعريض بالذين أنكروا موت الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيان لأن هذا القائل لا يعرف حتى أوضح الآيات في كتاب الله سبحانه(1).

حيث ورد: أنه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل عمر بن الخطاب يقول: والله ما مات محمد وإنما غاب كغيبه موسى عن قومه!، وإنه سيظهر بعد غيبته، فما زال يردد هذا القول ويكرره حتى ظنّ الناس أنّ عقله قد ذهب، فأتاه أبو بكر وقد اجتمع الناس عليه يتعجبون من قوله، فقال: اربع على نفسك يا عمر من يمينك التي تحلف بها، فقد أخبرنا الله عزّ وجلّ في كتابه، فقال: يا محمد «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ»(2). فقال عمر: وإنّ هذه الآية لفي كتاب الله يا أبا بكر! فقال: نعم. فقال: نعم، أشهد بالله لقد ذاق محمد الموت(3).

وقال ابن أبي الحديد:

روى جميع أصحاب السيرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما توفّي كان أبو بكر في منزله بالسّنع، فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يموت حتّى يظهر دينه على الدّين كلّه!، و ليرجعنّ فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجف بموته، ولا أسمع رجلا يقول مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ضربته بسيفي، فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: بأبي وأمي طبت حيّا وميتا، والله لا يذيقك الله الموتين أبدا، ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول

ص: 258

1- سورة الزمر: 30.

2- سورة الزمر: 30.

3- كمال الدين: ج 1 ص 31-32 إثبات الغيبة والحكمة فيها.

لهم: إنه لم يموت، ويحلف، فقال له: أيها الحالف على رسلك، ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (1)، وقال: «أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» (2)..

قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، وقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد مات (3).

وفي البحار: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لما نزلت هذه الآية «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (4)، قلت: يا رب أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء، فنزلت: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (5)» (6). وعن ابن عباس والسدي: لما نزل قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (7)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليتني أعلم متى يكون ذلك» فنزلت سورة النصر، فكان يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها فيقول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقبل له في ذلك، فقال: «أما إن نفسي نعت إلي» ثم بكى بكاء شديداً، فقبل: يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله

ص: 259

1- سورة الزمر: 30.

2- سورة آل عمران: 144.

3- شرح نهج البلاغة: ج 2 ص 40-41 حديث السقيفة.

4- سورة الزمر: 30.

5- سورة العنكبوت: 57.

6- بحار الأنوار: ج 6 ص 328 ب 2 ح 8.

7- سورة الزمر: 30.

.....
لك «ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ»(1) قال: «فأين هول المطلع وأين ضيقة القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال» فعاش بعد نزول هذه السورة عاما(2).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن نوف البكالي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «جاءت جماعة من قريش إلي النبي (صلى الله عليه و آله) فقالوا: يا رسول الله انصب لنا علما يكون لنا من بعدك لنهتدي ولا نضل كما ضلت بنو إسرائيل بعد موسى بن عمران، فقد قال ربك: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»(3) ولسنا نطمع أن تعمر فينا ما عمر نوح في قومه وقد عرفت منتهى أجلك ونريد أن نهتدي ولا نضل.

قال (صلى الله عليه و آله): إنكم قريبو عهد بالجاهلية وفي قلوب أقوام أضغان وعسيت إن فعلت أن لا تقبلوا ولكن من كان في منزله الليلة آية من غير ضير فهو صاحب الحق.

قال: فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) العشاء وانصرف إلى منزله سقط في منزلي نجم أضاعت له المدينة وما حولها وانفلق بأربع فلق انشعبت في كل شعبة فلقة من غير ضير.

قال نوف: قال لي جابر بن عبد الله: إن القوم أصروا على ذلك وأمسكوا، فلما أوحى الله إلى نبيه أن ارفع ضبع ابن عمك قال: يا جبرئيل أخاف

ص: 260

1- سورة الفتح: 2.

2- المناقب: ج 1 ص 234 فصل في وفاته (عليه السلام).

3- سورة الزمر: 30.

.....

من تشتت قلوب القوم فأوحى الله إليه: «يا أيها الرّسولُ بَلِّغْ ما أنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِي مُكْمِنَ النَّاسِ» (1) فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بلالا أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا معشر قريش لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر العرب لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر الموالى لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم دعا بدواة قرطاس فأمر فكتب فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال: شهدتم؟

قالوا: نعم.

قال: أفتعلمون أن الله مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتعلمون أنني مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فقبض على ضبيح علي بن أبي طالب (عليه السلام) فرفعه للناس حتى تبين بياض إبطيه ثم قال: من كنت مولاة فهذا علي مولاة، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فأنزل الله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذا هَوَى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وما عَوَى * وما يُنطِقُ عَنِ الهوى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ وحي» (2) فأوحى إليه: «يا أيها الرّسولُ بَلِّغْ ما أنزلَ إِلَيْكَ

ص: 261

1- سورة المائدة: 67.

2- سورة النجم: 1-4.

.....
مِنْ رَبِّكَ»(1).

وفي تفسير القمي: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن غصبه حقه، ثم ذكر أيضا أعداء آل محمد ومن كذب على الله وعلى رسوله وادعى ما لم يكن له فقال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ» يعني بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحق وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمر المؤمنين (عليه السلام) فقال: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ» يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»(2).

وفي تفسير القمي أيضا:

«وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفانمت فهم الخالدون»(3) فإنه لما أخبر الله نبيه بما يصيب أهل بيته بعده وادعاء من ادعى الخلافة دونهم اغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنزل الله عز وجل: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة» أي نختبرهم «وإلينا ترجعون» فأعلم ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه لا بد أن يموت كل نفس»(4).

وعن يعقوب الأحمر قال:

ص: 262

1- تفسير فرات الكوفي: ص 450-451 من سورة النجم ح 450.

2- تفسير القمي: ج 2 ص 249 سورة الزمر.

3- سورة الأنبياء: 34.

4- تفسير القمي: ج 2 ص 70 سورة الأنبياء.

.....

دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) نعزيه بإسماعيل، فترحم عليه ثم قال: «إن الله عزوجل نعى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) نفسه فقال «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (1) وقال «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (2)، ثم أنشأ يحدث فقال: إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عزوجل، فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا- ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسولك وأمينك، فيقول: إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عزوجل فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا- ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجيء كئيبا حزينا لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكا، أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر» (3).

وفي حديث وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (عليه السلام): «نزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد (صلى الله عليه وآله)، وكان جبرئيل عن

ص: 263

-
- 1- سورة الزمر: 30.
 - 2- سورة العنكبوت: 57.
 - 3- الكافي: ج 3 ص 256 باب النوادر ح 25.

.....

يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت أخذ بروحه (صلى الله عليه وآله) فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال له: عند الشدائد تخذلني، فقال: يا محمد «إنك ميت وإنهم ميتون»، «كل نفس ذائقة الموت» فروي عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك المرض كان يقول: ادعوا إليّ حبيبي، فجعل يدعى له رجل بعد رجل، فيعرض عنه، فقيل لفاطمة: امضى إلى علي، فما نرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد غير علي، فبعثت فاطمة إلى علي (عليه السلام) فلما دخل فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينيه وتهلل وجهه ثم قال: إليّ يا علي، إليّ يا علي، فما زال (صلى الله عليه وآله) يدينه حتى أخذه بيده وأجلسه عند رأسه ثم أغمى عليه، فجاء الحسن والحسين (عليهما السلام) يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأراد علي (عليه السلام) أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: يا علي دعني أشمهما ويشماني وأتزود منهما ويتزودان مني أما إنهما سيظلمان بعديو يقتلان ظلما، فلعنة الله على من يظلمهما، يقول ذلك ثلاثا، ثم مد يده إلى علي (عليه السلام) فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة (صلى الله عليه وآله) فانسل علي (عليه السلام) من تحت ثيابه وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء، فقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): ما الذي ناجاك به رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علمني ألف باب يفتح لي كل باب ألف باب»(1).

ص: 264

لفظ الجلالة

مسألة: يستحب - تأسياً بها (عليها السلام) ولغيره أيضاً - أن يتبع لفظ الجلالة «الله» بما يدل على التعظيم مثل: (جل ثناؤه) كما قالت (عليها السلام)، أو (عز وجل) أو (تبارك وتعالى) أو غير ذلك.

وهكذا بالنسبة إلى عظماء الدين كالأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) فيقال بالنسبة إلى النبي: (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالنسبة إلى الأئمة: (عليهم الصلاة والسلام)، وبالنسبة إلى الأنبياء السابقين: (صلوات الله عليه) بعد الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) فتقول مثلاً: (على نبينا وآله عليه الصلاة والسلام) كما ورد بذلك الخبر.

فعن معاوية بن عمار قال: ذكرت عند أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد وآله ثم عليه صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء»⁽¹⁾. والظاهر أن ما ذكرناه ليس خاصاً باسم الجلالة، وإنما يعم كل أسماء الله سبحانه وتعالى كالرب والقدوس وما أشبه ذلك، بل ينبغي التعظيم بعد ذكر ضميره جل اسمه أيضاً، مثلاً يقال: (فانه جل ثناؤه قال كذا)، وهكذا في سائر الضمائر، وفي دعاء كميل: «وأنت جل ثناؤك قلت مبتدء»⁽²⁾، إلى غير ذلك مما لا يخفى على من راجع الأدعية وكلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

ص: 265

1- وسائل الشيعة: ج7 ص208 ب43 ح9129.

2- مصباح المتهجد: ص248.

وهكذا بالنسبة إلى الضمير العائد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «البخيل حقا من ذكرت عنده فلم يصل علي»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إنَّ البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي»⁽²⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله) في حديث: «ومن ذكرت عنده فلم يصل علي فلم يغفر له فأبعده الله»⁽³⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) فأكثرُوا الصلاة عليه، فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته»⁽⁴⁾.

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر»⁽⁵⁾.

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: «ما في الميزان شيء أثقل

ص: 266

1- وسائل الشيعة: ج 7 ص 204 ب 42 ح 9119.

2- مستدرک الوسائل: ج 5 ص 353 ب 35 ح 6069.

3- انظر الأموال للصدوق: ص 59 المجلس 14 ضمن ح 2.

4- الكافي: ج 2 ص 492 باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح 6.

5- وسائل الشيعة: ج 7 ص 194 ب 34 ح 9092.

من الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج النبي (صلى الله عليه وآله) الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»(3).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدمًا»(4).

وقال (عليه السلام): «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسييح والتهليل والتكبير»(5).

وعن عبد العظيم الحسيني (عليه السلام) قال: سمعت علي بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول: «إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلًا لكثرة صلواته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم»(6).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل من عتق رقاب»(7) الحديث.

ص: 267

1- عدة الداعي: ص 165 تقديم الصلاة على النبي وآله.

2- مكارم الأخلاق: ص 312 في الصلاة على النبي وآله.

3- الكافي: ج 2 ص 492 باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح 8.

4- روضة الواعظين: ج 2 ص 322 في ذكر الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله).

5- انظر الأمالي للصدوق: ص 73 المجلس 17 ضمن ح 4.

6- علل الشرائع: ج 1 ص 34 ب 32 ح 3.

7- ثواب الأعمال: ص 154 ثواب الصلاة والسلام على النبي (صلى الله عليه وآله).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «وجدت في بعض الكتب: من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة، ومن قال: صلى الله على محمد وأهل بيته، كتب الله له ألف حسنة»⁽¹⁾. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «سمع أبي رجلا متعلقا بالبيت وهو يقول اللهم صل على محمد، فقال له أبي (عليه السلام): لا تبتزها لا تظلمنا حقنا، قل: اللهم صل على محمد وأهل بيته»⁽²⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أراد التوسل إلي وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»⁽³⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من صلى علي ولم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»⁽⁴⁾.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم لأمير المؤمنين (عليه السلام): ألا أبشرك؟

قال: بلى.

إلى أن قال: أخبرني جبرئيل أن الرجل من أمتي إذا صلى عليّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي فتحت له أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين

ص: 268

-
- 1- ثواب الأعمال: ص 155-156 ثواب من صلى على محمد وأهل بيته.
 - 2- الكافي: ج 2 ص 495 باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح 21.
 - 3- وسائل الشيعة: ج 7 ص 203 ب 42 ح 9115.
 - 4- وسائل الشيعة: ج 7 ص 203 ب 42 ح 9117.

.....
صلاة وإنه لمذنب خطأ ثم تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ويقول الله تبارك وتعالى لبيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبعمائة صلاة، وإذا صلى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماوات سبعون حجاباً ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بالنبي عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزوجل ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزوجل ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة» ثم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»(3).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «ما جلس قوم يذكرون الله عزوجل إلا ناداهم مناد من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله عزوجل إلا قعد معهم عدة من الملائكة»(4).

ص: 269

1- وسائل الشيعة: ج7 ص204-205 ب42 ح9120.

2- الكافي: ج2 ص497 باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح5.

3- الكافي: ج2 ص496 باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح2.

4- وسائل الشيعة: ج7 ص153 ب3 ح8982.

التكرار مساءً وصباحاً

مسألة: التكرار مطلوب في الجملة، وذلك للتركيز ولبيان الأهمية وما أشبهه، وقد يجب كتكرار الحمد في الركعتين وما أشبهه.

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً» (1).

وقال سبحانه: «لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً» (2).

وقال تعالى: «وسبحوه بكرةً وأصيلاً» (3).

وقال سبحانه: «لئنؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وسبحوه بكرةً وأصيلاً» (4).

وقال تعالى: «واذكر اسم ربك بكرةً وأصيلاً» (5). وقال سبحانه: «فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيّاً» (6).

ص: 270

1- سورة الأحزاب: 41-42.

2- سورة مريم: 62.

3- سورة الأحزاب: 42.

4- سورة الفتح: 9.

5- سورة الإنسان: 25.

6- سورة مريم: 11.

وعن إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قوله عز وجل: «اذكروا الله ذكراً كثيراً» ما حده؟ قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علم فاطمة (عليها السلام) أن تكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة وتسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتحمد ثلاثاً وثلاثين تحميدة فإذا فعلت ذلك بالليل مرة وبالنهار مرة فقد ذكرت الله كثيراً»⁽¹⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً» فقال: لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه»، قال (عليه السلام): «وكان أبي (عليه السلام) كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر»⁽²⁾.

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «أتى النبي (صلى الله عليه وآله)

ص: 271

1- مستدرک الوسائل: ج 5 ص 37 ب 7 ح 5306.

2- الكافي: ج 2 ص 498-499 باب ذكر الله عز وجل كثيراً ضمن ح 1.

رجل فقال: يا رسول الله لقيت من وسوسة صدري شدة وأنا رجل معيل مدين محوج، فقال له: كرر هذه الكلمات: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا- ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، قال: فلم يلبث الرجل أن عاد إليه فقال: يا رسول الله أذهب الله عني وسوسة صدري وقضى ديني ووسع رزقي»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأئمة المؤمنين (عليه السلام): «وعليك يا علي بصلاة الليل» وكرر ذلك ثلاث دفعات(2).

وفي دعاء الموقف لعلي بن الحسين (عليه السلام): «اللهم ارحم موقفي وزد في عملي وسلم لي ديني وتقبل مناسكي»(3) وكرر قولك: اللهم أعتقني من النار.

إلى غير ذلك من مصاديق التكرار مما هو كثير.

هذا وقد ذكر الفقهاء والمحدثون أبواباً عديدة فيما يستحب التكرار فيه، منها:

باب استحباب إعداد الإنسان كفته وجعله معه في بيته وتكرار نظره إليه(4).

باب استحباب رش القبر بالماء مستقبلاً من عند الرأس دوراً ثم على وسطه وتكرار الرش أربعين يوماً كل يوم مرة(5).

ص: 272

1- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 338-339 باب أحكام السهو في الصلاة ح 986.

2- أعلام الدين: ص 262 فصل في فضل قيام الليل والترغيب فيه.

3- مصباح المتعبد: ص 699 دعاء الموقف لعلي بن الحسين (عليه السلام).

4- راجع وسائل الشيعة: ج 3 ص 49 ب 27.

5- راجع وسائل الشيعة: ج 3 ص 195 ب 32.

باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع(1).

باب استحباب الإكثار من تكرار التسييح في الركوع والسجود والإطالة فيهما مهما استطاع حتى الإمام مع احتمال من خلفه للإطالة(2).

باب استحباب تكرار الشهادتين(3).

باب استحباب الدعاء بطلب الخيرة وتكرار ذلك(4).

باب استحباب تكرار الحج والعمرة بقدر القدرة(5). باب استحباب تكرار التسميت ثلاثا عند توالي العطاس من غير زيادة(6).

باب استحباب تكرار التلبية في الإحرام سبعين مرة فصاعدا(7).

باب استحباب تكرار زيارة الحسين (عليه السلام) بقدر الإمكان(8).

باب استحباب تكرار التوبة والاستغفار كل يوم وليلة من غير ذنب ووجوبه مع الذنب(9).

إلى غيرها.

ص: 273

1- راجع وسائل الشيعة: ج 6 ص 231 ب 37.

2- انظر وسائل الشيعة: ج 6 ص 304 ب 6.

3- انظر وسائل الشيعة: ج 7 ص 215 ب 46.

4- راجع وسائل الشيعة: ج 8 ص 74 ب 5.

5- راجع وسائل الشيعة: ج 11 ص 123 ب 45.

6- راجع وسائل الشيعة: ج 12 ص 91 ب 61.

7- راجع وسائل الشيعة: ج 12 ص 386 ب 41.

8- راجع وسائل الشيعة: ج 14 ص 437 ب 40.

9- راجع وسائل الشيعة: ج 16 ص 84 ب 92.

تلاوة القرآن وألحانه

مسألة: يستحب تلاوة القرآن في الصباح والمساء، فإن هذه الأوقات مفتاح باقي الأوقات، إلى المساء، وإلى الصباح، ولذا وردت أدعية عديدة يفتح بها الصباح والمساء، وهما من مظاهر قدرة الله وتحويله وتدييره وتصرفه، ومن الواضح استحباب قراءة القرآن في كل وقت إلا أن في بعضها أكد.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فتكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات»⁽¹⁾.

وعن بشر بن غالب الأسدي عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: «من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلا صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض» قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأه؟ قال: «يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»⁽²⁾.

ص: 274

1- الكافي: ج 2 ص 611 باب ثواب قراءة القرآن ح 2.

2- وسائل الشيعة: ج 6 ص 187-188 ب 11 ح 7691.

.....
وعن جابر قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من قرأ المسبجات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم وإن مات كان في جوار محمد النبي (صلى الله عليه وآله)»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ «قل هو الله أحد» مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»(2).

وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله، ومن قرأها في دبر كل فريضة لم يضره ذو حمة» وقال: «من قدم «قل هو الله أحد» بينه وبين جبار منعه الله عز وجل منه، يقرأها من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فإذا فعل ذلك رزقه الله عز وجل خيره ومنعه من شره» وقال: «إذا خفت أمراً فقرأ مائة آية من القرآن من حيث شئت ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء، ثلاث مرات»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة كتب الله عز وجل له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح المحفوظ قنطاراً من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية أعظم من جبل أحد»(4).

ص: 275

-
- 1- المصباح للكفعمي: ص 446 ف 39 في ذكر ثواب سور القرآن.
 - 2- ثواب الأعمال: ص 128 ثواب قراءة قل هو الله أحد.
 - 3- الكافي: ج 2 ص 621 باب فضل القرآن ح 8.
 - 4- وسائل الشيعة: ج 6 ص 138 ب 62 ح 7555.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ «الهيكم التكاثر» عند النوم وفي فتنة القبر»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ إذا أوى إلى فراشه «قل يا أيها الكافرون» و«قل هو الله أحد» كتب الله عز وجل له براءة من الشرك»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ عشر آيات في ليله لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، المثقال أربعة وعشرون قيراطاً، أصغرهما مثل جبل أحد، وأكبرهما ما بين السماء والأرض»(3).

من أدعية الصباح والمساء

عن الصادق (عليه السلام) قال: «قل حين تصبح ثلاثاً وحين تمسي ثلاثاً: أستودع الله العلي الأعلى الجليل العظيم ديني ونفسي وأهلي ومالي وولدي وإخواني المؤمنين وجميع ما رزقني ربي وجميع من يعينني أمره»(4)، الدعاء.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث الإسراء وهو طويل: «وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت: (اللَّهُمَّ إِنَّ ظُلْمِي

ص: 276

-
- 1- مصباح المتهجد: ص 121 ما يستحب فعله بعد العشاء الآخرة من الصلاة.
 - 2- الكافي: ج 2 ص 626 باب فضل القرآن ح 23.
 - 3- وسائل الشيعة: ج 6 ص 202 ب 17 ح 7731.
 - 4- انظر المصباح للكفعمي: ص 84 ف 16 في أدعية الصباح والمساء.

.....
أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِعَفْوِكَ، وَذَنْبِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِمَغْفِرَتِكَ، وَذُلِّي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِعِزَّتِكَ، وَفَقْرِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِغِنَاكَ، وَوَجْهِي الْبَالِي الْفَانِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِوَجْهِكَ الدَّائِمِ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى) وَأَقُولُ ذَلِكَ إِذَا أَمْسَيْتُ» (1). وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَقُلْ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي سَهْمًا وَافِرًا فِي كُلِّ حَسَنَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَاصْرِفْ عَنِّي كُلَّ مُصِيبَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَعَافِنِي مِنْ طَلَبِ مَا لَمْ تَقْدِرْ لِي مِنْ رِزْقٍ، وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ رِزْقٍ فَسَدِّقْهُ إِلَيَّ فِي يَسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ آمِينَ) ثلاث مرات» (2).

وعن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» (3)، فقال (عليه السلام): «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال: فقلت: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، يحيي ويميت ويحيي ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول» (4).

ص: 277

-
- 1- مستدرک الوسائل: ج5 ص381 ب41 ح6145.
 - 2- الأمل للطوسي: ص371 المجلس13.
 - 3- سورة طه: 130.
 - 4- وسائل الشيعة: ج7 ص226-227 ب49 ح9185.

أقول: فريضة بمعنى تأكد الثواب وثبوت الاستحباب وتقديره، فإن الفرض يأتي بمعنى السن والسنة والتقدير أيضا (1).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال:

«فقد النبي (صلى الله عليه وآله) رجلاً من الأنصار، فقال له: ما غيبك عنا؟

فقال: الفقر يا رسول الله وطول السقم.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا أعلمك كلاماً إذا قلته ذهب عنك الفقر والسقم؟

فقال: بلى يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله): إذا أصبحت وأمسيت فقل:

(لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيراً).

قال الرجل: فوالله ما قلته إلا ثلاثة أيام حتى ذهب عني الفقر والسقم» (2).

وعن صفوان عمن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت.

فقال: «قل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحَمِّدَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهُمَّ
أَدْخِلْنِي فِي

ص: 278

1- انظر لسان العرب، مادة فرض.

2- الكافي: ج 8 ص 93 ح 65.

كُلُّ خَيْرٍ أَذْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»(1).

وعن داود الرقي قال: «دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي: يا داود ألا أعلمك كلمات إن أنت قلتها كل يوم صباحا ومساء ثلاث مرات آمنك الله مما تخاف؟

قلت: نعم يا ابن رسول الله.

قال: قل: (أصبحت بذمة الله وذمم رسله وذمة محمد (صلى الله عليه وآله) وذمم الأوصياء (عليهم السلام) آمنت بسرهم وعلانيتهم وشاهدتهم وغائبهم وأشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمد صلى الله عليه وآله والسلام عليهم).

قال داود: فما دعوت إلا فلبجت على حاجتي»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا أمسيت قل: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُورِ صَلَوَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَائِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) وادع بما أحببت»(3).

ص: 279

1- الكافي: ج2 ص 529 ح 22.

2- بحار الأنوار: ج 83 ص 337 ب 45 ح 73.

3- وسائل الشيعة: ج 5 ص 452 ب 43 ح 7062.

يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً (1)

الهتاف والصراخ

مسألة: يجوز تلاوة القرآن هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ويفهم منه رجحان كل تلك الصور فإن حديثها هذا ليست حكاية عن حالة خارجية فحسب، ولا- إخباراً عن قضية تاريخية فقط، بل هو تقرير أيضاً، ومن الرسول (صلى الله عليه وآله) أيضاً حيث كان ذلك - كما أخبرت (عليها السلام) - يجري بمحضه الشريف وبمرآه ومسمعه، أو المنقول لديه.

فالهتاف: ذات صوت، أو الصياح دون الصراخ، ويقال أيضاً فيمن يسمع صوته ولا يرى شخصه (2).

والصراخ: فوقه، فإنه الصياح الشديد (3).

والتلاوة: الترتيل في القراءة، لا المد الطويل في الكلمات ولا القرب المشين، والترتيل هو التأنى فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات (4).

والألحان: عبارة عن مختلف الألحان والأنغام والإيقاعات - شرط أن لا تكون غناءً - كما نشاهد ذلك في القراء في يومنا هذا حيث تختلف ألحانهم في القراءة من الجميل إلى الأجل، ومن البطيء إلى السريع، وهكذا (5).

ص: 280

1- وفي بعض النسخ: (فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً).

2- راجع لسان العرب: ج 9 ص 344 مادة هتف.

3- راجع لسان العرب: ج 3 ص 33 مادة صرخ.

4- راجع لسان العرب: ج 11 ص 265 مادة رتل.

5- راجع كتاب العين: ج 3 ص 229 مادة لحن.

.....
ويقال: ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة.

وللألحان معنى آخر هو الإفهام، فإنه يقال: ألحنه القول: أي أفهمه إياه.

والأول أقرب بقرينة السياق.

أو المراد اللحن الذي هو الطريق الخاص بإنسان أو بأمة، وقد ورد في الحديث: «اقرأوا القرآن بألحان العرب»⁽¹⁾.

والمراد أن القرآن كان يُقرأ في تلك الألفية، في الليالي والنهار، بصوت عال أو بصوت أعلى، وبتلاوة في مقابل القراءة كالتكلم أو بلا تلاوة، وبألحان أو بغيرها.

لكن من اللازم ملاحظة أن يكون الهتاف والصراخ في موردهما، وإلا فإن الهتاف والصراخ قد يكونان مرجوحين لبعض الأسباب الخارجية.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من قرأ «إنا أنزلناه في ليلة القدر» يجرها بصوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرا كان كالمشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات مرت له على نحو ألف ذنب من ذنوبه»⁽²⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح، قلوبهم مفتونة وقلوب من يعجبه شأنهم»⁽³⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني أخاف عليكم استخفافا بالدين وبيع الحكم

ص: 281

1- انظر الكافي: ج2 ص615 باب ترتيب القرآن بالصوت الحسن ضمن ح3.

2- وسائل الشيعة: ج6 ص209 ب23 ح7751.

3- مستدرک الوسائل: ج4 ص272 ب20 ح14.

.....
وقطيعة الرحم وأن تتخذوا القرآنمزامير»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أعرب القرآن فإنه عربي»(2).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان السقاءون يمشون فيقفون ببابه يسمعون قراءته»(4).

وفي قصة قوم يونس (عليه السلام) لما رأوا آثار العذاب جاؤوا إلى عالمهم وكان اسمه روبيل، فقال لهم: (إذا رأيتم ريحا صفراء أقبلت من المشرق فعبجوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة إليه وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربنا ظلمنا أنفسنا وكذبنا نبينا وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع إلى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب) (5).

وقال ابن عباس: (بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي فقد قتل سيدكن، فقيل: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله الساعة في المنام

ص: 282

1- مستدرک الوسائل: ج4 ص275 ب20 ح4686.

2- وسائل الشيعة: ج6 ص207 ب21 ح7744.

3- الكافي: ج2 ص615 باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح9.

4- وسائل الشيعة: ج6 ص211 ب24 ح7757.

5- قصص الأنبياء للجزائري: ص435 باب في قصص يونس (عليه السلام).

شعثا مذعورا فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم، قالت: فنظرت فإذا بتربة الحسين الذي أتى بها جبرئيل من كربلاء، وقال (صلى الله عليه وآله): إذا صارت دما فقد قتل ابنك فأعطانيها النبي فقال اجعليها في زجاجة فليكن عندك فإذا صارت دما فقد قتل الحسين (عليه السلام)، فرأيت القارورة الآن صارت دما عبيطا يفور(1).

قولها (عليها السلام): «أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه» أي: أعلن القرآن عن هذه المشكلة والفادحة التي هي موت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قولها (عليها السلام): «في أفنيتكم» من فناء الدار، على وزن كساء: العرصة المتسعة أمام البيت، حيث إنهم كانوا يقرؤون القرآن أمام دورهم كما يقرؤون القرآن في الأماكن الأخرى من دورهم وغيرها.

قولها (عليها السلام): «في ممساكم ومصبحكم» الممسي والمصبح، بضم الميم فيهما: مصدران بمعنى الإصباح والإمساء، فإنهم كانوا يقرؤون القرآن صباحاً ومساءً، وحيث إن المراد بالمساء كل الليل فالمراد بالمصبح كل النهار في معناه اللغوي لا الاصطلاحي الذي هو في مقابل العصر.

ص: 283

استصحاب الشرائع السابقة

مسألة: هل يستفاد من كلامها (عليها السلام) هذا حجية الشرائع السابقة واستصحابها، أم أنه استدلال بالأخص على الأعم، وبالتقضايا التكوينية على التشريعية، هذا هو الأظهر، ولا وجه لإلغاء الخصوصية هنا.

نعم الظاهر حجية ما علم بأنه منها (1) إلا ما خرج بالدليل وثبت نسخه، كما ذكرنا ذلك في (الأصول) (2).

قال المحقق (رحمة الله) في الشرائع، في استحباب النكاح: (وربما احتج المانع بأن وصف يحيى (عليه السلام) بكونه حصوراً يؤذن باختصاص هذا الوصف بالرجحان، فيحمل على ما إذا لم تتق النفس، ويمكن الجواب بأن المدح بذلك في شرع غيرنا لا يلزم منه وجوده في شرعنا) (3).

أقول: وذلك للدليل الخاص.

وقال في الجواهر: (ودعوى أن الأصل بقاء الشرائع السابقة إلا ما دل الدليل على نسخه، فإن شرعنا ليس ناسخاً لجميع ما في الشرائع السابقة، بل المجموع من حيث هو مجموع، للقطع ببقاء كثير منها كأكل الطيبات ونكاح

ص: 284

1- أي من الشرائع السابقة.

2- انظر (الأصول) للإمام الشيرازي (قدس سره): ج 2 ص 295-296.

3- انظر شرائع الإسلام: ج 2 ص 504 كتاب النكاح، طبع مركز الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الطبعة العاشرة.

الحلال والعبادات الثابتة في جميع الملل، وأيضاً فوروده في كتابنا الذي هو في شرعنا من دون إشارة إلى نسخه دليل على بقائه، وإلا لم يحسن مدحه عندنا، يدفعها أن الكتاب العزيز والسنة المتواترة الدالين على استحباب النكاح في شرعنا مطلقاً يثبت بهما النسخ ويخرج بهما عن مقتضى الأصل (1).

ص: 285

1- انظر جواهر الكلام: ج 29 ص 20 كتاب النكاح، طبع المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية.

أحوال الأنبياء والرسل (عليهم السلام)

مسألة: يستحب وربما وجب التطرق لأحوال سائر الأنبياء والرسل في مختلف شؤونهم ومراحل حياتهم من الولادة والوفاة والسيارة والسلوك، وكيفية معاشرتهم مع الناس وفي حياتهم العائلية والاجتماعية وغيرهما، لأنهم أسوة وسلوة، فالإنسان يتعلم منهم ويتزكى ويتطبع على مكارم الأخلاق، ومنها الصبر والتصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، وذلك من علة إشارتها (عليها السلام) إلى هذا الجانب.

كما ورد ذلك في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

قال تعالى: «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»(1).

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «كان آدم (عليه السلام) إذا لم يأت جبرئيل اغتم وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله»(2).

وقال ابن عباس: (كان موسى (عليه السلام) رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته)(3).

وفي الحديث: «كان موسى (عليه السلام) إذا صلى لم يفتل حتى يلصق خده

ص: 286

1- سورة الأعراف: 176.

2- مستدرک الوسائل: ج 5 ص 369 ب 39 ح 6110.

3- انظر بحار الأنوار: ج 13 ص 88 ب 4.

.....
الأيمن بالأرض وخذته الأيسر»(1).

وعن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: «كان يحيى بن زكريا (عليه السلام) يبكي ولا يضحك، وكان عيسى ابن مريم (عليه السلام) يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى (عليه السلام) أفضل من الذي كان يصنع يحيى (عليه السلام)»(2).

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «كان عيسى ابن مريم (عليهما السلام) يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اغتر بها، المغبون من اطمأن إليها، الهالك من أحبها وأرادها فتوبوا إلى الله بارئكم»(3).

وعن علي (عليه السلام) قال: «كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول من شاب فقال: ما هذه؟ فقيل: وقار في الدنيا ونور في الآخرة»(4).

وفي الحديث: «كان إبراهيم (عليه السلام) مضيافاً»(5).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان إبراهيم (عليه السلام) غيوراً، وجدع الله أنف من لا يغار»(6).

ص: 287

-
- 1- انظر وسائل الشيعة: ج7 ص12 ب3 ضمن ح8578.
 - 2- الكافي: ج2 ص665 باب الدعابة والضحك ح20.
 - 3- الأموال للصدوق: ص555 المجلس82 ضمن ح12.
 - 4- قصص الأنبياء للجزائري: ص95 ب6 الفصل الأول في علة تسميته وفضائله.
 - 5- الخرائج والجرائح: ج2 ص928.
 - 6- وسائل الشيعة: ج20 ص237 ب134 ح25525.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كان نوح إذا أمسى وأصبح يقول: أمسيت أشهد أنه ما أمسى بي من نعمة في ديناً ودنيا فإنها من الله وحده لا شريك له، له الحمد علي بها كثيراً والشكر كثيراً، فأنزل الله: «إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (1) فهذا كان شكره» (2).

وقال (عليه السلام): «ولما كان يوسف (عليه السلام) في السجن دخل عليه جبرئيل فقال: إن الله ابتلاك وابتلى أباك وإن الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه، فقال يوسف: اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه، قال جبرئيل (عليه السلام): فأبشر أيها الصديق فإن الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام ويملكك مصر وأهلها، تخدمك أشرفها ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيها الصديق أنك صفي الله وابن صفيه، فلم يلبث يوسف (عليه السلام) إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيها الملك أرسلني إلى السجن فإن فيه رجلاً لم ير مثله حلماً وعلماً وتفسيراً» (3) الحديث.

وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليات أهله بما تيسر ولو بحجر، فإن إبراهيم (عليه السلام) كان إذا ضاق أتى قومه وأنه ضاق ضيقة فأتى قومه فوافق منهم أزمة فرجع كما ذهب،

ص: 288

1- سورة الإسراء: 3.

2- تفسير القمي: ج 2 ص 14 معراج رسول الله (صلى الله عليه وآله).

3- قصص الأنبياء للراوندي: ص 132 ب 6 ف 3 ضمن ح 135.

فلما قرب من منزله نزل عن حماره فملاً- خرجه رملاً- أراد أن يسكن به من زوجته سارة، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح الصلاة فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءاً دقيقا فاعتجنت منه واختبزت ثم قالت لإبراهيم: انفتل من صلاتك فكل، فقال لها: أنى لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخرج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنك الخليل»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بكى شعيب من حب الله عزوجل حتى عمي، فرد الله عزوجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك، فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ولكن عقد حبك في قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليتي موسى بن عمران»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي (عليه السلام) أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزوجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»(3).

ص: 289

1- تفسير العياشي: ج 1 ص 277 من سورة النساء ح 279.

2- قصص الأنبياء للجزائري: ص 211 ب 11 في قصص شعيب (عليه السلام).

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 146 ب 8 ح 21201.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى أتدري لم انتخبك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا رب، فأوحى الله إليه أنني اطلعت على الأرض فلم أجد أشد تواضعا لي منك، فخر موسى ساجدا، وعفر خديه في التراب تذلا منه لربه عز وجل، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالتك من بدنك فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة»⁽¹⁾.

وفي الحديث القدسي: قال الله سبحانه لداود (عليه السلام): «أحبيني وحبيني إلى خلقي، قال: يا رب أنا أحبك فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: اذكر أيادي عندهم فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني»⁽²⁾.

وفي تفسير العياشي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه سئل أكان سليمان (عليه السلام) محتاجا إلى علم آصف بن برخيا يعني حتى أحضر له عرش بلقيس؟

فقال (عليه السلام): «إن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف لكنه (عليه السلام) أحب أن يعرف أمته منالجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان (عليه السلام) في حياة داود (عليه السلام) لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق»⁽³⁾.

ص: 290

-
- 1- قصص الأنبياء للجزائري: ص 216-217 ب 12 ف 1 في قصص موسى وهارون (عليهما السلام).
 - 2- قصص الأنبياء للجزائري: ص 349 ف 2 فيما أوحى إليه وما صدر عنه من الحكم.
 - 3- قصص الأنبياء للجزائري: ص 379 ف 3 في قصته مع بلقيس.

وروي: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصوم الإثنين والخميس، فقيل له: لم ذلك؟ فقال (صلى الله عليه وآله): «إن الأعمال ترفع في كل إثنين وخميس فأحب أن ترفع عملي وأنا صائم»(1).

وفي الحديث: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات»(2).

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجلس على الأرض يأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك»(3).

وعن أبي ذر قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أن يجعل مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبيننا له دكانا من طين فكان يجلس عليها ونجلس بجانبه»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسم لحظاته بين أصحابه ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية»(5).

إلى غيرها من الروايات والآيات الواردة في أحوال الأنبياء (عليهم السلام) وقصصهم.

ص: 291

1- مستدرک الوسائل: ج 7 ص 526 ب 18 ح 8816.

2- انظر وسائل الشيعة: ج 2 ص 437 ب 23 ضمن ح 2576.

3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 108-109 ب 75 ح 15780.

4- مكارم الأخلاق: ص 16 ف 2 في تواضعه وحيائه.

5- انظر الكافي: ج 2 ص 671 باب النوادر ضمن ح 1.

الأشباه والنظائر

مسألَتان: يستحب لتعزية المصاب بيان الأشباه والنظائر(1)، كما يستحب ذلك لتكريس إيمان الناس بالحق في شؤون المبدأ والمعاد وغيرهما والمصادر وغيرها.

وقد ذكرت (عليها السلام): «ولقبه ما حل...» فإنه إشارة لما ورد على سائر الأنبياء (عليهم السلام).

فإن ذكر الأشباه والنظائر في كل الموارد توجب القوة بالنسبة إلى المشبّه به والنظير سواء في البراهين أم في المحاسن أم في المساوئ أم ما أشبه ذلك.

وقد عد البعض أن من ملاكات الأعلمية: الأعرافية بالأشباه والنظائر، وذلك لأنها قد تكشف عن الجامع والملاك..

قال في العروة: (المراد من الأعلم من يكون أعرف بالقواعد والمدارك للمسألة وأكثر إطلاعاً لنظائرها...)(2)

وقد ورد الأشباه والنظائر بعبارات مختلفة في كلمات الفقهاء(3) في مختلف

ص: 292

1- النظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه.

2- العروة الوثقى، المسألة: 17.

3- قال الميرزا القمي (رحمة الله) في غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: ج 5 ص 201: (إنه مقتضى تتبع النظائر)، وقال في ج 4 ص 81: (وملاحظة النظائر توجب ذلك) وقال في القوانين: ص 44: (وكما لا يخفى على من لاحظ النظائر)، وقال المحقق النراقي (رحمة الله) في مستند الشيعة: ج 1 ص 273: (واستبعاده مدفوع بوجود النظائر)، وقال صاحب الجواهر في جواهر الكلام: ج 12 ص 232: ► (وكما في النظائر) وفي ج 14 ص 289: (وكما يوضحه ملاحظة النظائر)، وقال الشيخ الأنصاري (رحمة الله) في كتاب الطهارة ج 2 ص 318: (وغير ذلك من النظائر)، وقال آغا رضا الهمداني (رحمة الله) في مصباح الفقيه: ج 3 ص 217: (وكذا غيره من النظائر)، وقال السيد الحكيم (رحمة الله) في مستمسك العروة: ج 8 ص 115: (وكما يظهر من ملاحظة النظائر). إلى غير ذلك مما هو كثير.

ولما سبق ولغيره نجد في القرآن الحكيم - وفي كلمات البلغاء - كثيراً من هذا القبيل..

قال سبحانه: «كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب»(1).

وقال تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»(2).

وقال سبحانه: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ - إِمَّا كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

ص: 293

1- سورة آل عمران: 11.

2- سورة البقرة: 260.

.....
كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(1).

إلى غير ذلك.

وعلى هذا يستفاد عدم الخصوصية في هذا الباب بالنسبة إلى الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، وإن كانوا هم المصدق الأظهر وإلا فسائر الأوصياء والصالحين هم كذلك أيضاً، والاستثناء يكون فيما علم فيه الاختصاص.

قولها (عليها السلام): «ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله» أي: إن الموت حل قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنبياء الله ورسله (صلوات الله عليهم أجمعين).

والفرق بين النبي والرسول، أن الرسول (ذو الرسالة)، فهو النبي الذي يؤمر بالتبليغ، بينما النبي يمكن أن يكون خاصاً بنفسه من دون أمر بالتبليغ إذ هو (المنبأ)، فيبينهما عموم مطلق.

واللام في (لقبه) للتأكيد، يعني: أن موته (صلى الله عليه وآله) شيء مؤكد.

ص: 294

الموت حكم فصل

مسألة: يستحب بيان أن الموت حكم فصل وقضاء حتم.

قال عز وجل: «نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين»(1).

وقال تعالى: «ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»(2).

فإن الموت حكم إلهي تكويني يفصل بين الدنيا والآخرة، كما يفصل بين الحق والباطل - في أحد المعنيين(3) - كما أنه قضاء محتوم لا مرد له، حتى بالنسبة إلى أنبياء الله والرسول (عليهم السلام) فكيف بغيرهم؟ بل «كل شيء هالك إلا وجهه»(4)، فإن كل الكون سيفنى حتى يبقى الله وحده كما ذكر ذلك في الكتب الكلامية استناداً إلى الآيات والروايات.

قال تعالى: «كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»(5).

وقال سبحانه: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة»(6).

ص: 295

1- سورة الواقعة: 60.

2- سورة الأعراف: 34.

3- وسيأتي من الإمام المصنف (رحمة الله) معنى محتمل آخر.

4- سورة القصص: 88.

5- سورة الرحمن: 26-27.

6- سورة آل عمران: 185.

وقال تعالى: «كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون»(1).

وقال سبحانه: «أينما تكونوا يدرككم الموت»(2).

وقال عز وجل: «قل إن الموت الذي تقرون منه فإنه ملائكم»(3).

وقال تعالى: «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»(4).

وقال سبحانه: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت»(5).

قولها (عليها السلام): «حكم فصل» أي: أن الموت حكم من الله سبحانه وتعالى مقطوع به على أحد الوجهين.

قولها (عليها السلام): «وقضاء حتم» أي: أن الله سبحانه وتعالى قضى موت الناس قضاءً حتماً لا مردّ له، فهو من عالم اللوح المحفوظ لا المحو والاثبات فتأمل.

سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن النفختين كم بينهما؟ قال: «ما شاء الله» فقليل له: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: «أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد

ص: 296

1- سورة العنكبوت: 57.

2- سورة النساء: 78.

3- سورة الجمعة: 8.

4- سورة سبأ: 14.

5- سورة البقرة: 133.

.....
وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض.

قال: فإذا رأَت الملائكة إسرائيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء.

قال: فيهبط إسرائيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآوه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض.

قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذوروح إلا صعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذوروح إلا صعق ومات إلا إسرائيل...

قال: فيقول الله لإسرائيل: يا إسرائيل مت، فيموت إسرائيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» (1) يعني تبسط و«تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» (2) يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» (3) فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» وأنا قهرت

ص: 297

1- سورة الطور: 9-10.

2- سورة إبراهيم: 48.

3- سورة غافر: 16.

.....
الخالق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيتي وأنا أحييهم بقدرتي»(1).

وفي تفسير القمي: قوله «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»(2) عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أمتهم وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك، ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عز وجل: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فيرد على نفسه «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» أين الجبارون، أين الذين ادعوا معي إليها، أين المتكبرون ونخوتهم ثم يبعث الخلق»(3).

ص: 298

1- تفسير القمي: ج2 ص252-253 كيفية نفخ الصور.

2- سورة غافر: 16.

3- تفسير القمي: ج2 ص256-257 كيفية موت أهل السماء والأرض.

.....
وفي حديث: يقول عزوجل: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»(1).

حكمة الموت

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن قوما أتوا نبيا لهم فقالوا: ادع لنا ربك يدفع عنا الموت، فدعا لهم، فرفع الله عنهم الموت وكثروا حتى ضاقت بهما المنازل وكثر النسل وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمه وجدته ويوصيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش، فأتوا فقالوا: سل ربك أن يردنا إلى آجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عزوجل فردهم إلى آجالهم»(2).

ذكر الموت

عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جعلت فداك حدثني بما أنتفع به؟ فقال: «يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا»(3).

وسئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له»(4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عزوجل، تهون عليكم المصائب»(5).

ص: 299

1- انظر عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 130 ب 11 ضمن ح 26.

2- روضة الواعظين: ج 2 ص 489 مجلس في ذكر الموت والروح.

3- بحار الأنوار: ج 6 ص 126 ب 4 ح 3.

4- انظر الكافي: ج 3 ص 258 باب النوادر ضمن ح 27.

5- انظر الخصال: ج 2 ص 616 علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد.

وفي الأماي للشيخ الطوسي: فيما كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر: «عباد الله إن الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرد الموت، إن أقمت له أخذكم، وإن فررت منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات»(1).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «اذكروا هادم اللذات» فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد فما أجرأ الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره»(2).

وفي الحديث: تبع أمير المؤمنين (عليه السلام) جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال: «كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجدائهم ونأكل تراثهم قد نسينا كل واعظ وواعظة ورمينا بكل جائحة وعجبت لمن نسي الموت

ص: 300

1- انظر الأماي للطوسي: ص 27-28 المجلس 1 ضمن ح 31.

2- انظر مستدرک الوسائل: ج 2 ص 105-106 ب 17 ضمن ح 1551.

وهو يرى الموت ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»(1).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكير ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»(2).

وقال رجل لأبي ذر (رحمة الله): ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب، قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله، قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى يقول: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ»(3) قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»(4)، (5).

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما الاستعداد للموت؟ فقال: «أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتغال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه»(6).

ص: 301

- 1- بحار الأنوار: ج6 ص136 ب4 ح38.
- 2- مستدرک الوسائل: ج2 ص104 ب17 ح1547.
- 3- سورة الانفطار: 13-14.
- 4- سورة الأعراف: 56.
- 5- جامع الأخبار: ص167 ف133 في القبر.
- 6- الأمالي للصدوق: ص110 المجلس 23 ضمن ح8.

.....
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لم يخلق الله عز وجل يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت»(1).

عند موت إبراهيم (عليه السلام)

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم (عليه السلام) أهبط الله ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم.

قال: وعليك السلام يا ملك الموت، أذاع أم ناع؟

قال: بل داع يا إبراهيم، فأجب.

قال إبراهيم: فهل رأيت خليلا يميت خليله؟

قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم.

فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحب لقاء حبيبه»(2).

شاب من الأنصار

وروي: إن شابا من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عباس وكان عبد الله يكرمهمه يدينه، فقيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتدنيه وهو شاب سوء، يأتي القبور فينبشها بالليالي!

فقال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك فأعلموني.

ص: 302

1- الخصال: ج 1 ص 14 خصلة تشبه ضدها ح 48.

2- مستدرک الوسائل: ج 2 ص 95 ب 13 ح 1517.

قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور، فأعلم عبد الله بن عباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب، قال: فدخل قبرا قد حفر ثم اضطجع في اللحد ونادى بأعلى صوته: يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحبا بك ولا أهلا، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني، بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفا والملائكة صفوفافمن عدلك غدا من يخلصني ومن المظلومين من يستقذني ومن عذاب النار من يجيرني، عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقا ولا وفاء.

وجعل يردد هذا الكلام ويبكي، فلما خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم النباش، نعم النباش ما أنبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرقا(1).

ص: 303

القضاء والقدر

مسألة: يلزم الإيمان بالقضاء والقدر على ما ورد في الآيات والروايات، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض المباحث الكلامية(1).

فإن القضاء بمعنى الانتهاء لغة وعرفاً.

ويكون تكوينياً وتشريعياً.

فالتكويني مثل قوله تعالى: «ففضاهن سبع سماوات»(2) وقوله سبحانه: «فإذا قضيت الصلاة»(3).

والتشريعي مثل قوله عز وجل: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه»(4) فإن هذا بمعنى الانتهاء التشريعي، أي انتهى الأمر بهذه الصيغة، ومنه يسمّى القاضي قاضياً.

والقدر: لغةً وعرفاً بمعنى واحد، وهو التقدير بجعل الحدود للشيء، قال سبحانه: «وقدر فيها أقواتها»(5).

وقال تعالى: «إنا كل شيء خلقناه بقدر»(6).

ص: 304

1- انظر كتاب (الفقه: العقائد) للإمام الشيرازي (قدس سره): ص 290-291 الطبعة الثانية، مؤسسة الإمامة ودار العلوم.

2- سورة فصلت: 12.

3- سورة الجمعة: 10.

4- سورة الإسراء: 23.

5- سورة فصلت: 10.

6- سورة القمر: 49.

وقد ذكرنا في كتاب (العقائد) (1):

أنه لا إشكال في أن غير أفعال الإنسان (2) ومن أشبهه من الملائكة والحوار والجن والشياطين والحيوانات، تتعلق بالقضاء والقدر، فالقول: بأن الأشياء بقدر الله وقضائه يراد بذلك التكويني بأسبابها ومقدماتها وشروطها وما أشبه ذلك سواء كانت وجودات أو أعداماً، إيجاداً أو إعداماً.

أما بالنسبة إلى الأفعال الاختيارية للإنسان ومن أشبهه، فالمراد بالقضاء والقدر: أن الله سبحانه وتعالى قدّر هذا التقدير وحكم بهذا الحكم، مثلاً: قدّر في الصلاة المصلحة وفي شرب الخمر المفسدة وحكم بالأول إيجاباً وبالثاني سلباً، كما أن الله عزّ وجلّ قدّر أن يكون للإنسان مختاراً.

عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (إن الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه) (3).

ص: 305

1- انظر (الفقه: العقائد) ص 293.

2- أي الأفعال غير الاختيارية كنبضات القلب وما أشبهه.

3- المحاسن: ص 243 ب 25 ح 235.

«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»(1).

حرمة الانقلاب عن الحق

مسألة: الاستفهام في الآية الشريفة استنكاري، والآية تدل على قبح وحرمة أن ينقلب الإنسان عن الحق إلى الباطل، وإذا فعل ذلك فإنه يضر نفسه ولا يضر الله سبحانه وتعالى شيئاً.

قال تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ»(2).

وعن ابن عباس: أن علياً (عليه السلام) كان يقول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ»(3)، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، لأني أخوه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني»(4).

ص: 306

1- سورة آل عمران: 144.

2- سورة البقرة: 253.

3- سورة آل عمران: 144.

4- الاحتجاج: ج 1 ص 196 في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام.

.....

وفي التفسير: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (1) قال هو مخاطبة لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» نزلت في القائم (عليه السلام) وأصحابه الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (2).

وعن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة كان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف.

فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدك إنا كنا ذات يوم عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء علي (عليه السلام) وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل علي (عليه السلام) علي إثرهما فكأنما سفي على وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرماد، ثم قال: «يا علي أيتقدمانك هذان وقد أمرت الله عليهما»، قال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما نسيتما ولا سهوتما، وكأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على

ص: 307

1- سورة المائدة: 54.

2- تفسير القمي: ج 1 ص 170 قصة هابيل وقابيل.

الدنيا، ولكأنني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضى». ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى سالت دموعه، ثم قال: «يا عليّ، الصبر.. الصبر، حتى ينزل الأمر ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتبك، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف.. فالقتل القتل حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنّك على الحقّ ومن نواك على الباطل، وكذلك ذريّتك من بعدك إلى يوم القيامة» (1).

قولها (عليها السلام): «قد خلت» أي: سبقت ومضت الرسل (عليهم السلام) من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) وماتوا. «أفإن مات» موتاً طبيعياً «أو قتل» قتلاً غير طبيعي.

وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) هذه الآية في الردّ على من أنكر موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث تظاهر بذلك لأهدافه الخاصة - كما سبق - ، وربما كان بعض الصحابة يستعظم موته (صلى الله عليه وآله)، وربما زعم البعض أنه (صلى الله عليه وآله) لن يموت، كما هو عادة بعض الناس بالنسبة إلى العظماء، ولهذا قالوا: إن موسى (عليه السلام) لم يموت، وقالوا: إن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لم يموت (2)، وقالوا: إن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يموت، وقالوا: إن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لم يموت (3)، وهكذا (4).

ص: 308

1- بحار الأنوار: ج 29 ص 425-426 ب 13.

2- شرح نهج البلاغة: ج 8 ص 120 فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم.

3- انظر الغيبة للطوسي: ص 4 ف 1 الكلام في الغيبة.

4- انظر بحار الأنوار: ج 51 ص 210 ب 12 وفيه: (فإن قيل أليس قد خالف جماعة فيهم من قال ▶ المهدي من ولد علي (عليه السلام) فقالوا هو محمد بن الحنفية، وفيهم من قال من السبائية هو علي (عليه السلام) لم يموت، وفيهم من قال جعفر بن محمد لم يموت، وفيهم من قال موسى بن جعفر لم يموت، وفيهم من قال الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) لم يموت، وفيهم من قال المهدي هو أخوه محمد بن علي وهو حي باق لم يموت).

من هو الرجعي؟

مسألة: قد يراد بالرجعي من يرجع إلى الفطرة والسنة، أو من يرجع إلى أحكام الكتاب العزيز، وقد يراد به من يرجع إلى جذوره التاريخية ليستمد منها الخبرة والعزم لانطلاقة أقوى.

وهذه الرجعية - بالمعاني الثلاثة - محمودة ومطلوبة شرعاً وعقلاً.

قال تعالى: «إن إلى ربك الرجعي»⁽¹⁾.

وقال سبحانه: «وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون»⁽²⁾.

وقال تعالى: «وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون»⁽³⁾.

أما الرجعية بالمعنى المذموم فهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله ههنا: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»⁽⁴⁾ فالرجعي هو من ينقلب على القيم ويرجع إلى الظلمات بعد أن أخرج منها إلى النور، والرجعي هو من يرجع

ص: 309

1- سورة العلق: 8.

2- سورة الأعراف: 174.

3- سورة الزخرف: 28.

4- سورة آل عمران: 144.

إلى أهواء النفس والشهوات ومن يرجع إلى الشيطان وأصدقاء السوء.

«انقلبتم على أعقابكم» كناية عن الرجوع القهقري، أريد به الارتداد بعد الإيمان، لأن الإنسان الذي يريد أن يمشي إلى خلفه يضع عقبيه أولاً، والله سبحانه وتعالى لا يتضرر بسبب الارتداد وإنما يتضرر المرتد نفسه.

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»⁽¹⁾.

وعن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أتزعمون أن رحم نبي الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله، إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، ثم قال: «يا أيها الناس أنا فرطكم على الحوض فإذا جئت وقام رجال يقولون يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري»⁽²⁾.

ص: 310

1- سورة المائدة: 54.

2- الأمالي للطوسي: ص 269 المجلس 10.

الحصر الإضافي

مسألة: الرسالة الإسلامية لا تموت بموت الرسول (صلى الله عليه وآله).

فإن الحصر في الآية الشريفة يشير إلى أن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان رسولاً فحسب من هذه الجهة، فلئن مات الرسول فإن (الرسالة) لم تمت و(المرسل) هو الله الدائم القائم، فلا عذر لأحد في التخلي عن تعاليمه وأوامره (صلى الله عليه وآله) بالاستناد إلى أنه قد مات وانتهى كل شيء، لذلك فإن (الانقلاب) عليه (صلى الله عليه وآله) هو انقلاب على الله، وهذا مما لن يضر الله شيئاً بل يضر المنقلبين أنفسهم.

ومن ذلك يظهر أن الحصر في (وما محمد إلا رسول) بالقياس إلى كونه المصدر الأول والأخير.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»⁽¹⁾.

وكأنها (عليها السلام) أرادت بذلك أن تقول: هل تقولون إن محمداً (صلى الله عليه وآله) مات وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريده، فنعمل ما نشاء ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر كما كنا نهاه في حال حياته؟! ولذا فعلتم ما فعلتم من غصب الخلافة واغتصاب فدك وما أشبه ذلك، لكن يلزم أن تعلموا أنكم لن تضروا الله بهذه المعاصي وإنما تضرون أنفسكم، وإن الشاكر الذي يشكر نعم الله سبحانه وتعالى ويبقى على الانقياد لأوامره ونواهيها ولا يخالف الكتاب والسنة سيكون مورد ثواب الله سبحانه وتعالى وجزائه.

ص: 311

1- الكافي: ج 1 ص 58 باب البدع والرأي والمقاييس ح 19.

الشاكرون

مسألة: تجب الاستقامة على الحق.

والذين يستمرون على الصراط المستقيم هم المعجزون بثواب الله سبحانه وهم الشاكرون، لأن الاستقامة على الحق نوع شكر لله تعالى، إذ من مصاديقه (1) استعمال كل نعمة في موردها، سواء بالقلب أم اللسان أم الجوارح، وإن كان العمل الجوارحي أصعب.

قال سبحانه: «اعملوا آل داود شكراً» (2).

فإن أصل معرفة نعم الله سبحانه وتعالى قد لا يحتاج إلى جهد بدني ولا جهد مالي ولا ما أشبهه، كما أن التلفظ بالشكر فقط ليس بحاجة إلى مثل هذه الأمور عادة، وإنما الشكر العملي بحاجة إلى مختلف الجهود.

وجزاء الله سبحانه وتعالى إنما هو للشاكرين الذي يشكرون نعمه سواء في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) أم بعد مماته. روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُدَّهُ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (3): يعني بالشاكرين صاحبك علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمرتدين

ص: 312

1- أي الشكر.

2- سورة سبأ: 12.

3- سورة آل عمران: 144.

على أعقابهم الذين ارتدوا عنه»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: تدرون مات النبي أو قتل، إن الله يقول: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»(2) فسم قبل الموت إنهما سمتاه»، فقلنا إنهما وأبويهما شر من خلق الله(3).

وقال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»(4) القتل أم الموت؟ قال: «يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»(5).

ص: 313

-
- 1- بحار الأنوار: ج 41 ص 3 ب 99.
 - 2- سورة آل عمران: 144.
 - 3- بحار الأنوار: ج 28 ص 20-21 ب 1 ح 28.
 - 4- سورة آل عمران: 144.
 - 5- تفسير العياشي: ج 1 ص 200 من سورة آل عمران ح 153.

النسبة للأم

مسألة: يجوز نسبة إنسان أو جماعة إلى الأم، فيما إذا لم يكن من باب تعبير المؤمن ونحوه.

وقد كان هؤلاء معروفين ببني قيلة، نسبة إلى أمهم، حيث كانت لها مكانة اجتماعية. ومن هنا يقال للسادة: بنو الزهراء (صلوات الله عليها) لأنها (عليها الصلاة والسلام) كانت قمة القمم وفي عداد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والعدول عن النسبة للأب إلى النسبة للأم قد يكون استجاباً للرحمة واستدراراً للعاطفة، أو استشارة للغيرة والحمية، أو لأجل تكريس التعظيم، أو لخصلة إنسانية أخرى في المنسوب أو السامعين أو غيرهم، وذلك تبعاً لما تميزت به الأم من صفة أو حالة تذكر الناس وتؤثر فيهم، ولما يتداعى في الأذهان من تلك النسبة.

قال تعالى حكاية عن هارون (عليه السلام): «يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي»⁽¹⁾ حيث خص الأم استعطافاً وترقيفاً.

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة»⁽²⁾.

ص: 314

1- سورة طه: 94.

2- انظر وسائل الشيعة: ج3 ص281 ب87 ضمن ح3655.

ولما أخذت أم الشاب المقتول بكربلاء عمود خيمته حملت على القوم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة *** خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربة عنيفة *** دون بني فاطمة الشريفة (1)

وعن جعفر (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «لما ولي عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة، قال فدخل عليه أخوه فقال له: إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم، فقال: أفضلهم لأنني سمعت حتى لا أبالي أن أسمع أو لا أسمع، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول إنما فاطمة شجنة مني، يسرنيما أسرها، ويسوؤني ما أساءها فأنا أتبع سرور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأتقي مساءته» (2).

هذا وكان ما صدر من عمر بن عبد العزيز مثل ما صدر من المأمون العباسي، وذلك للسيطرة على الأمور فإن الناس قد عرفوا بعض منزلة أهل البيت (عليهم السلام) ومالوا إليهم.

وعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كنت عند زياد بن عبيد الله وجماعة من أهل بيتي فقال يا بني علي ويا بني فاطمة ما فضلكم على الناس، فسكتوا، فقلت: إن من فضلنا على الناس أنا لا نحب أن من أحد سوانا وليس أحد من الناس لا يحب أنه منا إلا أشرك» (3).

ص: 315

1- انظر المناقب: ج 4 ص 104 فصل في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

2- قرب الإسناد: ص 44-45.

3- المحاسن: ج 2 ص 333 كتاب العلل ح 101.

.....
وفي الشعر:

ومهما ألام على جبههم *** بأني أحب بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكمات *** وبالدين والسنة القائمة

ولست أبالي بحبي لهمو *** سواهم من النعم السائمة

وقال:

لمن ذا من بني الزهراء أبكي *** بدمع هامر ودم غزير

ألمسموم بالأحقاد أبكي *** أم المقتول ذي النحر النحير

وقال:

بكم يا بني الزهراء تمت صلاتنا *** ولولاكم كانت خداجا بها بتر

بكم يكشف البلوى ويستدفع الأذى *** كما بأبيكم كان يستنزل القطر

وقال:

أحببتكم يا بني الزهراء محتسبا *** وحب غيري حب غير محتسب

لا حاجة لي إلى خلق ولا أرب *** إلا إليكم وحسبي ذاك من أرب

ما طاب لي مولدي إلا بحبكم *** يا طيبون ولولا ذاك لم يطب

أنتم بنو المصطفى والمرضى نجب *** من كل منتجب سمي بمنتجب

أنتم بنو شاهد النجوى من الغيب *** أنتم صاحب الآيات والعجب

أنتم بنو خير من يمشي على قدم *** بعد النبي مقال الحق لا كذب

وقد يكون العكس، حيث يعيّر بعض الناس بالأم، كما قالت الصديقة الصغرى زينب الكبرى (عليها السلام) لابن زياد: «ثكلتك أمك يا بن مرجانة»(1).

وقال ابن حماد:

سعى في قتله الرجس ابن هند *** ليشفي منه أحقادا ووغما

وأطمع فيه جعدة أم عبس *** ولم يوف بها فسقته سما (2)

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

«تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين (عليه السلام) وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين (عليه السلام) وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمدّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب»(3).

وقال محمد بن أبي طالب: (ثم رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول: ملك عبد حرا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم رضيتم بالذل فبعداً لمن رضي) (4).

ص: 317

1- انظر بحار الأنوار: ج 45 ص 116 ب 39.

2- انظر المناقب: ج 4 ص 42 فصل في وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) وزيارته (عليه السلام).

3- انظر الكافي: ج 4 ص 147 باب صوم عرفة وعاشوراء ضمن ح 7.

4- انظر بحار الأنوار: ج 45 ص 117 ب 39.

وفي زيارة عاشوراء: «ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة»⁽¹⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه»⁽²⁾.

وفي التاريخ: انه قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن علي (عليه السلام) في آخر الناس، فقال: أبطأت يا أبا محمد، فلعلك أردت تبخلني عند قریش فانتظرت يفتنى ما عندنا، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد وأنا ابن هند، فقال الحسن (عليه السلام): «لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽³⁾.

إلى غير ذلك مما هو مشهور في أساليب البلغاء.

ص: 318

1- مصباح المتعجب: ص 774 .

2- بحار الأنوار: ج 33 ص 161 ب 17 ح 424.

3- انظر المناقب: ج 4 ص 18 فصل في مكارم أخلاقه (عليه السلام).

التخصيص بعد التعميم

مسألة: تخصيص الخطاب بشخص أو جهة بعد تعميمه أو عموميته كما في قولها (عليها السلام): «إيهاً بني قيلة» يضاعف المسؤولية ويكشف عن شدة الطلب وتأكده، أو عن تعدد المطلوب (1)، وسيكون عقاب العصبي أشد، إلا لو كان من باب طرفية الخطاب (2).

قولها (عليها السلام): «إيهاً بني قيلة» إيهاً - بفتح الهمزة والتنوين - بمعنى: إليكم أحاطب، وقد تكون بمعنى هيات ويكون المعنى حينئذٍ: من البعيد منكم أن اهضم أرث أبي وأنتم بمراى مني ومسمع.

وبنو قيلة: هما قبيلتا الأنصار الأوس والخزرج، وقيلة - بفتح القاف - اسم أم لهم في قديم الزمان كانت تسمى قيلة وهي قيلة بني كاهل فإنهممتمشعبون منها.

ص: 319

1- فعلى هذا لا يكون في بعضها كفاثياً.

2- أي احتياج الخطاب إلى طرف وجهة يوجه لها، والظاهر أن الخطاب ل- (بني قيلة) لم يكن من هذا الباب.

تكرار الطلب

مسألة: يستحب وقد يجب أن يكرر المظلوم طلبه.

فإن في التكرار احتمال التأثير أولاً، ثم نشر الظلامة ثانياً، وغرسها في أعماق الأنفس ثالثاً، ثم ردع الظالمين في المستقبل عن ظلمهم حيث يعرفون أن خبر ظلمهم ينتشر ويفتضحون رابعاً، إلى غير ذلك من الفوائد المذكورة للتكرار في كتب البلاغة وما أشبهه.

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إن زين العابدين (عليه السلام) بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبيل طعامه من دموعه ويمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل» (1).

وقد كان يكرر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله: «نفذوا جيش أسامة» (2).

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره

ص: 320

1- وسائل الشيعة: ج3 ص283 ب87 ح3658.

2- انظر إعلام الوری: ص133.

أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتثاقل أسامة وثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياماً حتى يشفيك الله تعالى.

فقال: اخرج وسر على بركة الله.

فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك.

فقال: سر على النصر والعافية.

فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني أكره أن أسأل عنك الركبان. فقال: أنفذ لما أمرتك به.. ثم أغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقام أسامة فتجهز للخروج، فلما أفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) سأله عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه.. وكرر ذلك(1).

وقد ورد التكرار في كثير من الأدعية. روي: أن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس وكان يدعو كثيراً فيقول: «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعتق عند الحساب» ويكرر ذلك(2).

ص: 321

1- انظر شرح نهج البلاغة: ج6 ص52 ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.

2- انظر الإرشاد: ج2 ص231 باب ذكر طرف من فضائله ومناقبه (عليه السلام).

اشتداد الحرمة

مسألة: في انتهاك الحرمة وإضاعة الحق، الحرمة تشتد بلحاظ: المنتهك، والمنتهك حرمة، ونوع الحق، لذلك فإن هضمها (عليها السلام) تراث أبيها (صلى الله عليه وآله) كان من أشد المحرمات.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ما قرب وفاته: «يا علي أني راض عن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء وهم مني براء»⁽¹⁾.

وفي الحديث عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إذا حق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعظم من حق الوالدين وحق رحمه أيضا أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضا أعظم وأحق من رحمهما، فرحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أولى بالصلة وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، فالويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرمة الله تعالى وأن الله أعظم حقا من كل منعم سواه، وإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث

ص: 322

1- انظر بحار الأنوار: ج 22 ص 485 ب 1 ضمن ح 31.

أكل الإرث

مسألة: يحرم منع أي الشخص من إرثه، أو اقتطاع قدر من الإرث بعنوان الضريبة وغير ذلك، ولا يسوغ ذلك العذر باحتياج الدولة أو ما أشبه كما فعل غاصبوها (عليها السلام).

وفي تفسير القمي (رحمة الله): (وقال الله: «كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ»(2) أي لا تدعوهم، وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم وأكلوا أموال اليتامى وفقراءهم وأبناء سبيلهم، ثم قال: «وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا»

أي وحدكم «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا»(3) تكتزونه ولا تنفقونه في سبيل الله(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عليّ كيف أنت إذا رأيت أزهّد الناس في الآخرة، ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التّراث أكلاً لَمًّا، وأحبّوا المال حبًّا جَمًّا واتّخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولا؟ قال: قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة وأصبر على مصائب الدنيا ولأواتها حتى

ص: 323

-
- 1- انظر تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 35 نداء الرب سبحانه وتعالى أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ضمن ح 12.
 - 2- سورة الفجر: 17-18.
 - 3- سورة الفجر: 19-20.
 - 4- تفسير القمي: ج 2 ص 420 سورة الفجر.

ألقاك إن شاء الله. فقال: هديت، اللهم افعل به ذلك»(1).

وعموماً فإنه يحرم أن يهضم أي إنسان حقه، فعلى الهاضم أن يعرف أن وراءه العقاب، وعلى المهضوم أن يطالب برفع ظلامته - إلا مع المصلحة الأهم -، ولذا قال سبحانه: «لا تظلمون ولا تُظلمون»(2).

وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): «واجعل لي يداً على من ظلمني، ولساناً على من خصمني، وظفراً بمن عاندني، وهب لي مكرأً على من كابدني، وقدرة على من اضطهدني، وتكذيباً لمن قصبني، وسلامة ممن توعدني»(3).

وفي هذا الدعاء أيضاً قال (عليه الصلاة والسلام): «اللهم صل على محمد وآله ولا أظلمن وأنت مطيق للدفع عني ولا أظلمن وأنت القادر على القبض مني»(4).

قولها (عليها السلام): «أهضم تراث أي؟» الهضم عبارة عن الكسر وعدم الرعاية، أي: لا يراعى حقي في إرث والدي، فإن التراث بمعنى: الميراث، وأصل التاء فيه الواو، فإن الواو تقلب إلى التاء كما قال الأديب، والمراد بالتراث: فدك، وقد ذكرنا سابقاً أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أرادت الإرث الحقيقي في مقابل قولهم، أو الإرث بالمعنى الأعم مما يتركه الوالد لأولاده سواء في حياته أو بعد مماته، حيث كانت فدك نحلة.

ص: 324

1- انظر بحار الأنوار: ج 29 ص 463-464 ب 13.

2- سورة البقرة: 279.

3- الصحيفة السجادية: دعاء 20 من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق.

4- الصحيفة السجادية: دعاء 20 من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق.

شحن الهمم

مسألة: يستحب للمظلوم أن يطالب الناس بمساعدته وأن يشحن الهمم لها، وقد يجب ذلك، لحرمة تقبل المظلومية والبقاء عليها في الجملة.

فإذا ظلم شخص وعلم المظلوم أنه لو استعان ببعض الأفراد لتمكن من دفعه أو رفعه لزم ذلك.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: «أيها الناس إني ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله فاسألوني ثم اسألوني»⁽¹⁾.

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: أنه سأل أباه (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى»⁽²⁾ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أيها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي وهداي هدى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن اتبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتبع هداي ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله ومن اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى»⁽³⁾.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه خطب ذات يوم وقال: «أيها الناس أنصتوا لما أقول رحمكم الله، أيها الناس بايعتم أبا بكر وعمر وأنا

ص: 325

1- الإرشاد: ج 1 ص 229 من كلامه (عليه السلام) في الدعاء إلى معرفته وبيان فضله.

2- سورة طه: 123.

3- تأويل الآيات الظاهرة: ص 314-315 سورة طه وما فيها من الآيات.

والله أولى منهما وأحقّ منهما بوصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمسكت، وأنتم اليوم تريدون تباعون عثمان، فإن فعلتم وسكت والله ما تجهلون فضلي ولا جهله من كان قبلكم، ولولا ذلك قلت ما لا تطيقون دفعه».

فقال الزبير: تكلم يا أبا الحسن.

فقال عليّ (عليه السلام): «أنشدكم بالله هل فيكم أحد وحّد الله وصلّى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبلي؟

أم هل فيكم أحد أعظم عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكانا منّي؟

أم هل فيكم أحد من كان يأخذ ثلاثة أسهم القرابة وسهم الخاصّة وسهم الهجرة غيري؟

أم هل فيكم أحد جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) باثنتي عشرة ثمرة غيري؟

أم هل فيكم أحد من قدّم بين يدي نجواه صدقة لما بخل الناس ببذل مهجته غيري؟

أم هل فيكم أحد أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده يوم غدیر خمّ وقال من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وليبّغ الحاضر الغائب، فهل كان في أحد غيري؟

أم هل فيكم من أمر الله عزوجل بمودّته في القرآن حيث يقول: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (1)، هل قال من قبل لأحد غيري؟

أم هل فيكم من غمّض عيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) غيري؟

ص: 326

.....
أم هل فيكم من وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حفرة غيره؟

أم هل فيكم من جاءته آية التنزيه مع جبرئيل (عليه السلام) وليس في البيت إلا أنا والحسن والحسين وفاطمة، فقال جبرئيل (عليه السلام): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم قال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيرًا» (1) الآية، هل كان ذلك اليوم غيري؟

أم هل فيكم من ترك بابه مفتوحا من قبل المسجد لما أمر الله، حتى قال عمر: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرجتنا وأدخلته، فقال: الله عز وجل أدخله وأخرجكم، غيري؟

أم هل فيكم من قاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله غيري؟

أم هل فيكم من له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، ابنا أحد غيري؟

أم هل فيكم من قال له النبي (صلى الله عليه وآله): أنت ممي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، غيري؟

أم هل فيكم من قال (صلى الله عليه وآله) في حقه يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح على يده بالنصر، فأعطاها أحدا غيري؟

أم هل فيكم من قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الطائر المشوي: اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فأنتيت أنا معه، هل أتاه أحد غيري؟

ص: 327

أم هل فيكم من سمّاه الله عزوجل وليّه غيري؟

أم هل فيكم من طهّره الله من الرجس في كتابه غيري؟

أم هل فيكم من زوّجه الله بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) غيري؟

أم هل فيكم من باهل به النبي (صلى الله عليه وآله) غيري؟

قال: فعند ذلك قام الزبير وقال: ما سمعنا أحدا قال أصحّ من مقالك، وما نذكر منه شيئا، ولكن الناس بايعوا الشيخين ولم نخالف الإجماع!

فلما سمع ذلك نزل (عليه السلام) وهو يقول: «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا» (1) «(2)».

خذلان المظلوم

مسألة: يحرم خذلان المظلوم وعدم إحقاق حقه مطلقاً سواء كان بمرأى من المظلوم ومسمع ومنتدى ومجمع أم لم يكن. لكن الحرمة في هذا المورد أشد وإن كانت الحرمة ثابتة على كل من يقدر على رفع الظلم عن الناس سواء كان قريباً أم بعيداً فيما إذا كان من موازين النهي عن المنكر ودفع المنكر حسب المذكور في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (3) وكون الحرمة أشد فيما لو كان بمرأى ومسمع.. الخ يستفاد من أدلة عديدة ومنها قولها (عليها السلام) هذا.

ص: 328

1- سورة الكهف: 51.

2- انظر بحار الأنوار: ج 31 ص 360-361 ب 26.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 47، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

.....

وفي نهج البلاغة: ومن كلام له (عليه السلام): «لم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس أمري وأمركم واحدا، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، أيها الناس أعينوني على أنفسكم وأيم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزائمه حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»(2).

وعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أصبح لا يهتم بامر المسلمين فليس من الإسلام في شيء، ومن شهد رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين»(3).

السمع بالظلم

مسألة: لا فرق في الحرمة المذكورة بين رؤية الظلم أو السماع به، فالمرأى يكون بالرؤية، والمسمع بالسمع، فإن جماعة من الصحابة لم يروا الظلم وإنما سمعوه وكانوا قادرين على دفعه وإرجاع الحق إلى أهله، لكنهم تقاعسوا عن ذلك خوفاً أو طمعاً أو لعدم المبالاة أو لغير ذلك.

ص: 329

1- نهج البلاغة، الخطب: 136 من كلام له (عليه السلام) في أمر البيعة.

2- الكافي: ج 2 ص 164 باب الاهتمام بأمور المسلمين ح 5.

3- بحار الأنوار: ج 72 ص 21 ب 33 ح 20.

.....
قال الإمام الحسين (عليه السلام): «من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبننا كبه الله على وجهه في نار جهنم»(1).

وعن عمرو بن قيس المشرفي قال: دخلت على الحسين (عليه السلام) أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك، فقال: «خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل» ثم أقبل علينا فقال: «جئتما لنصرتي» فقلت: إني رجل كبير السن كثير الدين كثير العيال وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: «فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سوادا، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبننا ولم يعنا كان حقا على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار»(2).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال:

«أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) على الحوض ومعنا عترتنا، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بأعمالنا، فإننا أهل البيت لنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإننا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أوليائنا، ومن شرب منه لم يظمأ أبدا وحوضنا مترع فيه مشعبان ينصبان من الجنة، أحدهما تسنيم والآخر معين، على حافتيه الزعفران وحصباه الدر والياقوت، وإن الأمور إلى الله وليست إلى العباد ولو كانت إلى العباد ما اختاروا علينا أحدا ولكنه يختص برحمته من يشاء من عباده، فاحمد الله على ما اختصكم به من النعم وعلى طيب المولد، فإن ذكرنا

ص: 330

1- انظر الأمالي للصدوق: ص 155 المجلس 30 ضمن ح 1.

2- ثواب الأعمال: ص 259-260 عقاب من سمع واعية أهل البيت (عليهم السلام).

أهل البيت شفاء من الوباء والأسقام ووسواس الريب، وإن حبنا رضى الرب، والآخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غدا في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار، نحن الباب إذا بعثوا فضاقت بهم المذاهب، نحن باب حطة وهو باب الإسلام من دخله نجا ومن تخلف عنه هوى، بنا فتح الله وبنا يختمونا «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ» (1) وبنا ينزل الغيث فلا يغرنكم بالله الغرور، لو تعلمون ما لكم في الغناء بين أعدائكم وصبركم على الأذى لقرت أعينكم، ولو فقدتموني لرأيتم أمورا يتمنى أحدكم الموت مما يرى من الجور والعدوان والأثرة والاستخفاف بحق الله والخوف، فإذا كان كذلك ف-«اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» (2) وعليكم بالصبر والصلاة والتقية، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلون فلا تزولوا عن الحق وولاية أهل الحق، فإنه من استبدل بنا هلك ومن اتبع أثرنا لحق ومن سلك غير طريقنا غرق، وإن لمحبيننا أفواجا من رحمة الله وإن لمبغضينا أفواجا من عذاب الله، طريقنا القصد وفي أمرنا الرشد، أهل الجنة ينظرون إلى منازل شيعتنا كما يرى الكوكب الدرّي في السماء، لا يضل من اتبعنا ولا يهتدي من أنكرنا ولا ينجو من أعان علينا عدونا، ولا يعان من أسلمنا، فلا تخلفوا عنا لطمع دنيا بحطام زائل عنكم، وأنتم تزولون عنه، فإنه من آثر الدنيا علينا عظمت حسرته وقال الله تعالى:

ص: 331

1- سورة الرعد: 39.

2- سورة آل عمران: 103.

.....

«يا حَسَدَ رَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (1) سراج المؤمن معرفة حقنا وأشد العمى من عمي من فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب إلا أن دعوانه إلى الحق ودعاه غيرنا إلى الفتنة فأثرها علينا، لنا راية من استظل بها كنته ومن سبق إليها فاز ومن تخلف عنها هلك ومن تمسك بها نجا، أنتم عمار الأرض الذين استخلفكم فيها لينظر كيف تعلمون فراقبوا الله فيما يرى منكم وعليكم بالمحجة العظمى فاسلكوها، لا يستبدل بكم غيركم «سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (2) فاعلموا أنكم لن تنالوها إلا بالتقوى ومن ترك الأخذ بمن أمر الله بطاعته قيص الله له شيطاناً فهو له قرين، ما بالكم قد ركنتم إلى الدنيا ورضيتم بالضميم وفرطتم فيما فيه عزكم وسعادتكم وقوتكم على من بغى عليكم، لا من ربكم تستحيون ولا لأنفسكم تنظرون وأنتم في كل يوم تضامون، ولا تنتبهون من رقدتكم ولا تنقضي فترتكم، أما ترون إلى دينكم يبلى وأنتم في غفلة الدنيا، قال الله عز ذكره: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ» (3).

وربما يكون في قولها (عليها السلام): «وأنتم بمرأى مني ومسمع» إشارة أخرى (4) إلى أنه: لا مجال للتهرب بإنكار العلم والاطلاع.

ص: 332

-
- 1- سورة الزمر: 56.
 - 2- سورة آل عمران: 133.
 - 3- سورة هود: 113.
 - 4- الإشارة الأولى: تقييح خذلانهم لها مع كونهم بمرأى منها ومسمع.

هذا وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنسبة إلى المرأة المعاهدة: «ولقد بلغني أن العصابة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذنها والأوصاح من يديها ورجليها وعضديها والخلخال والمنزر عن سوقها فما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء يا للمسلمين فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمنات دون هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارا محسنا»⁽¹⁾.

ص: 333

1- انظر الإرشاد: ج 1 ص 283.

المسؤولية المضاعفة للتجمعات

مسألان: من له المجمع تكون مسؤوليته أكبر، وحرمة خذلانه أشد، كما يلزم توفير وتأسيس (المجمع) و(التجمع) للاهتمام بالحقوق والواجبات وما أشبه إن لم يكن موجوداً.

وقد ذكرنا بعض التفصيل في كتاب (إنشاء الجمعيات) (1).

فإن القوة مع الجماعة، ولذا ورد: «يد الله مع الجماعة» (2) وفي بعض الروايات: «على الجماعة» (3).

ويستنبط ذلك (4) أيضاً من قوله تعالى: «وتعاونوا» (5).

فالصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) نبهتهم على أنهم مجتمعين يتمكنون من استنقاذ حقها، وعلى هذا فلا يمكنهما الاعتذار بالإنفراد وعدم التمكن حينئذٍ.

هذا وفي الحديث: «الاثنان جماعة» (6).

وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «المؤمن وحده حجة، والمؤمن وحده جماعة» (7).

ص: 334

1- يقع الكتاب في 88 صفحة من الحجم 14×20، ط: مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، 1422هـ-.

2- نهج البلاغة، الخطب: 127 من كلام له (عليه السلام) وفيه يبين بعض أحكام الدين.

3- الأمالي للطوسي: ص 236 المجلس 9.

4- الظاهر عود اسم الإشارة إلى المسألة الثانية (كما يلزم توفير).

5- سورة المائدة: 2.

6- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 376 باب الجماعة وفضلها ح 1094.

7- وسائل الشيعة: ج 8 ص 297 ب 4 ح 10713.

وغير خفي أن (للمنتدى) و(المجمع) ألواناً وأشكالاً ومراتب، يختلف كل ذلك باختلاف الأزمان والأعراف والأفراد وغير ذلك (1).

وكان لبني قيلة من أنواع المجمع التجمع القبلي، وتجمع الأنصار، وربما كان غيره أيضاً.

قولها (عليها السلام): «وانتم بمراى منى ومسمع» أي: بحيث أراكم وأسمع كلامكم (2)، فكيف يتجرأ ابن أبي قحافة على أن يسلبني تراثي والحال أنكم تعلمون أنني أراكم وأسمع كلامكم (3) والمراد قريهم منها (صلوات الله عليها) وقربها منهم.

قولها (عليها السلام): «ومنتدى ومجمع» المنتدى: محل الاجتماع، ويقال له: النادي أيضاً بلحاظ أن بعضهم ينادي بعضاً، والمجمع: مصدر ميمي يمكن أن يراد به المكان الذي يجتمع فيه، أي لكم مكان يجتمع فيه، ويمكن أن يراد به الاجتماع أي لكم اجتماع وتجمع يمكنه أن يتصدى للدفاع والنصرة.

ص: 335

-
- 1- فمن تجمع قبلي إلى تجمع نقابي إلى تجمع حزبي.
 - 2- أو تروني وتسمعون كلامي فتأمل.
 - 3- أو والحال أنكم تروني وتسمعونني.

عذر مدعي القصور

مسألة: يلزم دفع أو رفع عذر القاصر في معرفة التكاليف وغيره ممن يدعي أو سيدعي ذلك (1)، وربما يكون ذلك هو السر في تصريحها (عليها السلام) بأن الدعوة قد لبستهم والخبرة شملتهم، حتى تكون الحجة عليهم أتم.

فلا يقولون في المستقبل: إن الحجة لم تصل إلينا ولم نكن نعرف ما تطلبونه، أو لم نكن ندري بأن التكليف شامل لنا والخطاب موجه إلينا، أو لدفع هذا التوهم في الحال.

قال تعالى: «قل فله الحجة البالغة» (2).

مضافاً إلى أنه يجب على الإنسان أن يبحث عن تكاليفه، فلا يكفي أن يقول: كنت جاهلاً، إذ على الجاهل أن يتعلم.

روي عن هارون عن ابن زياد قال: سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) وقد سئل عن قوله تعالى «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» فقال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنت عالماً، فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت، وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل، فيخصمه، وذلك الحجة البالغة» (3).

ص: 336

1- أي: القصور.

2- سورة الأنعام: 149.

3- الأمالي للمفيد: ص 227-228 المجلس 26.

وفي تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) قال : «دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا جابر قوام هذه الدنيا بأربعة، عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستتشف أن يتعلم، وغني جواد بمعرفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه غيره، ثم قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا كنتم العالم العلم أهله، وزها الجاهل في تعلم ما لا بد منه وبخل الغني بمعرفه وباع الفقير دينه بدنياه غيره حل البلاء وعظم العقاب»(1).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»(2).

نعم خرج من ذلك القاصر فقط، لأن الحججة لم تصله ولم يتمكن في حال قصوره من الفحص عن الحججة، بل قالوا: إن من المحال تكليف القاصر - بما هو قاصر - والمراد المرتبة الرابعة من مراتب التكليف على ما ذهب إليه الآخوند (رحمة الله)(3) وذلك لضرورة الاشتراك في التكليف.

قولها (عليها السلام): «تلبسكم الدعوة» فكان دعوتها (عليها السلام) أحاطت بهم كاللباس الذي يحيط ببدن الإنسان، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، ويحتمل أن يكون حقيقة، وربما كانت العبارة نوع اقتباس من قوله تعالى: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه»(4) ولا داعي للحمل على المجاز بعد إمكان الحقيقة بل

ص: 337

1- بحار الأنوار: ج 1 ص 178 ب 1 ح 59.

2- وسائل الشيعة: ج 27 ص 27 ب 4 ح 33119.

3- المراتب الأربعة هي الاقتضاء والإنشاء والفعالية والتنجز.

4- سورة الإسراء: 13.

توصل العلم الحديث إلى ما قد يدل على ذلك(1).

قولها (عليها السلام): «وتشملكم الخبرة» أي: إن خبرتكم وعلمكم بمظلوميتي وبمغصوبية حقي شامل لجميعكم، فليس هناك من لا يعلم ذلك، فكيف تسكتون وأنتم تسمعون دعوتي وتعرفون حق المعرفة حقي؟

محاسبة المسؤولين

مسألتان: قد يجب - على رؤوس الأشهاد - الإعلان عن المسؤوليات الجماعية أولاً، وعن التخاذل الاجتماعي - لو حدث - ثانياً، وذلك من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا مجال لدعوى التشهير والغيبة وما أشبه كما هو أوضح من أن يخفى.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام): «ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع والإمام الجائر والفاسق المعلن الفسق»(2).

وعلى هذا فإن من اللازم حرية الصحافة وذلك لتراقب المسؤولين والحكام والأمة وتحاسبهم على أفعالهم، وذلك تأسياً بها (صلوات الله عليها) حيث حاسبت الناس والمسؤولين على رؤوس الأشهاد.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الملوك حكام على الناس والعلم حاكم عليهم»(3).

ص: 338

1- كأنواع الطاقة والأشعة والذبذبات التي تحيط بالإنسان.

2- قرب الإسناد: ص 82.

3- الأمالي للطوسي: ص 56 المجلس 2 ضمن ح 78.

وفي الأحاديث التحذير عن جور الحكام، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين»(1).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «الذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرّحى»(3).

وقال (عليه السلام): «إن شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أربعة لا تقبل لهم صلاة: الإمام الجائر، والرجل يؤم القوم وهم له كارهون، والعبد الأبق من مولاه من غير ضرورة، والمرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذنه»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقبح شيء جور الولاة»(6).

وقال (عليه السلام): «السلطان الجائر والعالم الفاجر أشد الناس نكاية»(7).

ص: 339

1- وسائل الشيعة: ج 8 ص 13 ب 7 ضمن ح 10007.

2- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 95-96 ب 76 ضمن ح 13618.

3- نهج البلاغة، الخطب: 164 من كلام له (عليه السلام) لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما تقومه على عثمان.

4- نهج البلاغة، الخطب: 164.

5- وسائل الشيعة: ج 8 ص 349 ب 27 ح 1083.

6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 347 ف 8 ذم الحكومة الجائرة ح 8004.

7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 347 ف 8 ذم الحكومة الجائرة ح 8005.

وقال (عليه السلام): «زمان الجائر شر الأزمنة»(1).

وقال (عليه السلام): «سبع أكل حطوم خير من وال ظلوم غشوم»(2).

وقال (عليه السلام): «شر الأمراء من ظلم رعيته»(3).

وقال (عليه السلام): «ولاة الجور شرار الأمة وأضداد الأئمة»(4).

وقال (عليه السلام): «إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل»(5).

وقال (عليه السلام): «إذا استولى اللئام اضطهد الكرام»(6).

وقال (عليه السلام): «دولة اللئاممذلة الكرام»(7).

وقال (عليه السلام): «دول الفجار مذلة الأبرار»(8).

ص: 340

-
- 1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 347 ف 8 ذم الحكومة الجائرة ح 8014.
 - 2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 347 ف 8 ذم الحكومة الجائرة ح 8015.
 - 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 347 ف 8 ذم الحكومة الجائرة ح 8018.
 - 4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ف 8 آثار الحكومة الجائرة ح 8022.
 - 5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ف 8 آثار الحكومة الجائرة ح 8036.
 - 6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ف 8 آثار الحكومة الجائرة ح 8037.
 - 7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ف 8 آثار الحكومة الجائرة ح 8039.
 - 8- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 348 ف 8 آثار الحكومة الجائرة ح 8040.

وأنتم ذوو العدد والعدة(1)، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنة

مسؤولية أكبر

مسألة: من له العدد والعدة، والأداة والقوة، والسلاح والجُنة، تكون مسؤوليته أكبر، كما هو واضح.

وكلامها (عليها السلام) هذا (2) من حيث الأسباب والأدوات، بينما العدد من حيث الأفراد، والكلام السابق بلحاظ الانتماء.

ولعل ذكر العدد هنا باعتبار أن كونهم في مجمع غير كونهم ذا عدد، فالعدد إشارة إلى الكم، والمجمع إلى الكيف، إذ لا يستلزم أحدهما الآخر، فقد يكون الشخص منتبياً إلى مجمع صغير لا عدد له، أما الأنصار فكانوا ينتمون إلى مجمع وهو قوة، كما قالت (عليها السلام): «وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع» وكانوا ذوي عدد معتد به. فكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى:

1: إن لهم مجمعاً، وهو بلحاظ الانتماء.

2: إن لهم كثرة الأفراد.

3: إنهم يمتلكون السلاح والقوة.

فمسؤوليتهم أكثر وأكبر.

ص: 341

1- وفي بعض النسخ: (وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن).

2- أي بدءاً من (والعدة..).

وقد روي أنه أقام النبي (صلى الله عليه وآله) بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده وصلى يوم الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوقا، فكانت أول صلاة صلاها بالمدينة، ثم أتاه غسان بن مالك وعباس بن عباد في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» يعني ناقته (1).

ومن هنا كانت مسؤولية العلماء أكثر وأكبر أيضا، قال عيسى (عليه السلام): «ويلكم علماء السوء، الأجر تأخذون والعمل تضيعون» (2). وفي تحف العقول عن النبي عيسى (عليه السلام): «ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتا فأحياكم فلما أحياكم متم، ويلكم ألم تكونوا أميين فعلمكم فلما علمكم نسيتم، ويلكم ألم تكونوا جفاة ففقهكم الله فلما فقهكم جهلتم، ويلكم ألم تكونوا ضاللا فهداكم فلما هداكم ضللتهم، ويلكم ألم تكونوا عميا فبصركم فلما بصركم عميتهم، ويلكم ألم تكونوا صما فأسمعكم فلما أسمعكم صممتهم، ويلكم ألم تكونوا بكما فأنطقكم فلما أنطقكم بكمتم، ويلكم ألم تستفتحوا فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم، ويلكم ألم تكونوا أذلة فأعزكم فلما عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتهم، ويلكم ألم تكونوا مستضعفين «فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» (3) فنصركم وأيدكم فلما نصركم استكبرتم وتجبرتم،

ص: 342

1- المناقب: ج 1 ص 185 فصل في هجرته (عليه السلام).

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 38-39 ب 9 ضمن ح 66.

3- سورة الأنفال: 26.

فيا ويلكم من ذل يوم القيامة كيف يهينكم ويصغركم، ويا ويلكم يا علماء السوء إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمئنون بطمأنينة الآمنين وليس أمر الله على ما تتمنون وتخترون، بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون»(1).

وفي البحار: «ويلكم علماء السوء الأجرة تأخذون والعمل لا تصنعون، يوشك رب العمل أن يطلب عمله وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره أشهى إليه مما ينفعه»(2).

تأهيل الأمة

مسائل: من الواجب تأهيل الناس والتجمعات وإعدادهم نفسياً وإزالة حاجز الخوف وإعادة الثقة إلى أنفسهم بمقدرتهم على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وهذا هو ما صنعتها الصديقة الطاهرة (عليها السلام) ..

إذ قد يكون وجه الحكمة في تطرقها (عليها السلام) إلى مصاديق قدرة الأنصار ومقوماتها وأركانها (ومنتدى ومجمع، وأنتم ذوو العدد والعدة...) هو إلفاتهم إلى ما قد غفلوا عنه (جميعاً أو بعضاً) من المقدرة على التصدي للظالم، ولإزالة الرهبة والرعب من قلوبهم، فإن الناس والجماعات عادة تتخاذل عن نصرته الحق لأسباب منها الخوف الكاذب والانهازامية، وضعف الثقة بالذات والقدرات

ص: 343

1- تحف العقول: ص 509 مواعظ المسيح (عليه السلام) في الإنجيل وغيره.

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 109 ب 15 ضمن ح 12.

وهذا من أكبر الدروس التي علينا تعلمها منها (عليها السلام).

وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

وداؤك فيك وما تشعر *** وداؤك منك وما تنظر

وتحسب أنك جرم صغير *** وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي *** بأحرفه يظهر المضمرة (1)

وعن الحسن بن علي (عليه السلام) أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته» (2).

وقال العلامة (قدس سره) في الألفين: «أنواع الشجاعة ثمانية: الأول: كبر النفس وهو الاستهانة باليسار والاقتصار على حمل الكرامة والهوان وتنزيه النفس عن الدناءات.

الثاني: النجدة وهو ثقة النفس عند المخاوف بحيث لا يخامرها جزع.

الثالث: عظم الهمة وهي فضيلة للنفس بها يحتمل سعادة الجسد وضدها حتى الشدائد التي تعرض عند الموت.

الرابع: الصبر وهي فضيلة بها تقوى النفس على احتمال الآلام ومقاومتها على الأهوال، والفرق بينه وبين الصبر الذي في العفة أن هذا يكون على الأمور

ص: 344

1- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 178.

2- منية المرید: ص 340 آداب الكتابة والكتب.

.....
الهائلة وذلك على الشهوات الهائجة.

الخامس: الحلم وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكن سبعية ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

السادس: السكون وهو قوة للنفس تعسر حركتها عند الخصومات وفي الحروب التي يذب بها عن الحرائم أو عن الشريعة لشدتها.

السابع: الشهامة وهو الحرص على الأعمال العظام للأحدوثة الجميلة.

الثامن: الاحتمال وهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة»(1).

وهذا لا ينافي ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: «الثقة بالنفس من أوثق فرص الشيطان»(2).

لأن المراد به ما قاله (عليه السلام) في حديث آخر: «لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة»(3). وما أشبه، أي ترك النفس وعدم محاسبتها.

قال (عليه السلام): «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرهب و تدرکوا عنده الرغب»(4).

وقال (عليه السلام): «قيدوا أنفسكم بالمحاسبة و أملكوها بالمخالفة»(5).

ص: 345

1- الألفين: ص 160-161 الدليل الثامن والثمانون على وجوب عصمة الإمام (عليه السلام).

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 235 مراقبة النفس ح 4733.

3- نهج البلاغة: الخطب: 86.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 236 محاسبة النفس ح 4738.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 236 محاسبة النفس ح 4743.

هذا وقد يكون كلامها (صلوات الله عليها) (1) لتكون الحجة عليهم أبلغ وأتم، ولا يمتنع الجمع (2).

وغير خفي أن هذا المقطع من كلامها (عليها السلام) إشارة إلى مصاديق مقومات الدفاع عن المظلوم.

والحاصل أنه كلما تمكن الإنسان من الدفاع عن المظلوم وجب عليه الدفاع، ومن مصاديق ذلك: أن تبلغهم الحجة ولهم العدد والعدة، إلى آخر ما تقدم.

ثم إن بيان مقومات الدفاع بين واجب ومستحب - كل في مورده - كما إذا كان الإنسان غافلاً عن ذلك أو غير واعٍ أو ما أشبهه، وربما كان البيان للتأكيد ونحوه.

من السنن الاجتماعية

مسألة: كما تستكشف السنن الكونية والاجتماعية من آيات الذكر الحكيم التي تتطرق إلى ذكر المصاديق فتعتبر مرآة للكلي، كذلك يمكن استكشاف كليات السنن الاجتماعية والكونية من كلماتها (عليها السلام) وكلمات سائر المعصومين (عليهم السلام).

والمقام من هذا القبيل، فإن المقياس ليس فقط كون الطرف ذا عدد وعدة وأداة وقوة وسلاح وجُنّة، كما كانت الأنصار في هذه القضية.

قال تعالى في قصة يوم حنين: «إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

ص: 346

1- أي: «ومنتدى ومجمع، وأنتم ذوو العدد والعدة...».

2- بين هذا المعنى وما سبق من التأهيل للتصدي.

.....
شَيْئاً»(1).

نعم كونهم كذلك مسوغ لتفريعهم بعدم النصر، فهم عاصون بعدمها من جهته.

كما إن اللازم - من جهة أخرى - أن لا يغتر المرء بها ويخدع، فإن العبرة بقوة الروح ومضاء العزيمة وليس بالكثرة والقوة والبأس إذ «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ»(2).

كما إن التاريخ المشرق والتجارب الماضية لا تصلح ملاكاً نهائياً، فإنها من المقتضيات وليست علة تامة، ولذلك كانوا كما قالت (عليها السلام): «وأنتم موصوفون بالكفاح...» كما سيأتي.

ومن هنا ورد التأكيد على حسن العاقبة والتحذير عن سوءها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له»(3).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خير الأمور خيرها عاقبة»(4).

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) أن علياً (عليه السلام) قال: «إن حقيقة

ص: 347

1- سورة التوبة: 25.

2- سورة البقرة: 249.

3- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 239 وروود ملك الموت على المؤمن ضمن ح 117.

4- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 402 باب النوادر ضمن ح 5868.

السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء»(1).

وقال (عليه السلام): «لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرة»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «خير الأمور أعجلها عائدة، وأحمد ما عاقبة»(3).

وعن أحمد بن سهل قال: سمعت أبا فروة الأنصاري وكان من السائحين يقول: قال عيسى بن مريم (عليه السلام):

«يا معشر الحواريين بحق أقول لكم إن الناس يقولون إن البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك».

قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟

قال (عليه السلام): «بحق أقول لكم إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس».

قال أبو فروة: إنما أراد خاتمة الأمر(4).

وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني معهم في الدنيا والآخرة واجعل عاقبة أمري إلى غفرانك ورحمتك يا أرحم

الراحمين»(5).

ص: 348

1- معاني الأخبار: ص 345 باب معنى حقيقة السعادة والشقاء ح 1.

2- خصائص الأئمة: ص 106.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 104 في الخير وآثاره ح 1860.

4- معاني الأخبار: ص 348 باب معنى قول المسيح (عليه السلام) إن آخر حجر... ح 1.

5- المصباح الكفعمي: ص 622 دعاء السحر لعلي بن الحسين (عليه السلام).

إشهار السلاح بوجه الحاكم

مسألة: يجوز إشهار السلاح بوجه الحاكم الجائر دفاعاً عن المظلومين والمضطهدين بشروط الجهاد المذكورة في بابه (1).

ويجوز استخدامه أيضاً من باب النهي عن المنكر لو لم يرتدع الحاكم إلا به (2)، فإذا لم ينفع النهي بالقول وشبهه فإن نصرته المظلوم واجبة بأية كيفية مشروعة.

هذا كله مع مراعاة قاعدة الأهم والمهم التي قد تقتضي أحياناً عدم النصر بالشكل الخاص، كما لو كان استخدام السلاح يستلزم مفسدة أعظم، كما نرى ذلك في مثل هذه الأزمنة في العلاقة بين الدول وشعوبها، فاللازم النهي عبر الضغوط الدبلوماسية والإعلام والمسيرات السلمية وشبهها، لا بالطرق العنيفة كما فصلناه في محله (3).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم» (4).

وقال (عليه السلام): «إياك والعنف» (5).

ص: 349

- 1- انظر موسوعة الفقه: ج 47 و 48 كتاب الجهاد.
- 2- انظر موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 3- انظر كتاب (السبيل إلى إنهاء المسلمين) و(اللاعنف في الإسلام) و(اللاعنف منهج وسلوك).
- 4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 476 ف 4 في العاقبة ح 10921.
- 5- الكافي: ج 3 ص 140 باب غسل الميت ضمن ح 4.

وقال (عليه السلام): «أما علمتم أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعنف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وما أنتم فيه»(1).

وقال علي (عليه السلام): «رأس السخف العنف»(2).

وقال (عليه السلام): «راكب العنفيته عذر عليه مطلبه»(3).

وقال (عليه السلام): «من ركب العنف ندم»(4).

وفي الحديث: «إن الله يسير ويحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف»(5).

وقالوا: المؤمن إذا وعظ لم يعنف وإذا وعظ لم يأنف(6).

ومن هنا كانت سياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) على اللين والسلم واللاعنف، على عكس من غصب الخلافة فكانت سياستهم العنف والظلم، قال ابن عباس: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي (عليه السلام) حين قعد عن بيعته وقال اتنتني به بأعنف العنف!»(7).

ص: 350

1- أعلام الدين: ص 98.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 265 ح 5731.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 265 ح 5733.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 303 آثار الغضب ح 6900.

5- تهذيب الأحكام: ج 5 ص 52 ب 6 ضمن ح 4.

6- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 34.

7- بحار الأنوار: ج 28 ص 388.

وورد في قصة أبي ذر أنه: «كتب عثمان إلى معاوية أن احمل أبذر على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشا عنيفا حتى يقدم به عليّ، قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيرا عنيفا.

قال: وخرجت معه فما لبث الشيخ إلا قليلا حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذيته وقرح، فكنا إذا كان الليل أخذت ملائي فألقيتهما تحته، فإذا كان السحر نزعتهما مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك»(1).

الدفاع باليد

مسألة: إذا اقتضى الأمر فإنه تجوز بل تجب الاستفادة من السلاح بالشروط المذكورة، في نصره الزهراء (عليها السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) على امتداد الأزمنة.

بل وكذلك في نصره غيرهم من المظلومين على ما تقدم.

ولذلك لم يستخدموا السلاح حيث كان مزاحما بالأهم كما لم تتوفر الشروط في غالب المعصومين (عليهم السلام). وبشكل كلي فإن استعمال السلاح يلزم فيه توفر شرائط الاستعمال من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الجهاد في سبيل الله أو ما أشبه ذلك مما ذكر في كتابيهما (2).

ص: 351

1- بحار الأنوار: ج 31 ص 274-275.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «فأنكروا بقلوبكم والفظوا بالسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا- سبيل عليهم إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مرادين بالظلم ظفرا حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه يده فهو ميت بين الأحياء»(2).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قال: إني سمعت عليا (عليه السلام) يقول يوم لقينا أهل الشام: «أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين»(3).

وقال الشريف الرضي (رحمة الله): وقد قال (عليه السلام) في كلام له يجري هذا المجرى: «فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير

ص: 352

1- وسائل الشيعة: ج6 ص131 ب3 ح21162.

2- تهذيب الأحكام: ج6 ص181 ب80 ح23.

3- وسائل الشيعة: ج16 ص133 ب3 ح21169.

.....
ومضيق خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسكواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا- يقربان من أجل ولا- ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر»(1).

وعن أبي جحيفة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل أعلاه أسفله»(2).

وقال الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في تفسيره عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث: «لقد أوحى الله إلى جبرئيل وأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار، فقال جبرئيل: يا رب أخسف بهم إلا بفلان الزاهد ليعرف ما ذا يأمره الله فيه، فقال: أخسف بفلان قبلهم، فسأل ربه، فقال: يا رب عرفني لم ذلك وهو زاهد عابد؟ قال: مكنت لهو أقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا- ينهى عن المنكر وكان يتوفر على حبه في غضبي، فقالوا: يا رسول الله فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليعمنكم عذاب الله، ثم قال: من رأى منكم منكرا فلينكر بيده إن استطاع فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع

ص: 353

1- وسائل الشيعة: ج16 ص134 ب3 ح21170.

2- نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ 375.

.....
فقبله فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»(1).

قولها (عليها السلام): «أنتم ذوو العدد والعدة..» فأعدادكم كثيرة ولستم قليلين، وعدتكم للحرب مهياة ولستم بدون عدة واستعداد، وأمثال هذا التعبير أعم مما كان بالذات وما كان بالقياس إلى الغير كما هو واضح، وربما قيل بأخذ النسبة في المفهوم(2) فتأمل. قولها (عليها السلام): «والأداة والقوة..» أي عندكم أداة الدفاع وفي أبدانكم القوة الكافية لنصرة المظلوم.

قولها (عليها السلام): «وعندكم السلاح والجنه»، السلاح: ما يحارب به كالسيف والرمح وما أشبهه، والجنه: الوقاية أي ما يحافظ به الإنسان على نفسه أمام سلاح العدو.

ص: 354

1- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 480 في ذم ترك الأمر بالمعروف ح 307.

2- أي أن عبارة «أنتم ذوو العدد والعدة» أخذ في مفهومها عرفاً النسبة والقياس للغير.

إجابة المظلوم

مسألة: عدم إجابة دعوة المظلوم حرام.

وذلك فيما إذا كانت الإجابة واجبة، إذ قد لا تجب، كما لو ظلم شخص بقدر درهم فإنه لا يجب على كل إنسان أن ينقذ درهمه من الظالم، على ما ذكره جمع من الفقهاء، وإن كان قد يختلف حال الشخص المظلوم بالنسبة إلى الدرهم، فقد يجب، وقد لا يجب.

وعلى أي فليس الأمر على إطلاقه، فمن الموارد ما هو منصرف، نعم في ما نحن فيه تجب الدعوة وإجابتها كما هو واضح.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أحسن العدل نصرة المظلوم»⁽¹⁾.

وعن البراء بن عازب قال: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن سبع، وأمر بسبع، نهانا أن نتختم بالذهب، وعن الشرب في أنية الذهب والفضة، وقال: من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة، وعن ركوب الميائثر، وعن لبس القسي، وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق، وأمرنا (صلى الله عليه وآله) باتباع الجنائز، وعبادة المريض، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وإبرار القسم»⁽²⁾.

ص: 355

1- غرر الحکم ودرر الکلم: ص446 مدح العدل ح10210.

2- وسائل الشيعة: ج4 ص415 ب30 ح5572.

وقد ورد في أسماء يوم التاسع من ربيع الأول المبارك: «ويوم نصره المظلوم»⁽¹⁾.

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرجل أتاه: «ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «أنل مما أنالك الله».

قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله؟

قال: «فانصر المظلوم».

قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟

قال: «فاصنع للأخرق، يعني أشرعليه».

قال: فإن كنت أخرق ممن أصنع له؟

قال: «فأصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة»⁽²⁾.

وورد في صفات المؤمن عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «المؤمن له قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين» إلى أن قال: «ينصر المظلوم ويرحم المسكين»⁽³⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إياكم ودعوة المظلوم فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله عز وجل إليها فيقول ارفعوها حتى أستجيب له وإياكم ودعوة

ص: 356

1- انظر بحار الأنوار: ج 95 ص 355 ب 13 ضمن ح 1.

2- الكافي: ج 2 ص 113-114 باب الصمت وحفظ اللسان ح 5.

3- وسائل الشيعة: ج 15 ص 187 ب 4 ضمن ح 20240.

الوالد فإنها أحد من السيف»(1).

وعن سماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أربعة لا ترد لهم دعوة حتى تفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش، الوالد لولده والمظلوم على من ظلمه والمعتمر حتى يرجع والصائم حتى يفطر»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة وليعن بعضكم بعضا»(4).

وفي الحديث القدسي أوحاه الله إلى عيسى بن مريم: «وإياك ودعوة المظلوم فإني آليت على نفسي أن أفتح لها بابا من السماء بالقبول وأن أجيبه ولو بعد حين»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنفذ السهام دعوة المظلوم»(6).

وقال (عليه السلام): «إن دعوة المظلوم مجابة عند الله سبحانه لأنه يطلب حقه والله تعالى أعدل من أن يمنع ذا حق حقه»(7).

ص: 357

- 1- الكافي: ج2 ص509 باب من تستجاب دعوته ح3.
- 2- وسائل الشيعة: ج7 ص129 ب52 ح8917.
- 3- الكافي: ج2 ص510 باب من تستجاب دعوته ح6.
- 4- انظر وسائل الشيعة: ج16 ص56 ب80 ضمن ح20967.
- 5- أعلام الدين: ص229 فيما أنزل الله على عيسى ابن مريم.
- 6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص193 إجابة الدعاء وموجباتها ح3760.
- 7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص193 إجابة الدعاء وموجباتها ح3761.

وقال (عليه السلام): «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه»(1).

وقال (عليه السلام): «اتقوا دعوة المظلوم فإنه يسأل الله حقه والله سبحانه أكرم من أن يُسأل حقاً إلا أجاب»(2).

وقال (عليه السلام): «ما أقرب النصر من المظلوم»(3).

حرمة خذلان المعصومين (عليهم السلام)

مسألة: يحرم عدم إجابة دعوة السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وكذلك سائر المعصومين (عليهم السلام)، وحرمة عدم إجابة دعوتهم واستنصارهم مغلظة من جهات:

منها: إن الظلم الواقع بحقهم كبير في جميع مراتبه، ولو فرض كونه ضئيلاً في مصداق فرضاً فإنه كبير أيضاً، إذ الظلم يزداد قبحاً ويشد حرمة كلما ازداد المظلوم عظمة ومكانة ومنزلة، فضرب زيد مثلاً حرام وضرب عالم وولي من أولياء الله أشد حرمة، وضرب الصديقة الطاهرة (عليها السلام) من أعظم المحرمات وأشد المنكرات التي يهتز لها الكون وتضطرب لها السماوات والأرضين.

ومنها: إنهم (عليهم السلام) أولوا الأمر الذين أمر الله الناس بطاعتهم ونهى عن مخالفتهم، فعدم تلبية استغاثتهم محرمة من هذه الجهة أيضاً، ولا مجال لتوهم

ص: 358

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 341 ف3 وظائف الحكام ح7804.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 450 ف13 في النصرة والتعاون ح10349.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 450 ف13 في النصرة والتعاون ح10366.

ومنها: إنهم (عليهم السلام) أولياء النعم ووسائل الفيض، وشكر المنعم واجب، والإغاثة من مصاديقه، ففرق بينهم وبين غيرهم، وإن كان الكلي صادقاً بالنسبة إلى المصدقين، والحاصل إن فيهم أموراً، منها:

المظلومية - بمراتبها - والولاية والشكر، بينما في غيرهم أمر واحد وهو المظلومية.

وقد ورد في زياراتهم (صلوات الله عليهم):

«يا ساداتي بكم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينزل الغيث ويكشف الكرب ويغني المعدم ويشفي السقيم» (2).

و«من أراد الله بدأ بكم، وبكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان الكلب، وبكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن تطلب، وبكم تثبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم، وتستقل جبالها على مراسيها» (3).

ص: 359

1- أي توهم أن إطاعتهم واجبة لإحراز مصلحة الواقع فقط أو لدفع مفسدته فقط ومما يدل على ذلك الوجه الثالث الذي سيذكره الإمام المصنف (قدس سره).

2- انظر بحار الأنوار: ج 97 ص 345 ب 4 ضمن ح 33.

3- انظر تهذيب الأحكام: ج 6 ص 55 ب 18 ضمن ح 1.

.....
و«بكم ينفس الهم، وبكم يكشف الكرب، وبكم يباعد نائبات الزمان الكلب، وبكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ينزل الرحمة، وبكم يمسك الأرض أن تسيخ بأهلها، وبكم يثبت الله جبالها على مراسيها»(1).

وفي زيارة الجامعة: «بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم «يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(2)، وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر»(3).

وأمرير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: «قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا بل منا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخوانا، كما ألف بينهم بعد عداوة الشرك إخوانا في دينهم»(4).

قولها (عليها السلام): «توافيكم الدعوة فلا تجيبون» بمعنى أن الدعوة تصلكم فهي من الموافاة.

ص: 360

1- كتاب المزار: ص 111 ب 52.

2- سورة الحج: 65.

3- بحار الأنوار: ج 99 ص 131-132 ب 8 ضمن ح 4.

4- بحار الأنوار: ج 51 ص 84 ب 1 ح 34 في ذكر المهدي (عليه السلام).

عدم إغاثة المظلوم

مسألة: يحرم عدم إغاثة المظلوم.

ولا يخفى أن الإغاثة أخص من الإجابة، إذ ربما يدعوه ويطلبه لأجل أن يكون شوكة له في مقابل الظالم فيكون إجابة وليس بإغاثة، وربما غرق في البحر فيطلبه فيكون إغاثة، ولذا ذكرتهما الزهراء (عليها الصلاة والسلام) معاً فتكون الأولى (1) في قبال الإغاثة.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله عز وجل يحب إغاثة اللهفان» (2).

وقال (عليه السلام) في حديث: «الذنوب التي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (3).

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتفيس عن المكروب» (4).

ص: 361

1- أي الإجابة.

2- الكافي: ج 4 ص 27 باب فضل المعروف ح 4.

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 282 ب 41 ضمن ح 21556.

4- نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) 24.

وعلي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «من أغاث لهفانا من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظل إلا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب، ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة من إحداها الجنة، ومن كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة وإستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منها سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ربه، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن رجلة حمله الله على ناقه من نوقالجنة وباهى به على الملائكة المقربين يوم القيامة، ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح إليها زوجه الله من الحور العين وأنسه بمن أحب من الصديقين من أهل بيته وإخوانه وأنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام، ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله لا لحاجة منه إليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره»⁽¹⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الله يحب إراقة الدماء وإطعام الطعام وإغاثة اللهفان»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «زكاة السلطان إغاثة الملهوف»⁽³⁾.

ص: 362

1- كشف الريبية: ص 92-93 ف5 في كفارة الغيبة.

2- وسائل الشيعة: ج 24 ص 290 ب 26 ح 30572.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 341 ف3 وظائف الحكام ح 7803.

وقال (عليه السلام): «ما من رجل رأى ملهوفاً في طريقه بمركوب له قد سقط وهو يستغيث ولا يغاث فأعانه وحمله على مركوبه إلا قال الله عز وجل كددت نفسك وبذلت جهدك في إغاثة أخيك هذا المؤمن لأكدن ملائكة هم أكثر عدداً من خلّاتق الإنس كلهم من أول الدهر إلى آخره، وأعظم قوة كل واحد منهم ممن يسهل عليه حمل السماوات والأرضين لينبوا لك القصور والمسكن ويرفعوا لك الدرجات فإذا أنت في جناتي كأحد ملوكها الفاضلين»(1).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»(2).

وقال (عليه السلام): «من أفضل المعروف إغاثة الملهوف»(3).

وفي حديث آخر: «أفضل المعروف إغاثة الملهوف»(4).

وقال (عليه السلام): «فعل المعروف وإغاثة الملهوف وإقراء الضيوف آلة السيادة»(5). وقال (عليه السلام): «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف»(6).

وقال (عليه السلام): «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»(7).

وقال (عليه السلام): «إن الله تعالى يحب إغاثة اللهفان»(8).

ص: 363

1- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 415-416 ب 29 ح 14474.

2- غرر الحکم ودرر الکلم: ص 450 ف 13 في النصرة والتعاون ح 10363.

3- غرر الحکم ودرر الکلم: ص 450 ف 13 في النصرة والتعاون ح 10361.

4- غرر الحکم ودرر الکلم: ص 382 الإحسان والتحريض عليه ح 8690.

5- مستدرک الوسائل: ج 16 ص 242 ب 20 ضمن ح 19733.

6- انظر وسائل الشيعة: ج 16 ص 373 ب 29 ضمن ح 21798.

7- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 416 ب 29 ح 14475.

8- غوالي اللآلي: ج 1 ص 376 ح 100.

من المحرمات الكبيرة

مسألة: من المحرمات الكبيرة عدم إغاثة الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) وكذلك سائر المعصومين (عليهم السلام).

وقد ورد أنه لما فجع الإمام الحسين (عليه السلام) بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله ياغاثتنا؟» فارتفعت أصوات النساء بالعويل»(1).

ويأتي هنا ما ذكرناه في المسألة السابقة وقد ذكرنا أن في المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) تجتمع الولاية ووجوب إغاثة المظلوم ووجوب شكر المنعم.

قولها (عليها السلام): «وتأتينكم الصرخة فلا تغيثون» أي: أني أصرخ بكم في رد ظلامتي لكنكم لا تغيثوني وهذا من أشد الكبائر.

ومنه يعرف أنها (عليها السلام) لمتكتف بمجرد الدعوة والطلب، بل أوصلت الأمر إلى أعلى درجات الاستجداد وهو الصراخ بالقوم وذلك «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم»(2).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»(3).

ص: 364

1- اللهوف: ص 117 المسلك الثاني في وصف حال القتال.

2- سورة الأنفال: 42.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 483 ح 11144.

وقال (عليه السلام): «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»(1).

وقال (عليه السلام): «أحسن العدل نصرة المظلوم»(2).

استمرارية الدعوة

مسألة: الظاهر من استخدامها (عليها السلام) المضارع في الجملتين: الاستمرارية في الدعوة والاستتجاد، واستمرارهم في عدم الإجابة والإغاثة. وهذا يؤكد على مسؤولية الأجيال جيلاً بعد جيل.

عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «من جالس لنا عائباً أو مدح لنا قالياً أو وصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدواً أو عادى لنا ولياً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»(3).

وقد ورد في إكمال الدين عن الشيخ (قدس الله روحه) أنه أمر أن يدعو بهذا الدعاء في غيبة القائم (عليه السلام)، وفيه:

«اللهم ولا تجعلني من خصماء آل محمد، ولا تجعلني من أعداء آل محمد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغیظ على آل محمد، فإني أعوذ بك من ذلك فأعدني وأستجير بك فأجرني، اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين»(4).

ص: 365

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 341 ف 13 وظائف الحكام ح 7805.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 446 في مدح العدل ح 10210.

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 264 ب 38 ح 21523.

4- كمال الدين: ج 2 ص 515 الدعاء في غيبة القائم (عليه السلام).

وفي تفسير القمي: إن الله عزوجل ذكر الذين تولوا أمير المؤمنين (عليه السلام) وتبرءوا من أعدائه فقال: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» (1) ثم ذكر أعداء آل محمد: «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَـبَرَةٌ * تَرَهَقُهَا قَتِيرَةٌ» (2) أي فقر من الخير والثواب «أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجْرَةُ» (3).

وفي تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): «ألا وإن الراضين بقتل الحسين (عليه السلام) شركاء قتله، ألا وإن قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم برآء من دين الله، وإن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين (عليه السلام) إلى الخزان في الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد عذوبتها، ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها فتزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها تشدد على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم» (4).

وفي التفسير: «أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» (5) قال: أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا» قال: الذين خالفوا أمير المؤمنين (عليه السلام) «هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» (6) قال: المشأمة أعداء آل محمد (عليهم السلام) «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» (7) أي مطبقة» (8).

ص: 366

1- سورة عبس: 38-39.

2- سورة عبس: 40-41.

3- سورة عبس: 42. انظر تفسير القمي: ج 2 ص 406 من سورة عبس.

4- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 369-370 ثواب الحزن والبكاء على الحسين (عليه السلام).

5- سورة البلد: 18.

6- سورة البلد: 19.

7- سورة البلد: 20.

8- تفسير القمي: ج 2 ص 422 من سورة البلد.

مدح المؤمنين

مسألة: يستحب بيان فضائل الآخرين ومحاسن أخلاقهم كما قالت (عليها السلام): «وأنتم موصوفون...» الخ.

فإنه داخل في روايات مدح المؤمن، ومصدق لقوله سبحانه: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ»⁽¹⁾، وإن كانت سلباً إلا أنها عرفاً تشمل الإيجاب أيضاً، هذا مضافاً إلى أنه نوع تحريض وحث على النصر كما سيأتي.

قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»⁽²⁾.

وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام) في مدح الأنصار: «هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلج مع غنائهم بأيديهم السياط وألسنتهم السلاط»⁽³⁾.

وروي في الديوان أبياته (عليها السلام) في مدح همدان:

جزى الله همدان الجنان فإنهم *** سمام العدى في كل يوم خصام

لهمدان أخلاق ودين يزينهم *** ولين إذا لاقوا وحسن كلام

متى تأتهم في دارهم لضيافة *** تبت عندهم في غبطة وطعام

ص: 367

1- سورة الشعراء: 183.

2- سورة آل عمران: 110.

3- نهج البلاغة، حكم: 465 في مدح الأنصار.

.....
ألا إن همدان الكرام أعزة *** كما عزّ ركن البيت عند مقام

أناس يحبون النبي ورهطه *** سراع إلى الهيجاء غير كهام

إذا كنت بوابا على باب جنة *** أقول لهمدان ادخلوا بسلام (1)

ومنه في مدح أصحابه (عليه السلام):

قومي إذا اشتبك القنا *** جعلوا الصدور لها مسالك

اللابسون دروعهم *** فوق القلوب لأجل ذلك (2)

من طرق التحريض

مسألة: يستحب للمظلوم أن يذكر فضائل من يستنصره حتّى له على النصر، فإنه ادعى لاثارة الحميّة والغيرة، والشهامة والمروءة فيه.

وهذا أيضاً من مصاديق ما تقدم، كما سبق أشباهه في بندين من بنود هذا المبحث.

ومنها ما ورد من مدح الأصحاب في الحرب، كما مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه في حرب صفين فقال:

يا أيّها السائل عن أصحابي *** إن كنت تبغي خبر الصواب

أنبئك عنهم غير ما تكذاب *** بأنهم أوعية الكتاب

ص: 368

1- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 438-439 في ذكر قبائل همدان.

2- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 307.

صبر لدى الهيجاء و الضراب *** فسل بذاك معشر الأحزاب (1)

وقال (عليه السلام) في مدح قبائل من عسكره:

الأزد سيفي على الأعداء كلهم *** وسيف أحمد من دانت له العرب

قوم إذا فاجئوا أوفوا وإن غلبوا *** لا يحجمون ولا يدرون ما الهرب

قوم لبوسهم في كل معترك *** بيض رقاق وداودية سلب

البيض فوق رؤوس تحتها اليلب *** وفي الأنامل سمر الخطّ والقضب

البيض تضحك والآجال تنتحب *** والسمر ترعف والأرواح تنتهب

وأي يوم من الأيام ليس لهم *** فيه من الفعل ما من دونه العجب

الأزد أزيد من يمشي على قدم *** فضلا وأعلام قدر إذا ركبوا

والأوس والخزرج القوم الذين هم *** آووا فأعطوا فوق ما وهبوا

يا معشر الأزد أنتم معشر أنف *** لا يضعفون إذا ما اشتدّت الحقب

وفيتم ووفاء العهد شيمتكم *** ولم يخالط قديما صدقكم كذب

إذا غضبتهم يهاب الخلق سطوتكم *** وقد يهون عليكم منهم الغضب

يا معشر الأزد إني من جميعكم *** راض وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب

لن تياس الأزد من روح ومغفرة *** واللّه يكلؤكم من حيث ما ذهبوا

طبتهم حديثا كما قد طاب أولكم *** والشوك لا يجتني من فرعه العنب

ص: 369

والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا *** أو فوخروا فخورا أو غولبوا غلبوا

أو كوثر واكثر وا أو صوبروا صبروا *** أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا

صفوا فأصفاهم المولى ولايته *** فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب

هينون لينون خلقا في مجالسهم *** لا الجهل يعرفهم فيها والصخب

الغيث إفا رضوا من دون نائلهم *** والأسد ترهبهم يوما إذا غضبوا

أندى الأنام أكفا حين تسألهم *** وأربط الناس جأشا إن هم ندبوا

وأى جمع كثير لا تفرقه *** إذا تدانت لهم غسان والندب

فالله يجزيهم عما أتوا وحبوا *** به الرسول وما من صالح كسبوا (1)

وقال الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة عاشوراء: «أما بعد فإنني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من

أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا» (2).

ص: 370

1- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 110-113.

2- الإرشاد: ج 2 ص 91.

الدقة في التعبير

مسألة: ينبغي الدقة في التعبير، فهناك فرق بين (الموصوف) وبين (المتّصف) والصديقة (عليها السلام) قد عبرت بموصوفون بالكفاح لا متصفون بالكفاح.

فإن الموصوف بالشيء أعم من المتصف به كما لا يخفى.

عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «كان أبوذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»⁽¹⁾.

وجاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني.

قال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني. قال: «احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المرء مخبوء تحت لسانه»⁽³⁾.

ص: 371

1- الكافي: ج2 ص114 باب الصمت وحفظ اللسان ح10.

2- وسائل الشيعة: ج12 ص191 ب119 ح16053.

3- الإرشاد: ج1 ص300 من كلامه (عليه السلام) في الحكمة والموعظة.

وقال (عليه السلام): «دليل عقل الرجل قوله»(1).

وقال (عليه السلام): «يستدل على عقل كل امرئ بما يجري على لسانه»(2).

وقال (عليه السلام): «جميل القول دليل وفور العقل»(3).

وقال (عليه السلام): «عود لسانك حسن الكلام تأمن الملام»(4).

وقال (عليه السلام): «التروي في القول يؤمن الزلل»(5).

وقال (عليه السلام): «الثبت في القول يؤمن العثار والزلل»(6).

وقال (عليه السلام): «من تفقد مقاله قل غلطه»(7).

وقال (عليه السلام): «الكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه»(8).

وقال (عليه السلام): «اللسان سبع إن خلي عنه عقر»(9).

وقال (عليه السلام): «احذر واللسان فإنه سهم يخطئ»(10).

ص: 372

- 1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 209 ف 1 القول والسان ح 4030.
- 2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 209 حسن اللسان والكلام ح 4052.
- 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 210 حسن اللسان والكلام ح 4052.
- 4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 210 حسن اللسان والكلام ح 4055.
- 5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 211 الفكر ثم القول ح 4072.
- 6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 211 الفكر ثم القول ح 4073.
- 7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 211 الفكر ثم القول ح 4074.
- 8- وسائل الشيعة: ج 12 ص 187 ب 117 ح 16043.
- 9- نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ 60.
- 10- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 213 خطر اللسان وأهميته ح 4144.

وقال (عليه السلام): «ضبط اللسان ملك وإطلاقه هلك»(1).

وقال (عليه السلام): «زلة اللسان أنكى من إصابة السنان»(2).

وقال (عليه السلام): «زلة اللسان تأتي على الإنسان»(3).

وهكذا ينبغي الدقة في جميع الأمور، كل بحسبه.

حيث ورد أنه «وقف علي (عليه السلام) على خياط فقال: يا خياط ثكلتك الثواكل، صلب الخيوط ودقق الدروز وقارب الغرز، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه، واحذروا السقاطات فإن صاحبالثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيدي تطلب المكافأة»(4).

الاتصاف في ظرف الإسناد

مسألة: ظاهر جريان المشتق على ذات، اتصافها به في ظرف الإسناد.

وحيث إن الموصوف أعم من المتصف، لذلك فإن إطلاقها (عليها السلام) «موصوفون بالكفاح» عليهم بلحاظ الحال لا يقتضي صدق الكفاح عليهم بالفعل، فليدقق.

والتفصيل في الأصول (5).

ص: 373

- 1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 214 حفظ اللسان ح 4183.
- 2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 214 زلة اللسان ح 4197.
- 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 215 زلة اللسان ح 4198.
- 4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 42 باب الصناعات والحرف.
- 5- راجع (الأصول) للإمام الشيرازي (قدس سره): ج 1 ص 117-166.

الاتصاف بالكفاح

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان موصوفاً بالكفاح في سبيل الله، إضافة إلى استحباب أن يكون متصفاً به.

والكفاح هو المواجهة أي فعلية النزال والمبارزة، سواء بالحرب أم بغير الحرب، يقال: فلان يكافح الأ-مور، أي يياشرها بنفسه، والمكافحة: المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه.

وقد يكون هذا واجباً بشروطه وحسب النتائج، فإن كانت النتيجة واجبة كان واجباً وإن كانت النتيجة مستحبة كان مستحباً.

قال النبي (صلى الله عليه وآله): «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»⁽¹⁾.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «للجنة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشة ومحققاً في دينه، إن الله عز وجل أغنى أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، وقال (صلى الله عليه وآله): أفضل الجهاد من

ص: 374

1- غوالي اللآلي: ج 3 ص 182 باب الجهاد ح 1.

2- الكافي: ج 5 ص 2 باب فضل الجهاد ح 2.

.....
جاهد نفسه التي بين جنبيه»(1).

قولها (عليها السلام): «أنتم موصوفون بالكفاح» الكفاح عبارة عن: المكافحة والمجادلة والمواجهة باستقبال العدو في الحرب أو غيرها، يقال: فلان يكافح الأمور بمعنى: يباشرها بنفسه، فالمعنى أنكم شجعان ومع ذلك لا تدافعون عني ولا تردون ظلامتي.

أقسام الشهرة

مسألة: الشهرة على قسمين:

1: قسم مبعوض.

وهو ما ورد فيه الذم وورد في عكسه وهو (الخمول) المدح.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد: «تبدل ولا تشهر، ووار شخصك ولا تذكر، وتعلم واعمل، واسكت تسلم»(2).

وقال (عليه السلام): «إن في الخمول للراحة»(3).

وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يكن في شيء فيوشك أن يكون في الخمول، فإن طلبت في خمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي، فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون

ص: 375

1- وسائل الشيعة: ج15 ص163 ب1 ح20216.

2- إرشاد القلوب: ج1 ص100 الباب الخامس والعشرون في مدح الخمول.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص319 فوائدهما - أي العزلة والتفرد - ح7364.

في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها»(1).

وقال (عليه السلام): «لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشهرة» الحديث(2).

2: قسم محبوب.

وهو ما أشار إليه نبي الله الخليل (عليه السلام): «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»(3).

في كشف الغمة عن ابن مردويه في قوله تعالى: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»(4) عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) عرضت ولايته على إبراهيم (عليه السلام) فقال: اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك»(5).

وعلى هذا فإنه يستحب أن يكون الإنسان معروفاً بالخير والصلاح، وأن يسعى لذلك لا حباً للشهرة ورياءً وسمعة، بل ليكون أسوة للآخرين فإن ذلك

ص: 376

1- بحار الأنوار: ج 75 ص 202 ب 23 ح 35.

2- تحف العقول: ص 443 وروى عنه (عليه السلام) في قصار هذه المعاني.

3- سورة الشعراء: 84.

4- سورة الشعراء: 84.

5- كشف الغمة: ج 1 ص 320 في بيان ما نزل من القرآن في شأنه (عليه السلام).

.....
من طرق الهداية، والفارق: النية.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ثلاثة لم يسأل الله عزوجل بمثلهم، أن تقول: اللهم فقهنى في الدين وحببني إلى المسلمين واجعل لي لسان صدق في الآخرين» (1).

وفي التعقيب: «اللهم صل على محمد وآل محمد، وفقهنى في الدين، وحببني إلى المسلمين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، وارزقني هيبة المتقين» (2).

وفي الدعاء: «اللهم حببني إلى جميع خلقك» (3).

وأيضاً: «يا من يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، أنت حكمت فلك الحمد محمودا مشكورا، فعجل يا مولاي فرجهم وفرجنا بهم، فإنك ضمنت إغزازهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإظهارهم بعد الخمول» (4).

وفي الزيارات: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي أَوْلِيَائِكَ» (5). وهناك فرق بين الخير والصلاح، لأن الإنسان قد يكون خيراً ولا يكون صالحاً لشيء ما، فالصلاح غير الخير، كما ربما يكون العكس، بأن يكون صالحاً ولا يكون خيراً، وبعبارة أخرى المنصرف من الخير ما هو بالقياس إلى الغير،

ص: 377

-
- 1- بحار الأنوار: ج 92 ص 351-352 ب 129 ح 5.
 - 2- بحار الأنوار: ج 83 ص 46 ب 38 ضمن ح 54.
 - 3- بحار الأنوار: ج 87 ص 57 توضيح ضمن ح 14.
 - 4- بحار الأنوار: ج 98 ص 306-307 ب 24 ضمن ح 4.
 - 5- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 590 زيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن الصلاح ما هو بلحاظ الذات.

نعم الصلاح من جميع الحيثيات يلازم الخيرية.

لا يقال: فإذا كان هؤلاء هكذا فلماذا تقاعسوا عن نصره الزهراء (عليها الصلاة والسلام).

لأنه يقال: إنهم خافوا السيف، ومن المعلوم أن الحكومات الانقلاية والدكتاتورية والمستبدة ترعب الناس بالسلح، ولم يكن هؤلاء استثناء من ذلك، فقد غلب الخوف - والطمع في بعضهم - طباعهم الأولية.

فمعنى كلامها (عليها الصلاة والسلام): الأمر في طبيعته الأولية وإن كان في طبيعته الثانوية قد عرض عليهم ما أدى إلى خذلانهم وتقاعسهم عن النصر.

أو يجاب: بأن معروفة الشخص بصفة غير اتصافه بها وكونه كذلك فعلاً، وكذلك الموصوفية غير الاتصاف كما سبق.

السعي للتفوق

مسألة: يستحب أن يسعى الإنسان ليكون من النخبة المنتخبة والخيرة المختارة.

والفرق بين الانتخاب والاختيار: أن الانتخاب أخذ الشيء الجيد، أما الاختيار فهو من: خار، وخار قد أشرب فيه معنى اليسر والسهولة، وليس هذا المعنى حاصلاً في النخبة المنتخبة.

أو يقال: الاختيار يتضمن معنى التفضيل (1) دون الانتخاب.

قولها (عليها السلام): «التي انتخبت.. التي اختيرت» إشارة لمقام الإثبات بعد مقام الثبوت، إذ أن النخبة قد تنتخب وقد لا تنتخب، كما أن الخيرة قد تختار وقد لا تختار، وبذلك ذكرت الزهراء (صلوات الله عليها) في كل منهما اللفظين، هذا إن لم نقل بأنها بهذا الانتخاب أضحت نخبة وبهذا الاختيار صارت خيرة لا أنها كانت نخبة وخيرة فانتخبت واختيرت.

قولها (عليها السلام): «معروفون بالخير والصلاح»، أي لستم من الأشرار، بل تعرفون في المجتمع بأنكم خيرون وصالحون ومصلحون.

قولها (عليها السلام): «والنخبة التي انتخبت» أي: أنكم انتخبتهم من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) في الدفاع عنه وعن أهل بيته (عليهم السلام) وعن دينه.

ص: 379

1- إذ الخيرة والخيرة من القوم أو الشيء: الأفضل، وخيار الشيء أفضله كما ورد في كتب اللغة.

والخيرة من القوم: المختار منهم، وقد يقال: إن الاختيار قبل الانتخاب.

يقال: اختاره فانتخبه، فكأن الاختيار للشأنية والانتخاب للفعلية، وإن كان يجوز أن يطلق كل واحد منهما على الآخر كالظرف والجار والمجرور في اصطلاح الأدباء.

ورسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) هم خيرة الخلق.

في الزيارة: «السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله»⁽¹⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سره أن ينظر إلى القضيبي الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عز وجل بيده ويكون متمسكا به فليتول عليا والأئمة من ولده، فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة»⁽²⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لما خلق الله الخلق اختار العرب فاختر قريشا واختار بني هاشم فأنا خيرة من خيرة»⁽³⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «نحن جنب الله ونحن صفوة الله ونحن خيرة الله»⁽⁴⁾.

ص: 380

1- الدعاء والزيارة، للإمام الشيرازي (قدس سره): ص 584 زيارات النبي (صلى الله عليه وآله) الزيارة الرابعة.

2- بحار الأنوار: ج 25 ص 193 ب 6 ح 2.

3- بحار الأنوار: ج 25 ص 248 ب 8 ح 6.

4- بحار الأنوار: ج 26 ص 259 ب 5 ح 37.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت يا علي وولدك خيرة الله من خلقه»⁽¹⁾.

وعن الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه»⁽²⁾.

وقال ابن أبي قحافة للصديقة الطاهرة (عليها السلام): «لا يحبكم إلا العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلا الرديء الولادة، أنتم عترة الله الطيبون، وخيرة الله المنتجبون»⁽³⁾.

ص: 381

1- بحار الأنوار: ج 23 ص 145 ب 7 ح 102.

2- بحار الأنوار: ج 65 ص 22 ب 15 ح 38.

3- بلاغات النساء: ص 31، وبحار الأنوار: ج 29 ص 245-264.

مقابلة المشركين

مسألة: لقتال المشركين شروط وآداب مذكورة في الفقه(1).

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) خطاباً للصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) عند توجّبه إلى قتال المشركين:

قربى ذا الفقار فاطم منى *** فأخي السيف كل يوم هياج

قربى الصّارم الحسام فإني *** راكب في الرجال نحو الهياج

ورد اليوم ناصحا ينذر الناس *** جيوش كالبحر ذي الأمواج

وردوا مسرعين يبغون قتلي *** وأبيك المحبّو بالمعراج

وخراب الأوطان وقتل الناس *** وكلّ إذا أصبح لاجي

سوف أرضني المليك بالضرب ما *** عشت إلى أن أنال ما أنا راج

من ظهور الإسلام أو يأتي الموت *** شهيدا من شاخب الأوداج (2)

لا يقال: لم ذكرت (عليها السلام) العرب فقط ولم تذكر الروم مع أنهم قاتلوا الروم أيضاً، في حرب (مؤتة) ونحوها؟

لأنه يقال: لأن أغلب حروبهم كانت في مواجهة العرب المشركين فهذا من باب التغليب.

ص: 382

1- انظر موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

2- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 129.

أو يقال: حيث إن العرب كانوا مظهر الشجاعة والفروسية في ذلك اليوم، جاء ذكرهم، وإن كان المراد الأعم من ذلك، ومن هنا قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت»(1).

وفي يوم عاشوراء قال عمرو بن سعد لقومه: (الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب) (2).

وقد يقال: المراد بالعرب: الشجعان، كما سبق من قول علي (عليه الصلاة والسلام)، لا أن المراد في مقابل العجم، أي: إنكم كنتم بهذه المنزلة من الشجاعة فكيف تجبنون الآن.

ص: 383

1- نهج البلاغة، الرسائل: 45 من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

2- بحار الأنوار: ج 45 ص 50 ب 37.

تحمل الكد والتعب

مسألة: حيث إن سياق كلامها (عليها السلام) سياق الثناء المدح لا سياق النقل التاريخي المجرد فيستفاد - على ذلك - من قولها: «وتحملتم الكد والتعب» رجحان بل استحباب أو وجوب تحمل الكد والتعب للإسلام، هذا لو لاحظنا مصب الحديث.

وإلا فقد يستحب تحمل الكد والتعب حتى في مثل إدارة العائلة وما أشبهه، بل لعل الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أرادت الأعم كما هو صفة المكافح الخير الصالح، فكل موضوع قد يقتضي مثل هذه الصفات كل بحسبه، سواء في النزال أم في الجدل أم في الإدارة أم في الإعالة أم في غيرها.

قولها (عليها السلام): «وتحملتم الكد والتعب» والفرق بينهما أن التعب أعم من الكد، فإن الكد هو التعب الكثير، بينما التعب يقال للقليل أيضاً. وقد ورد في باب المؤمن وعلاماته وصفاته عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه»⁽¹⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عز وجل والشكر لنعمة في الطواف بالبيت وكان علي (عليه السلام) معه،

ص: 384

1- الكافي: ج 2 ص 230 باب المؤمن وعلاماته ضمن ح 1.

فلما غشيهم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي، قال: فلما هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيها من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكة وخشعت أبصارهما، قال: ففزعا لذلك فزعا شديدا، قال: فمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ارتفع عن الوادي وتبعه علي (عليه السلام) فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأسه إلى السماء فإذا هو برمانتين على رأسه، قال: فتناولهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأوحى الله عز وجل إلى محمد (صلى الله عليه وآله): يا محمد إنها من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب، قال: فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحدهما وأكل علي (عليه السلام) الأخرى»
الخبر(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لصالح آخرته»(2).

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال:

(أعتق علي (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف مملوك مما مجلت يدها وعرق جبينه ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرايس)(3).

وروي: «أنه (عليه السلام) كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجرا»(4).

ص: 385

1- بحار الأنوار: ج 39 ص 124-125 ب 78 ح 9.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 50 ق 1 ب 1 ف 4 ح 308.

3- بحار الأنوار: ج 41 ص 138-139 ب 107.

4- بحار الأنوار: ج 41 ص 144 ب 107.

.....
وورد: «لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مجلت يداها وطب الرحي في يدها»(1).

وعن علي (عليه السلام) أنه قال لرجل من بني سعد: «ألا- أحدثك عني وعن فاطمة، إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أبك فسألته خادما يكفيك ضرر ما أنت فيه من هذا العمل.

فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) فوجدت عنده حداثا، فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبي (صلى الله عليه وآله) أنها جاءت لحاجة.

قال: فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم.

فسكتنا واستحيينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا. ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك يسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف.

فقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال: فخشيت إن لم نجبه أن يقوم.

ص: 386

1- المناقب: ج3 ص341 فصل في سيرتها.

قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقتت بالقربة حتى أثرت في صدرها وجرت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أبك فسألتيه خادما يكفيك ضرر ما أنت فيه من هذا العمل؟

قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربع وثلاثين، قال: فأخرجت (عليها السلام) رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، ثلاث دفعات»(1).

ص: 387

مناطحة الأمم

مسألة: قد يقال بانصراف كلامها (عليها السلام): «ناطحتهم الأمم...» إلى المناطحة العسكرية.

ولكن يحتمل إرادة الأعم من المناطحة في ظرف الحرب والسلم، فيشمل حتى المناطحة بالمجادلة بالتي هي أحسن وبالكلمة الطيبة، ويشمل حتى مثل موقف جعفر الطيار (عليه السلام) وسائر المسلمين في الحبشة (1) ومثل موقفهم وصمودهم في شعب أبي طالب (عليه السلام) (2)، وعلى أي فإن مناطحة الأمم ومكافحة البهيم بين واجب ومستحب.

فإذا كان هنالك من فيه الكفاية وقام بالأمر، كانت المناطحة والمكافحة بالنسبة إلى من هو فوق الكفاية مستحباً.

إلى غير ذلك من المسائل الفقهية المذكورة في كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (3).

وقد كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) في جواب معاوية: «من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد أتانا كتابك بتتويق

ص: 388

- 1- راجع بحار الأنوار: ج 18 ص 410 باب الهجرة إلى الحبشة وذكر بعض أحوال جعفر (عليه السلام) والنجاشي (رحمة الله).
- 2- انظر بحار الأنوار: ج 19 ص 18-20 ب 5 ح 11.
- 3- انظر موسوعة الفقه: ج 47 و 48.

المقال وضرب الأمثال وانتحال الأعمال تصف الحكمة ولست من أهلها وتذكر التقوى وأنت على ضدها» إلى أن قال (عليه السلام): «وأما تهديدك لي بالمشارب العربية والموارد المهلكة فأنا عبد الله علي بن أبي طالب أبرز إلي صفحتك كلا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال ولا عند مناطحة الأبطال» (1).

جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) في الحبشة

وفي (تفسير القمي): «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» (2)، فإنه كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الذين آمنوا بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخرجوا إلى الحبشة وأمر جعفر بن أبي طالب أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر فلما بلغ قريشا خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردهم إليهم...

فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن قوما منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر، فجاء فقال: يا جعفر ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟

ص: 389

1- كنز الفوائد: ج2 ص43-44 جواب أمير المؤمنين A.

2- سورة المائدة: 82.

.....

قال: يسألون أن أردكم إليهم.

قال: أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم؟ قال عمرو: لا بل أحرار كرام.

قال: فاسألهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

فقال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلکم في أعناقنا دماء تطالبوننا بذحول؟

فقال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، أذيتموننا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وأفسدوا شباننا وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك خالفناهم، بعث الله فينا نبيا أمرنا بنخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقها والزنا والربا والميتة والدم وأمرنا «بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» (1) ونهانا «عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ» (2).

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم (عليه السلام).

ثم قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظمما أنزل الله على نبيك شيئا؟

قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله: «وَهَؤُلاءِ إِلَيْكَ

ص: 390

1- سورة النحل: 90.

2- سورة النحل: 90.

.....
بِحِذِّعِ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ زُبْطًا جَنِيًّا * فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا» (1).

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاء شديدا وقال: هذا والله هو الحق.

وقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالف لنا فرده إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو ثم قال: اسكت، والله لئن ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له» (2).

وفي الخرائج و الجرائح: (روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أرض النجاشي ونحن ثمانون رجلا ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها فقبلها وسجدوا له فقالوا: إن قومنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم.

فانتهينا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك.

فلما انتهينا إليه زبرنا الرهبان أن اسجدوا للملك، فقال لهم جعفر: لانسجد إلا لله.

فقال النجاشي: وما ذلك؟

قال: إن الله بعث فينا رسوله وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأن نقيم الصلاة وأن نؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف

ص: 391

1- سورة مريم: 25-26.

2- بحار الأنوار: ج 18 ص 414-415 ب 4 ح 1.

.....
ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله.

فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول التي لم يقربها بشر.

فتناول النجاشي عودا من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا.

ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئا مما جاء به محمد؟

قال: نعم.

قال: اقرأ، وأمر الرهبان أن ينظروا في كتبهم.

فقرأ جعفر «كهيعص»⁽¹⁾ إلى آخر قصة عيسى (عليه السلام) فكانوا يبكون.

ثم قال النجاشي: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيت حتى أحمل نعليه اذهبوا أنتم سيوم أي آمنون، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما⁽²⁾.

ص: 392

1- سورة مريم: 1.

2- الخرائج والجرائح: ج 1 ص 133-134 فذك.

قصة شعب أبي طالب (عليه السلام)

في البحار: أن في سنة ثمان من نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعاهد قريش وتقاسمت على معاداة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك أنه لما أسلم حمزة وحمي النجاشي من عنده من المسلمين وحامى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمه أبو طالب وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه وأبوا أن يسلموه، فشا الإسلام في القبائل واجتهد المشركون في إخفاء ذلك النور ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد (صلى الله عليه وآله)، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم، فكتبوا صحيفة في ذلك وكتب فيها جماعة وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالا شديداً، وأبدت قريش لبني عبد المطلب الجفاء وثار بينهم شر وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابى.

فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابنأخيه وبني أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب.

وآذوا النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين أذى شديدا وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المارة من الأسواق، ونادى مناد الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه.

فبقوا على ذلك ثلاث سنين، حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب، وكان

.....
المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء حتى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة حتى أراد رجال أن يبرؤوا منها.

وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلاً أو سرا، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه.

وكان يصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من الليل يتضاغون من الجوع فيجلسون عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً فيقول الرجل لأصحابه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقولون: بخير، فيقول: لكن إخوانكم هؤلاء الذين في الشعب باتت صبيانهم يتضاغون من الجوع، فمنهم من يعجبه ما يلقي محمد ورهطه ومنهم من يكره ذلك.

فأتى من قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم سنتين أو ثلاثاً حتى جهد القوم جهداً شديداً لا يصل إليهم شيء إلا سرا و مستخفي به ممن أراد صلتهم من قريش، حتى روي أن حكيم بن حزام خرج يوماً و معه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له: أبو البختری بن هشام بن الحارث تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البختری بساق بعير فشجه ووطئه ووطئا شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه فيشمتوا بهم.

وحتى روي أن هشام بن عمرو بنزريعة أدخل على بني هاشم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه فكلموه في ذلك، فقال: إني غير عائد لشيء يخالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل حملاً أو حملين ليلاً وصادفته قريش وهموا به، فقال أبو سفيان: دعوه رجل وصل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل بنا ووفق الله هشاماً للإسلام يوم الفتح(1).

وورد أيضاً: أنه كان من معجزاته (صلى الله عليه وآله) أن قريشاً كلهم اجتمعوا وأخرجوا بني هاشم إلى شعب أبي طالب ومكثوا فيه ثلاث سنين إلا شهراً، ثم أنفق أبو طالب وخديجة جميع مالهما ولا يقدران على الطعام إلا من موسم إلى موسم، فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به وأن الله قد بعث على صحيفتهم الأرضة، فأكلت كل ما فيها إلا اسم الله، فذكر ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب، فما راع قريشاً إلا وبني هاشم عنق واحد قد خرجوا من الشعب، فقالوا: الجوع أخرجهم، فجاءوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه وكان لا يقعد فيه صبيان قريش، فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم مخبراً، ابعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السراق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها.

ص: 395

.....
فقال أبو طالب: هل تتكرون منها شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة فأكلت كل قطعة وإثم وتركت كل اسم هو لله فإن كان صادقا أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذبا ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مشربة كما قال (صلى الله عليه وآله) فكبر المسلمون وامتنعت وجوه المشركين.

فقال: أبو طالب أتبين لكم أينما أولى بالسحر والكهانة.

فأسلم يومئذ عالم من الناس، ثم رجع أبو طالب إلى شعبة ثم غيرهم هشام بن عمرو العامري بما صنعوا ببنيتهاشم(1).

هذا وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) في خطبتها «الأمم»، لأنهم ناطحوا المشركين واليهود والنصارى والمجوس، حيث كان بعض المجوس في اليمن أيضاً.

والبهم: عبارة عن الشجعان الذين لا يعرف قدر شجاعتهم، ولا يدري من أين يؤتون؟ أعن اليمين أم عن الشمال أم الأمام أم الخلف؟ كالشيء المبهم الذي لا يدري معناه ومغزاه.

قولها (عليها السلام): «وناطحتم الأمم» حيث شبهتهم (عليها الصلاة والسلام)

ص: 396

1- بحار الأنوار: ج 19 ص 16-17 ب 5 ح 8.

بالكش الذي يناطح الكش الآخر، كناية عن شدة المجالدة وظهورها، فإن المناطحة عبارة عن محاربة كبشين بقرونهما، وهذا كناية عن محاربة الخصوم بجد واهتمام.

قولها (عليها السلام): «وكافحتم البهم»، وقد سبق معنى الكفاح.

ص: 397

إتباع الرسول وأهل بيته (عليهم السلام)

مسألة: من الواجب إتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) وعدم التقدم عليهم والتأخر عنهم.

فإن هذه الجملة في أحد وجوهها تفيد نفس المعنى الوارد في أدعية شهر شعبان: «المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق»⁽¹⁾.

ويمكن أن تكون إخباراً في مقام الإنشاء⁽²⁾.

فالواجب أن يهندس المرء حياته على طبق المخطط الذي وضعه أهل البيت (عليهم السلام) للحياة، فإنهم وسائط الفيض والتشريع كما

ورد: «إرادة الربفي مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»⁽³⁾.

فإن من الواجب أو المستحب - كل بحسبه - أن يكون الإنسان طوع أو امرهم المولوية والإرشادية (عليهم الصلاة والسلام)، فكلما تحركوا

تحرك، وكلما سكنوا سكن.

قال سبحانه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ»⁽⁴⁾.

ص: 398

1- البلد الأمين: ص 186 شهر شعبان.

2- إلا أن يقال إنه لا يكون فيما كان إخباراً عن حال ماضيه فتأمل، ويمكن القول بالملازمة العرفية بين مثل هذا التقرير عن الماضي وبين

وجوبه في الحاضر. وكلمة (فتأمل) ربما يكون إشارة إلى أن ذلك وإن كان ممكناً إلا أن الظهور لا يساعد عليه.

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 54-55 ب 18 ح 1.

4- سورة النساء: 64.

وقال تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (1) وهذا نوع من الإطاعة.

عن أبي محمد العسكري (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الباقر (عليه السلام) قال: «أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام)».

ثم قال في قول الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (2) قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة» (3).

وعن بريد العجلي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى:

«فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» (4) فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد (عليهم السلام).

قلت: فما معنى قوله: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم» (5).

ص: 399

1- سورة النساء: 59.

2- سورة النساء: 59.

3- بحار الأنوار: ج 23 ص 286 ب 17 ح 3.

4- سورة النساء: 54.

5- بصائر الدرجات: ص 36 ب 17 ح 6.

.....

وعن جابر الأنصاري قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن قوله: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر؟ قال: «هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميري وكنيبي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان»(1).

وعن أبان أنه دخل على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: فسألته عن قول الله «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فقال: «ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه» ثم سكت فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «ثم الحسن (عليه السلام)» ثم سكت، فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «الحسين (عليه السلام)» قلت: ثم من؟ قال: «ثم علي بن الحسين (عليه السلام)» وسكت، فلم يزل يسكت عن كل واحد حتى أعيد المسألة فيقول حتى سماهم إلى آخرهم (عليهم السلام)(2).

ص: 400

1- المناقب: ج1 ص282 فصل في الآيات المنزلة فيهم (عليهم السلام).

2- بحار الأنوار: ج23 ص292-293 ب17 ح26.

وعن عمرو بن سعيد قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: قال: «علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده»⁽¹⁾.

قولها (عليها السلام): «فلا نبرح أو تبرحون» (أو بمعنى: إلا، أي: لا نبرح إلا أن تبرحوا أنتم أيضاً، بمعنى: إنكم تأتمرون بأوامرنا وتزجرون بناهينا).

ومن المحتمل أن يكون معنى «لا نبرح أو تبرحون»: لا نغضب أو تغضبون أي إلا أن تغضبوا أنتم أيضاً.

وبعبارة أخرى: لو كان ماضيه (بَرَحَ) بمعنى زال عن مكانه كان المعنى الأول هو المراد، ولو كان ماضيه (بَرَحَ) كان المعنى الثاني هو المراد، والأول هو الظاهر خاصة بقريظة ما بعده.

ص: 401

1- تفسير العياشي: ج 1 ص 253 من سورة النساء ح 176.

عمومية وجوب الإطاعة

مسألة: تجب إطاعة وامثال أهل البيت (عليهم السلام) في أوامرهم الوجوبية، إذ قد تكون الأوامر إرشادية أو استحبابية، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قصة زواج امرأة حيث سألته: أتأمرني يا رسول الله، فقال: لا إنما أنا شافع.

كما أنه تجب إطاعتهم حتى في الأوامر العادية إذا قالوها على سبيل الطلب والجدّ، وليس غيرهم كذلك، كما إذا طلبوا من أحد السفر أو فتح محل أو بيع أو شراء أو زواج أو ما أشبه ذلك، فهذا من خصائص الولاية.

عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق (عليه السلام) إذ دخل سهل بن حسن الخراساني، فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرفأة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له (عليه السلام): «اجلس يا خراساني رعى الله حقك» ثم قال: «يا حنفية اسجري التنور»، فسجرتة حتى صار كالجمرة وبيض علوه، ثم قال: «يا خراساني قم فاجلس في التنور».

فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك الله.

قال: «قد أقلتك».

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله.

فقال له الصادق (عليه السلام): «ألق النعل من يدك واجلس في التنور».

قال: فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال: «قم يا خراساني وانظر ما في التنور».

قال: فقممت إليه فرأيته متربعا فخرج إلينا وسلم علينا!.

فقال له الإمام (عليه السلام): «كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحدا.

فقال (عليه السلام): «لا والله ولا واحدا، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا نحن أعلم بالوقت»(1).

وعن معمر بن خلاد قال: سألت رجل فارسي أبا الحسن الرضا (عليه السلام) فقال: طاعتكم مفترضة؟ فقال: «نعم» فقال كطاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟ فقال: «نعم»(2).

وفي زيارة الأئمة بالبقيع (عليهم السلام): «وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وإنكم دعوتهم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا»(3).

ص: 403

1- المناقب: ج4 ص237 فصل في خرق العادات له (عليه السلام).

2- بحار الأنوار: ج23 ص301 ب17 ح54.

3- الدعاء والزيارة، للإمام الشيرازي (قدس سره): ص590 زيارة الأئمة (عليهم السلام) بالبقيع.

وأيضاً: «وأعطاكم راية الحق التي من تقدمها ضل ومن تخلف عنها ذل، وفرض طاعتكم ومودتكم على كل أسود وأبيض من عباده»(1).

وأيضاً: «بأبي أنتم وأمي، لقد رضعتم ثدي الإيمان، وربيتم في حجر الإسلام، واصطفاكم الله على الناس، وورثكم علم الكتاب، وعلمكم فصل الخطاب، وأجرى فيكم مواريث النبوة، وفجر بكم يناييع الحكمة، وألزمكم بحفظ الشريعة، وفرض طاعتكم ومودتكم على الناس»(2).

وفي زيارة الجامعة: «وقرن طاعتكم بطاعته»(3).

وإنما ذكرت الزهراء (عليها السلام) في هذا المقطع من خطبتها الشريفة، الأمر دون النهي لأن الأمر في أمثال هذا المقام يشمل النهي أيضاً، كما ألمعنا إلى ذلك في مثله من البنود السابقة.

قولها (عليها السلام): «نأمركم فتأتمرون» أي: تقبلون أوامرنا، فلماذا الآن انتكصتم عن مناصرتنا وعن إطاعتنا؟!

ص: 404

1- بحار الأنوار: ج 97 ص 207-208 ب 6 ح 8.

2- بحار الأنوار: ج 97 ص 209 ب 6 ضمن ح 8.

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 99 ب 46 ح 1.

محورية أهل البيت (عليهم السلام)

حتى إذا دارت بنا (1) رحي الإسلام

محورية أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: لقد دارت بأهل البيت (عليهم السلام) رحي الإسلام حدوثاً، وهي دائرة بهم (عليهم السلام) استمراراً أيضاً، وذلك:

أولاً: لأن البقاء فرع الحدوث، والشيء يعلل بأولى علله أيضاً حقيقة.

وثانياً: لأنهم (عليهم السلام) علل قريبة للبقاء، كما هم (عليهم السلام) علل بعيدة أيضاً، فإن وجودهم وكلماتهم ومواقفهم وآثارهم ومناهجهم وما تركوه من تراث فكري وأدبي وجهادي - بل حتى قبورهم ومراقدهم الشريفة - لا تزال هي التي تدور عليها وبها رحي الإسلام، وعلى أي حال لولا هم (عليهم السلام) لم يقيم للإسلام عود ولا استقام له عمود.

نعم إن الإسلام كان دين الأنبياء (عليهم السلام) قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن ذلك الإسلام شوّهته الجاهلية حتى لم يبق منه إلا كأنوار الحُباحب (2) الصغيرة في الليالي المظلمة المدلّهمة.

أو يقال: بأن المراد ب- (الإسلام) في كلامها (عليها السلام) هو الإسلام بالمعنى المصطلح، لا بالمعنى الأعم (3)، فيكون المراد المعنى الحقيقي من (حتى إذا دارت).

ص: 405

1- وفي بعض النسخ: (حتى دارت لكم بنا رحي الإسلام).

2- نار الحباحب: النار الخفية يضرب بها المثل في الضعف - والحباحب ما تقدحه حوافر الخيل - وأيضاً: الحباحب وأم حُباحب: ذباب ذو ألوان يطير في الليل، في ذنبه شعاع كالسراج.

3- أي الذي يطلق على مجموعة من الكلّيات التي آمن بها الرسل (عليهم السلام) وتشكل القاسم المشترك مع الدين الإسلامي.

قولها (عليها السلام): «حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» هو كناية عن استقرار الأمر للإسلام وانتظام أموره على يد أهل البيت (عليهم السلام).

عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا (عليه السلام): «أما بعد فإن محمدا (صلى الله عليه وآله) كان أمين الله في خلقه، فلما قبض (صلى الله عليه وآله) كنا أهل البيت ورثته، فتحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولدا للإسلام»⁽¹⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»⁽²⁾.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومن كان مريضا صلى قاعدا وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة»⁽³⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «إن الجنة لتشتاق ويشتد ضوؤها بمجيء آل محمد (عليهم السلام) وشيعتهم، ولو أن عبدا عبد الله بين الركن والمقام حتى تتقطع أوصاله وهولا يدين الله بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه»⁽⁴⁾.

ص: 406

1- الكافي: ج 1 ص 223 باب أن الأئمة ورثوا علم النبي ح 1.

2- الكافي: ج 2 ص 46 باب نسبة الإسلام ح 2.

3- وسائل الشيعة: ج 1 ص 23 ب 1 ح 24.

4- دعائم الإسلام: ج 1 ص 74 ذكر مودة الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

إنهم (عليهم السلام) وسائط الفيض

مسألة: قد سبق أنهم (عليهم السلام) وسائط الفيض، والنعم في أصلها وفي مراتبها ودرجاتها وكمها وكيفها تكون بهم وعبرهم، وهذا كله بإرادة الله وأمره. وقد أشارت (عليها السلام) إلى بعض تلك المراتب حيث قالت: «ودر حلب الأيام» أي بنا.

فإن البركة المعنوية تتوفر بسببهم (عليهم الصلاة والسلام) فقط، والبركة المادية تكون بسبب مناهجهم التي أوجبت وحدة الأمة وتعاونها وتقدمها في مختلف أبعاد الحياة، كما قالت (عليها السلام): «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»⁽¹⁾.

قولها (عليها السلام): «ودر حلب الأيام» درّ اللبن عبارة عن جريانه بكثرة، والحلب: استخراج ما في الضرع من اللبن، أي: بسبب إطاعتكم لأوامرنا ظهرت لكم النتائج الحسنة من الخير والنعمة والألفة وغير ذلك.

ومن هنا فإن ولايتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) هي الأساس في كل خير، ولم يبعث الله نبياً إلا بها.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»⁽²⁾.

ص: 407

1- بحار الأنوار: ج 29 ص 223 فصل نورد فيه خطبة خطبتها سيدة النساء (عليها السلام).

2- الكافي: ج 1 ص 437 باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح 3.

وعن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا»⁽¹⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم وإنهم ليدنون بولايتنا»⁽²⁾.

وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «ولاية علي (عليه السلام) مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوته محمد (صلى الله عليه وآله) ووصيه علي (عليه السلام)»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله عز وجل نصب عليا (عليه السلام) علما بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار»⁽⁴⁾.

وعن أبي يوسف البزاز قال: تلا أبو عبد الله (عليه السلام) هذه الآية: «فاذكروا آلاء الله»⁽⁵⁾. قال: «أتدري ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: «هي أعظم نعم الله علي خلقه وهي ولايتنا»⁽⁶⁾.

ص: 408

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 437 باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح 4.
 - 2- الكافي: ج 1 ص 437 باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح 5.
 - 3- الصراط المستقيم: ج 1 ص 278 الباب الثامن فيما جاء في تعيينه.
 - 4- بحار الأنوار: ج 38 ص 119 ب 61 ح 63.
 - 5- سورة الأعراف: 69.
 - 6- الكافي: ج 1 ص 217 باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الأئمة (عليهم السلام) ح 3.

.....
وعن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين» (1)، قال: «تفسيرها في بطن القرآن يعني من يكفر بولاية علي (عليه السلام) وعلي هو الإيمان» (2).

وعن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «سلوني عما شئتم ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به» قال: فسألته، فقال: «إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فليذهب الناس حيث شاؤوا فوالله ليأتين الأمر هنا وأشار بيده إلى صدره» (3).

بحث حول الزمن

ولا بأس ههنا بالاستطراد والإشارة، بمناسبة ذكرها (عليها السلام) للأيام، إلى بحث عابر حول اليوم والساعة والزمن بشكل عام، فنقول:

لقد اختلفوا في الزمان من قديم الأيام أنه ما هو؟

فهل هو مقدار حركة الفلك؟

أم هو أمر اعتباري؟

أم غير ذلك؟

ص: 409

1- سورة المائدة: 5.

2- بحار الأنوار: ج 35 ص 369 ب 16 ح 14.

3- بصائر الدرجات: ص 518-519 ب 19 ح 1.

.....
وقد عدّه بعضهم: البعد الرابع للجسم.

وليس الكلام الآن في ذلك، بل الكلام في أنه هل الساعة (1) - وهي من مصاديق الزمن - خارجة عن الجسم، أو داخلة فيه، أو شيء ثالث لم يصل إليه علم البشر؟

فأنصار الأول يقولون: إنه شيء حقيقي لا يختلف فيه نفران يكونان في مكان واحد فرضاً، مثله مثل المكان الذي هو كذلك، وإنما الاختلاف بالحس - بالطول والقصر في المريض والصحيح ونحوهما - وإن كان الواقع شيئاً واحداً مثل يدي الإنسان يدخلهما في إناء ماء فاتر بعد أن يخرج إحدى يديه من ماء حار والأخرى من ماء بارد، حيث تحسّ اليد الأولى بالبرودة والثانية بالحرارة مع أن الماء واحد، فالاختلاف ليس بالحقيقة وإنما هو في الإحساس، وكذلك اثنان يشاهدان شيئاً واحداً أحدهما يراه شبحاً لضعف عينه والثاني يراه بكامل هيئته لقوتها، وهكذا الحال في كل الحواس الخمس، بل والروح أيضاً حيث إن أحدهما يفرح والآخر يترحم بشيء واحد، بل إن هذا يأتي أيضاً في نفر واحد في حالين ولو متقاربي الزمان، فالجائع يلتذ بالطعام التذاذاً كبيراً، وبعد شبعه لا يلتذ بنفس ذلك الطعام بل ربما اشمأز منه.

وأنصار الثاني يقولون: إن الساعة شيء في داخل الإنسان، فإذا أسرع في الحركة رأى الإنسان الزمان قصيراً، وإذا أبطأت رآه طويلاً، فالمريض والصحيح والصغير والكبير ومن في الترح ومن في الفرح ومن ينتظر ومن لا ينتظر

ص: 410

1- وقد قسموها إلى المستوية والمعوجة، وبمعنى جزء من الزمان.

يرون الزمان بشكل متعاكس طولاً وقصراً، حيث إن المريض يرى أن ليله لا ينقضي بخلاف الصحيح وهكذا.

وبعض المكاشفات عن حال الأموات دل على نفس هذه الحالة فيهم أيضاً، حيث إن الميت الذي كان في السعادة مرت عليه ألف سنة وكأنها ساعة، والذي كان في الشقاء مرّت عليه الساعة وكأنها ألف سنة.

ولعل ما ورد من الدعاء: «يا مبدل الزمان»⁽¹⁾ يكون إشارة إلى ذلك، وإن كان ظاهره غيره من تبديله حالة إلى حالة.

ونحوه قوله (عليه السلام): «إذا تغير السلطان تغير الزمان»⁽²⁾.

وقوله (عليه السلام): «إذا فسد الزمان ساد اللئام»⁽³⁾.

وما ورد من أن الله يقضي بسرعة الفلك في ظل حكومة الجائر ويطوله في ظل حكومة العادل، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عزوجل جعل لمن جعل له سلطاناً مدة من ليالي وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطن بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنهورهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزوجل صاحب الفلك فأسرع بإدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور»⁽⁴⁾.

ص: 411

1- مهج الدعوات: ص 90-91 ومن ذلك دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) وهو دعاء الفرج.

2- غوالي اللآلي: ج 1 ص 287 الفصل العاشر ح 140.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ج 347 ذم الحكومة الجائر ح 8009.

4- بحار الأنوار: ج 4 ص 103 ب 3 ح 16.

ومنه يعرف معنى من معاني قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا- تعادوا الأيام فتعاديكم» (1) حيث إن عداوة الأيام بمعنى ما في الأيام على سبيل المجاز، فإن نفس الأيام لا تعادي، بل توجب انعكاس العداوة إلى النفس، فالساعة النفسية تمر ثقيلة كالذي في مرض أو ما أشبه ذلك، هذا وقد تأويل الرواية بالمعصومين (عليهم السلام).

عن الصقر بن أبي دلف عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) قال: قلت: يا سيدي حديث يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا أعرف معناه، فقال: «وما هو»؟

قلت: قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تعادوا الأيام فتعاديكم» ما معناه؟

فقال: «نعم، الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأحد اسم أمير المؤمنين (عليه السلام) والاثني عشر والحسين (عليهما السلام) والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهم السلام) والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا (عليهم السلام) والخميس ابني الحسن (عليه السلام) والجمعة ابن ابني (عليه السلام) وإليه يجتمع عصابة الحق وهو الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة» (2).

وعن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغير الزمان وحدثانه» (3).

ص: 412

1- مستدرک الوسائل: ج 13 ص 77 ب 11 ح 14804.

2- بحار الأنوار: ج 36 ص 413-414 ب 47 ح 3.

3- الكافي: ج 1 ص 229 باب أنه لم يجمع القرآن كله ح 3.

وخضعت نعمة (1) الشرك

إخضاع الإعلام المضل

مسألة: يجب إخضاع الشرك وإخماده.

وربما يستفاد من كلامها (عليها السلام) هذا أن من مقاصد الشريعة (ومن الواجبات): إخضاع الإعلام الضال والمضل والدعايات المنحرفة، فإنها من مصاديق نعمة الشرك، فإن الشرك قبل الإسلام كانت له نعمة (2) وجلبة وضوضاء وهدير وصخب يغطي الآفاق وفي مختلف أبعاد الحياة، وإنما أخضعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث أسلم الناس ولحق الشرك بزوايا الخمول.

فالواجب هو إخماد الشرك كلياً، فإن لم يمكن فلا أقل من إخضاعه وإسكات نعرته وصرخته، فإذا لم يتمكن الإنسان من إخماده وتمكن من إخضاع نعرته وجب عليه ذلك، فإن الشرك كلما كان أقل وكلما كان علو صوته وارتفاعه أخف كان أفضل.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «وأكبر الكبائر الشرك بالله» (3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله» إلى أن قال: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (4).

ص: 413

1- وفي بعض النسخ: ثغرة الشرك.

2- نكير: صاح وصوت بخيشومه، والناعر: الصائح، وامرأة نغارة أي: صحابة وفحاشة.

3- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 355 ب 46 ضمن ح 13244.

4- بحار الأنوار: ج 76 ص 113 ب 83 ح 15.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعوذ في كل يوم من ست، من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد» (1).

وعن أبي محمد (عليه السلام) قال: «الشرك في الناس أخفى من ديب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة» (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «أن رجلا من خثعم جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: أي الأعمال أبغض إلى الله؟ فقال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف» (3).

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء» قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم؛ اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم» (4).

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للذي أشرك» (5).

وعن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «فضل أمير المؤمنين ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ به، وما نهى عنه انتهى عنه،

ص: 414

1- بحار الأنوار: ج 69 ص 126 ب 100 ح 7.

2- بحار الأنوار: ج 69 ص 298-299 ب 116 ح 31.

3- المحاسن: ج 1 ص 295 ب 48 ح 460.

4- بحار الأنوار: ج 69 ص 266 ب 116 ضمن ح 1.

5- بحار الأنوار: ج 67 ص 222 ب 54.

جرى له من الفضل ما جرى لمحمد (صلى الله عليه وآله) ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك جرى على الأئمة الهدى واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها والحجة البالغة من فوق الأرض ومن تحت الثرى»(1).

وفي بعض النسخ من الخطبة الشريفة: ثغرة، أي «وخضعت ثغرة الشرك» (وجمعها ثغور) وهي بمعنى: المنفذ والمكان الذي يخاف منه هجوم العدو، أي قد خضعت الثغرة التي كان منها يدخل الشرك.

أو بمعنى نقرة النحر بين الترقوتين، فخضوعها كناية عن سقوط الشرك كالحيوان الساقط على الأرض.

وفي بعضها: (نعرة) وهي إما تقرأ (نُعْرَة) على وزن (هُمَزَة) وكذلك (نُعْرَة)، ومعناها: الخيشوم والكبر والخيلاء. أو تقرأ (نُعْرَة) فتكون بمعنى فَوْرة الشرك وفورانته، أو بمعنى: صرخة وهو ما مشينا عليه.

وغير خفي أن كلامهم (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) يوزن بالمشاقيل، فإن كل كلمة منه يكمن ورائها سر في انتخابها دون غيرها من الكلمات..

وهنا نجدها (عليها الصلاة والسلام) تقول: «وخضعت ثغرة الشرك» ولم تقل

ص: 415

أزيلت أو أعدمتم بل خضعت فحسب.

وهكذا الجمل اللاحقة «وسكنت فورة الإفك» و«خمدت نيران الكفر» فإن خمدت النار، بمعنى سكن لهيها ولم يطفأ جمرها..

وما أدقه من تعبير ومن وصف لحالة الكفار والمشركين عندئذ إذ إنهم لم يفنوا بل استسلموا وخضعوا.

ص: 416

حرمة الإفك

مسألة: يحرم الإفك ويجب إسكان فورته، فإن الإفك هو الكذب وهو محرّم بمختلف أقسامه، سواء كان كذباً في التوحيد أم النبوة أم المعاد أم غير ذلك، وسواء كان كذباً في الأحكام والأخلاق والآداب ونحوها أم في الشؤون الشخصية، نعم لحرمة مراتب ودرجات. وإذا لم يتمكن الإنسان من إخماد أصل الإفك وتمكن من إخماد فورته بأن لا يكون له اشتعال وجولان وجب بالقدر الممكن.

قولها (عليها السلام): «وسكنت فورة الإفك»، فورته: غليانه، فإن الجاهلية كانت مسرّحاً للكذب في العقيدة والعمل، ولما جاء الإسلام تبدل الكذب إلى الصدق في كل شيء.

روي عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «إِفْكَ أَفْتَرًا» (1) قال: «الإفك الكذب» (2). وفي زيارة لمولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): «السلام عليك يا داحض الإفك ومبطل الشرك ومزيل الشك» (3).

ص: 417

1- سورة الفرقان: 4.

2- بحار الأنوار: ج 9 ص 228 ب 1 ضمن ح 115.

3- بحار الأنوار: ج 97 ص 331 ب 4 ح 30.

وفي الغرر: «أقبح شيء الإفك»⁽¹⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا»⁽²⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل جعل للشر أقفالا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»⁽³⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»⁽⁵⁾.

ص: 418

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 219 ذم الكذب ح 4367.

2- الكافي: ج 2 ص 338 باب الكذب ح 2.

3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 244 ب 138 ح 16206.

4- بحار الأنوار: ج 69 ص 247 ب 114 ح 8.

5- بحار الأنوار: ج 69 ص 263 ب 114 ح 48.

الكفر ونيرانه

مسألة: يجب إخماد نيران الكفر.

كما أن النار المادية تحرق الأجسام كذلك الكفر هو نار تحرق الماديات والمعنويات، فإن الكفر يسبب تكالب الناس على المادة ويوجب إشعال الحروب والثورات ويؤدي إلى القتل وسفك الدماء وما أشبه ذلك، فالواجب على الإنسان إخماد نيرانه، وإذا تمكن من إزالة أصل الكفر في مكان وجب، وإذا لم يتمكن وتمكن من إخماد نيرانه - ولو بقدر - وجب حسب القدرة.

قال تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» (1).

قولها (عليها السلام): «وخدمت نيران الكفر» خمود النار عبارة عن سكون لهيبتها، أي: أن حروب الجاهلية خدمت ببركة الإسلام ونشره.

فمعنى (نيران الكفر) إما النيران التي وادها الكفر، فتكون الحروب إحدى الأمثلة والمصاديق، أو معناها (نيران هي الكفر) فالمعنى خمود الكفر نفسه، وذلك نظراً لكون الإضافة لامية أو بيانية.

وكان من إرهابات ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) أن خدمت نيران فارس، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أصبحت الأصنام على وجوهها، وارتجس إيوان كسرى وسقط

ص: 419

منه أربع عشرة شرافة، وغازت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخدم قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها»(1).

وعن يونس بن عبد الرحمن: أن الرضا (عليه السلام) كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر بهذا الدعاء، إلى أن يقول: «وجدد به ما امتحى من دينك، وبدل من حكمك حتى تعيد دينك به وعلى يديه جديدا غضا محضنا صحيحا لا عوج فيه ولا بدعة معه وحتى تنير بعدله ظلم الجور وتطفئ به نيران الكفر»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»(3).

وعن أبي عمرو الزبيرى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل.

قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالرؤية وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار، وهو قول صنفيين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون: «وما يهلكنا إلا الدهر»(4)، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت

ص: 420

1- المناقب: ج 1 ص 30 فصل في مولده (عليه السلام).

2- بحار الأنوار: ج 92 ص 331 ب 115 ح 4.

3- الكافي: ج 1 ص 28 كتاب العقل والجهل ح 33.

4- سورة الجاثية: 24.

منهم ولا- تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عزوجل: «إن هم إلا يظنون»(1) أن ذلك كما يقولون، وقال: «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»(2) يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عزوجل: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا»(3)، وقال الله عزوجل: «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين»(4)، فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان (عليه السلام): «هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم»(5)، وقال: «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»(6)، وقال: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»(7).

والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله عزوجل به، وهو قول الله عزوجل: «وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم

ص: 421

- 1- سورة الجاثية: 24.
- 2- سورة البقرة: 6.
- 3- سورة النمل: 14.
- 4- سورة البقرة: 89.
- 5- سورة النمل: 40.
- 6- سورة إبراهيم: 7.
- 7- سورة البقرة: 152.

من دياركم ثم أقرتم وأنتم تشهدون * ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تقادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم»(1)، فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون»(2).

والوجه الخامس من الكفر: كفر البراءة، وذلك قوله عز وجل يحكي قول إبراهيم (عليه السلام): «كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده»(3)، يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: «إني كفرت بما أشركتمون من قبل»(4)، وقال: «إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا»(5)، يعني يتبرأ بعضكم من بعض»(6).

ص: 422

1- سورة البقرة: 84-85.

2- سورة البقرة: 85.

3- سورة الممتحنة: 4.

4- سورة إبراهيم: 22.

5- سورة العنكبوت: 25.

6- الكافي: ج 2 ص 389-392 باب وجوه الكفر ح 1.

حرمة الهرج

مسألَتان: يحرم الهرج ويجب تهدئة الدعوة له.

وهو عبارة عن الفتنة واختلاط الأمور، وتداخل الحق والباطل، والصحيح والفساد، والصالح والظالم، ونحو ذلك.

قال الفيروزآبادي: (هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل) (1).

وقالت (عليها السلام) في خطبتها لثناء المهاجرين والأنصار وذلك لما اشتد بها العلة وجئن لعيادتها: «ثم طيبوا عن أنفسكم أنفسا وطأمنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فينكم زهيدا وزرعكم حصيدا، فيا حسرتى لكم وأنى بكم وقد عميت قلوبكم عليكم» الخطبة (2).

وفي منية المرید عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «اكتب وبت علمك في إخوانك فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم» (3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم الحق منا، إذا صارت الدنيا هرجا مرجا، وهو التاسع من صلب الحسين» (4).

ص: 423

1- بحار الأنوار: ج 44 ص 87 ب 20.

2- معاني الأخبار: ص 354-355 باب معاني قول فاطمة (عليها السلام) ح 1.

3- وسائل الشيعة: ج 27 ص 81-82 ب 8 ح 33263.

4- الصراط المستقيم: ج 2 ص 116 ف 3.

.....

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) لابنته فاطمة (عليها السلام): «سوف يخرج الله من صلب الحسين تسعة من الأئمة أمناء معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك مهدينا، التاسع من صلب الحسين، يفتح حصون الضلالة وقلوبا غفلاء، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»⁽¹⁾. قولها (عليها السلام): «وهدأت دعوة الهرج» وهذا مما يشمل عامة الناس في حال عدم الأمن والسلامة.

وهدأت أي: سكنت، وقد سبق أنه لعلها (عليها الصلاة والسلام) أشارت بهذه الجملة إلى أن شيئاً من تلك الحالة الجاهلية كانت باقية فيهم، وذلك لتعيرها (صلوات الله عليها) بالخضوع والسكون ونحوهما.

مواصفات المجتمع الجاهلي

مسألة: يلزم الاجتناب عن سيئات المجتمع الجاهلي، حيث تشير الصديقة الكبرى (عليها السلام) في هذا المقطع والذي سبقه إلى مجموعة من مواصفات المجتمع الجاهلي هي:

1: الشرك.

2: الإفك، وهو الكذب.

ص: 424

.....

3: الكفر.

4: الهرج.

وهي مواصفات ترتبط بالعقيدة والسلوك معاً، وتكشف الحالة الفردية والحالة الاجتماعية للناس.

وبعبارة أخرى: ذكرت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) علاقتهم بالخالق وعلاقتهم بالخلق، ففي علاقتهم بالخالق كانوا مشركين وكفاراً، وفي العلاقة بالخلق كان الكذب هو الحاكم في طريقة تعامل بعضهم مع بعض، وكان الهرج هو السيد.

وهي صفات مترابطة يؤثر بعضها في البعض الآخر، فإن سيادة الكذب المتبادل في المجتمع من العلل المعدة للهرج (وهو الفتنة، واختلاط الأمور، والقتل) وإن من يشرك بالخالق غيره - وهو من أكبر الأكاذيب - يهون عليه الكذب على المخلوق من أصدقائه ومجتمعه.

في دعائم الإسلام: عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) أنه قال: «خطب رسول الله يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من ولد آدم وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عند الله أتقاكم، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه، ألا إن كل دم في الجاهلية أو إحنة فهي تحت قدمي إلى يوم القيامة»(1).

ص: 425

1- دعائم الإسلام: ج 2 ص 198-199 ف 2 ح 729.

من مسؤوليات المؤمن

مسألة: هنالك أربع مسؤوليات - في قبال ما ورد في المسألة السابقة - تقع على عاتق كل مصلح، وهي:

1: التصدي للشرك، الجلي والخفي منه.

2: التصدي للإفك والكذب.

3: التصدي للكفر.

4: التصدي للهرج والفتنة.

فالواجب على كل داعية أن يضع التصدي لهذه الأربعة نصب عينيه دائماً.

وقد أشارت الصديقة الطاهرة (عليهم السلام) في هذا المقطع إلى سبعة أدوار ومهام:

1: دارت بهم رحى الإسلام.

2: در بهم حلب الأيام، وهذا من مسؤوليات كل مصلح أن يسعى لتقدم وازدهار أمته.

3: خضعت بهم نعمة الشرك.

4: سكنت بهم فورة الإفك.

5: خمدت بهم نيران الكفر.

6: هدأت بهم دعوة الهرج.

7: استوسق بهم نظام الدين، على ما سيأتي.

المصلح ودار الدنيا

مسألة: على المصلح أن يضع في باله أن دار الدنيا حيث كانت دار امتحان وابتلاء، وأسباب ومسببات، وقانون: «كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء» (1)، وقانون: «وهديناه النجدين» (2)، لذلك ليس من الممكن عادة أن يقضي الإنسان في فترة قصيرة على كل جذور الفساد (العقدي والعملي) سواء حكم دولة أو أدار عائلة أو أسس منظمة أو نقابة أو حزباً.

وإذا عرف الإنسان ذلك تحلى بالصبر، ولم يمنعه من القيام بواجباته وجود بعض الثغرات والنواقص والأخطاء التي لا يمكنه تجنبها، فإن البعض لا يسعى لقيام دولة إسلامية متعللاً بأنها ربما تقع فيما بعد بأيدي غير أمينة، أو لأننا ربما لا نستطيع من تطبيق الإسلام كاملاً، أو ما أشبه ذلك.

ولكنه يقال: أو ليس الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد أقام دولة الإسلام وهو يعلم بـ «أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» (3)؟

أو ليس قد أقامها وهو يعلم بما قام وسيقوم به أمثال خالد في تعديه على أهل اليمن؟

إلى غير ذلك.

ص: 427

1- سورة الإسراء: 20.

2- سورة البلد: 10.

3- سورة آل عمران: 144.

ومن اليّن الفرق بين التقصير في التصدي للمنكرات والنواقص، وبين اليأس عن العمل لوجود عدد منها قهراً ودون مقدرة للمرء على القضاء عليها.

قال تعالى: «لست عليهم بمسيطر»(1).

وقال سبحانه: «إنك لا تهدي من أحببت»(2).

وقال تعالى: «ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون»(3).

وقال سبحانه: «ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين»(4).

وقال تعالى: «ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون»(5).

ص: 428

1- سورة الغاشية: 22.

2- سورة القصص: 56.

3- سورة يونس: 42.

4- سورة يونس: 40.

5- سورة يونس: 43.

استيساق الدين بالرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألان: يجب أن يستوسق نظام الدين، ويجب اتباع أهل البيت (عليهم السلام) حتى ينتظم ويستوسق أمره، فإن كل دعوى للاستيساق بواسطة غيرهم باطلة، وهي ككل دعوة باستيساق الأمر من دون الأنبياء (عليهم السلام) ومناهجهم.

والاستيساق بأن تكون شتى الأمور والقضايا الدينية منتظمة ومجتمعة ومتكاملة وعلى وئام تام، فإن الدين جملة واحدة لا يصلح بعضها إلا ببعض، وكل نقص في هذا النظام خبال للإنسان وإنحراف عن الإنسانية، فاللازم أن يهتم الإنسان حتى يستوسق هذا النظام بجميع أجزائه وخصوصياته.

قال تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون»(1).

وقال سبحانه: «إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً»(2).

وقولها (عليها السلام): «واستوسق نظام الدين» بهم (عليهم السلام) في كل بعديه:

1: النظري عقيدة ومنهاجاً.

ص: 429

1- سورة البقرة: 85.

2- سورة النساء: 150.

2: والعملي: سلوكاً وممارسة.

كما قال تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»(2)، إلى غير ذلك.

عدم الإفراط والتفريط

مسألة: من مقتضيات استيساق نظام الدين، عدم الإفراط أو التفريط.

فإن من ترهبين أو أسرف أو ما أشبهه ليس نظام دينه مستوسقاً ومتسقاً.

قال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً»(3).

وعن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»(4) فقال: «نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء لله على خلقه وحججه في أرضه»(5).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» قال أبو جعفر (عليه السلام): «منا شهيد على كل زمان، علي بن أبي طالب (عليه السلام) في زمانه، والحسن

ص: 430

1- سورة المائدة: 3.

2- إقبال الأعمال: ص 467 فصل فيما نذكره في جواب من سأل عما في يوم الغدير من الفضل...

3- سورة البقرة: 143.

4- سورة البقرة: 143.

5- تفسير العياشي: ج 1 ص 62 من سورة البقرة.

(عليه السلام) في زمانه، والحسين (عليه السلام) في زمانه، وكل من يدعو منا إلى أمر الله»(1).

وعن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» قال: «هم الأئمة (عليهم السلام)»(2).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «نحن نمط الحجاز» فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: «أوسط الأنماط، إن الله يقول: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» قال ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»(4).

وفي الحديث: «لا رهبانية في الإسلام»(5).

وعن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليس فيأمتي رهبانية ولا سياحة ولا زم يعني سكوت»(6).

ص: 431

1- بحار الأنوار: ج 23 ص 337 ب 20 ح 7.

2- بحار الأنوار: ج 23 ص 343 ب 20 ح 28.

3- تفسير العياشي: ج 1 ص 63 من سورة البقرة: ح 111.

4- مستدرک الوسائل: ج 2 ص 401 ب 60 ضمن ح 2303.

5- دعائم الإسلام: ج 2 ص 193 فصل 1 ضمن ح 701.

6- بحار الأنوار: ج 67 ص 115 ب 51 ح 2.

فأنى حرتم (1) بعد البيان

الحيرة والشك من المحرمات

مسألة: يحرم الحيرة بعد البيان ووصول الحجة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم (عليهم السلام)، فإنه من الحيرة والشك في أصول الدين وما يرتبط بأصول الدين، ومن الواضح أن ذلك من أشد المحرمات.

أما الحيرة في فروع الدين فإنها وإن كانت محرمة، إلا أنها ليست بتلك المنزلة، فالفرق بينهما هو الفرق بين أصول الدين وفروعه، وقد قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا» (2).

والريب هو: أول مراتب الشك، والشك هو عبارة عن: الإيغال في التردد، ومن أوغل في التردد لا بد وأن ينتهي به الأمر إلى الكفر.

لا يقال: الحيرة والشك أمر غير اختياري. إذ يقال: كثير من موارده اختياري، والكثير منها اختياري باختيارية المقدمات وبعد ذلك لا بد من صرف الذهن ورفع الشك والحيرة.

وربما يكون (حرتم) في قولها (عليها السلام): «فأنى حرتم بعد البيان» إشارة إلى الحيرة العملية، أي إنما سلكتم سلوك الحائر وإن لم تكونوا حيارى حقيقة.

هذا كله على نسخة (حرتم)، وفي بعض النسخ (جُرتم) من الجور أي كيف

ص: 432

1- وفي بعض النسخ: حرتم، وفي بعضها: جرتم.

2- الكافي: ج 2 ص 399 باب الشك ح 2.

ولماذا جرتم وظلمتمونا بعد أن بان حقنا لكم؟

عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح (عليه السلام) أخبره أنني شكك وقد قال إبراهيم (عليه السلام) رب أرني كيف تحيي الموتى وأني أحب أن تريني شيئاً، فكتب (عليه السلام): «إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شكك والشاك لا خير فيه» وكتب: «إنما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب إن الله عزوجل يقول: «وما وجدنا لأكثرهم منعهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين»(1) قال: نزلت في الشاك»(2).

وعن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا عن يساره ووزارة عن يمينه فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: «كافر يا أبا محمد» قال: فشك في رسول الله؟ فقال: «كافر» قال: ثم التفت إلى زرارة فقال: «إنما يكفر إذا جحد»(3).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»(4)، قال: «بشك»(5).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا إلينا»(6).

ص: 433

1- سورة الأعراف: 102.

2- الكافي: ج 2 ص 399 باب الشك ح 1.

3- وسائل الشيعة: ج 28 ص 356 ب 10 ح 34959.

4- سورة الأنعام: 82.

5- الكافي: ج 2 ص 399 باب الشك ح 4.

6- الكافي: ج 2 ص 400 باب الشك ح 5.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «الريب كفر»⁽¹⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لا ينفع مع الشك والجحود عمل»⁽²⁾.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله عمله إن حجة الله هي الحجة الواضحة»⁽³⁾.

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: قلت: إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئاً؟

فقال: «يا محمد إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب، وإن رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم (عليه السلام) يشكوا إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء له، قال: فتطهر عيسى وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل، فأوحى الله عز وجل إليه: يا عيسى إن عبيد أتاني من غير الباب الذي أوتى منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتى ينقطع عنقهوتنثر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى (عليه السلام) فقال: تدعورك وأنت في شك من نبيه، فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله لي أن يذهب به عني، قال: فدعا له عيسى (عليه السلام) فتاب الله عليه وقبل منه وصار في حد أهل بيته»⁽⁴⁾.

ص: 434

1- مستدرک الوسائل: ج 18 ص 179 ب 8 ح 22441.

2- الكافي: ج 2 ص 400 باب الشك ح 7.

3- وسائل الشيعة: ج 27 ص 156 ب 12 ح 33470.

4- بحار الأنوار: ج 14 ص 278-279 ب 20 ح 10.

وفي تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام): «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم»⁽¹⁾. يقول: «شكا إلى شكهم»⁽²⁾.

وعن الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «إن الله عزوجل جعل عليا علما بينه وبين خلقه ليس بينه وبينهم علم غيره، فمن تبعه كان مؤمنا ومن جحدته كان كافرا، ومن شك فيه كان مشركا»⁽³⁾. وروى: «إذا خطر ببالك في عظمته وجبروته أو بعض صفاته شيء من الأشياء فقل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، إذا قلت ذلك عدت إلى محض الإيمان»⁽⁴⁾.

ص: 435

1- سورة التوبة: 125.

2- تفسير العياشي: ج2 ص118 من سورة البراءة ح164.

3- بحار الأنوار: ج69 ص127 ب100 ح12.

4- فقه الرضا (عليه السلام): ص385 ب108.

الجهر بالحق

مسألة: يحرم الإسرار بعد الإعلان في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم (عليهم السلام).

فإن الواجب على الإنسان أن يصدع بالحق إذا لم تكن هناك تقية ملزمة، وهؤلاء كانوا صادعين بالحق ثم أسروا طمعاً في الدنيا، ولم تكن تقية توجب ذلك، لأنه كانت فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، وإنما رغبوا إلى الدنيا، ولذا أسروا الواقع وأعلنوا نقيضه.

ثم إنه حتى لو لم تكن فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، فإن التقية كانت منهم محرمة مع وجود أمر الإمام (عليه السلام) المفترض الطاعة بعدمها وبضرورة رفع الراية والمطالبة بالحق، ولذلك كان منها (عليها السلام) العتاب أيضاً⁽¹⁾. ثم إنه لا كلام في أن هذا (الإسرار) محرم مطلقاً⁽²⁾، إنما الكلام في أن ذكرها (عليها السلام) الإسرار بعد الإعلان هل هو من باب كونه مصداقاً من مصاديقه الخارجية التي وقعت إذ كانوا كذلك، أم تخصيصه بالذكر لأنه أشد حرمة من الإسرار بما هو هو؟

ص: 436

- 1- أي عتابها (عليها السلام) كان على الإسرار رغم القوة، وعلى الإسرار رغم وجود أمر الإمام (عليه السلام) المفترض الطاعة بالجهر.
- 2- أي سواء كان قبل الإعلان أو بعده.

لا يبعد الثاني، خاصة في مثل المقام.

قال تعالى: «وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ»(1).

وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر لها بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه، ومن شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر تعرفه الخلائق باسمه ونسبه» ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): «ألا ترى أن الله تبارك وتعالى يقول: «وأقيموا الشهادة لله»(2)،(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عليكم بلزوم العفة والأمانة، فإنهما أشرف ما أسررتما وأحسن ما أعلنتما وأفضل ما ادخرتما»(4).

وقال (عليه السلام): «إن التقوى تنتهي رضی الله من عباده وحاجته من خلقه، فاتقوا الله الذي إن أسررتما علمه وإن أعلنتما كتبه»(5).

ص: 437

1- سورة البقرة: 283.

2- سورة الطلاق: 2.

3- الكافي: ج 7 ص 380-381 باب كتمان الشهادة ح 1.

4- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 275 ب 22 ضمن ح 12987.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 269 فضيلتهما والترغيب فيهما - أي التقوى والورع - ح 5858.

النكوص والتراجع

مسألة: يحرم النكص بعد الإقدام في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم (عليهم السلام).

فإن اللازم على الإنسان أن يكون مقداماً، لا أن يكون ناكصاً على عقبيه.

النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، نكص أي رجع القهقري.

وهؤلاء توقّفوا عن التقدم بل رجعوا القهقري، فبينما كانوا لا يباليون بالحياة ويتقدمون إلى سوح الجهاد، ويبدلون كل شيء في سبيل الله سبحانه وتعالى، صاروا يرجعون إلى الخفض والدعة والعيش الرغيد، ولذا تركوا مناصرة الحق وانساقوا مع التيار المنحرف.

ولا يبعد القول بأشدية حرمة النكوص بعد الإقدام من النكوص الابتدائي نظراً لما يحدثه من الوهن ولغير ذلك.

قال تعالى: «فكنتم على أعقابكم تنكصون»⁽¹⁾.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: «اللهم أيما عبد منعبادك سمع مقاتلتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك، ثم أنت بعد، المغني عن نصره والآخذ له بذنبه»⁽²⁾.

ص: 438

1- سورة المؤمنون: 66.

2- نهج البلاغة، الخطب: 212 كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه.

إنكار الإمامة شرك

مسألة: يحرم الشرك بعد الإيمان.

والمراد بالشرك هنا: الشرك الخفي، لا الشرك الجلي، لأنهم لم يتخذوا وثناً ولا صنماً ولا ناراً شريكاً لله سبحانه، وإنما رفضوا أحكام الله سبحانه وصاروا بذلك مشركين شركاً خفياً.

وبتعبير آخر: مقتضى المقابلة في كلامها (عليها السلام) بين الشرك والإيمان أنهم لم يكونوا - بعدها - مؤمنين، وإن كانوا مسلمين، إذ لم تقل (عليها السلام) أشركتم بعد الإسلام.

فإن الإسلام يتحقق بالشهادتين وهم أنكروا الشهادة الثالثة - ولو عملياً - فكانوا مشركين وغير مؤمنين عملياً، ونظرياً أيضاً إذا أنكروا مضافاً إلى ذلك أدلة الإمامة، فكان شركهم بالقياس إلى أصل الإمامة وأيضاً بلحاظ إنكار بعض أحكام الله ومنها إرث الزهراء (عليها السلام) من أيها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (1)، فقال لي: «ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام» (2).

ص: 439

1- سورة الحجرات: 14.

2- الكافي: ج 2 ص 24 باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة ح 3.

وعن سفيان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبد الله (عليه السلام) عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق وقد أذف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «كأنه قد أذف منك رحيل» فقال: نعم، فقال: «فالقني في البيت» فلقبه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فقال: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام» وقال: «الإيمان هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالاً»⁽¹⁾.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وتستحل به الفروج والثواب على الإيمان»⁽²⁾.

وعن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان» فقلت: فصنفهما لي؟ فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة»⁽³⁾.

ص: 440

1- بحار الأنوار: ج 65 ص 246-247 الأخبار ح 6.

2- وسائل الشيعة: ج 20 ص 556 ب 11 ح 26337.

3- بحار الأنوار: ج 65 ص 248 الأخبار ح 8.

وعن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين: «سألت رحمك الله عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان، ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخلًا في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار»(1).

وعن سماعة بن مهران قال: سألته عن الإيمان والإسلام، قلت له: أفرق بين الإسلام والإيمان؟ قال: «فأضرب لك مثله» قال: قلت: أورد ذلك، قال: «مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم، قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة، ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً»(2).

ص: 441

1- الكافي: ج2 ص27-28 باب آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح1.

2- الكافي: ج2 ص28 باب آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح2.

إثارة الشبهات والحيرة

مسألة: يمكن استفادة سنة من سنن الله في المجتمع وقاعدة اجتماعية ونفسية من كلامها (صلوات الله عليها) وهي: إن الحيرة والكتمان والنكوص والشرك حقائق أربع متلازمة، بل فوق ذلك: إن الحيرة بعد البيان هي عادة منشأ الشرور اللاحقة، فإنها هي منشأ النكوص بعد الإقدام، والإسرار بعد الإعلان، والشرك بعد الإيمان.

وهذا ما يلاحظ بالوجدان، ويظهر من ابتدائها (عليها السلام) بالحيرة بعد البيان.

فتلزم محاربة الحيرة أشد الحرب، فإنها المنفذ الذي ينفذ منه الشيطان، والمدخل الذي يدخل منه أعداء الدين وقوى الاستعمار لتحطيم عزم الأمة وإرادتها.

وهكذا فإن إثارة الشبهات تعد من هذا المنظار من أشد المحرمات، وفي المقابل إجابة الشبهات وتثبيت الإيمان من أكبر الطاعات:

وقد ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»⁽¹⁾.

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟ قال: «الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا

ص: 442

1- الدعاء والزيارة، للإمام الشيرازي (رحمة الله): ص 702، الزيارة المطلقة للإمام الحسين (عليه السلام).

أفضل من ألف عابد»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حيوانه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور، يضيء لأهل جميع العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرج في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرا، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلا، أو أوضح له عن شبهة»(2).

وقال علي (عليه السلام): «من قوى مسكينا في دينه، ضعيفا في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي ومحمد نبيي وعلي وليي والكعبة قبلتي والقرآن بهجتي وعدتي والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»(3).

وقالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة (عليها السلام): «إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها

ص: 443

1- الكافي: ج 1 ص 33 باب صفة العلم ح 9.

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 2 ب 8 ح 2.

3- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 346 ح 228.

أشد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان معدا له من الجنان»(1).

وقال أبو محمد العسكري (عليه السلام): «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول لله.

قالت فاطمة (عليها السلام): هاتي وسلي عما بدا لك، رأيت من اكتري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يتقل عليه؟
فقالت: لا.

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يتقل عليّ، سمعت أبي (صلى الله عليه وآله) يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجددهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين

ص: 444

كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون عليك واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى إن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيّدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تنمو لهم خلعتهم وتضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضعف لهم وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم، وقالت فاطمة (عليها السلام): يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»(1).

وقال الحسن بن علي (عليه السلام): «فضل كافل يتيّم آل محمد (عليه السلام) المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرج من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيّم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»(2).

وقال الحسين بن علي (عليه السلام): «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده قال الله عز وجل: أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم»(3).

وقال محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر شمعته دعا له بخير، كذلك العالم مع شمعة تزيل ظلمة الجهل

ص: 445

1- بحار الأنوار: ج 2 ص 3 ب 8 ح 3.

2- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 318 ب 11 ح 21461.

3- الصراط المستقيم: ج 3 ص 55.

والحيرة فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار، والله يعوضه عن ذلك بكل شرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزوجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة»(1).

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترک والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبيننا وذلك يدفع عن أبدانهم»(2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من كان همه في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوراتهم ويفخم أمر محمد وآله (صلوات الله عليهم) جعل الله همة أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره يستعمل بكل حرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكا، قوة كل واحد تفضل عن حمل السماوات والأرض، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا يعرف قدرها إلا رب العالمين»(3).

ص: 446

1- بحار الأنوار: ج 2 ص 4 ب 8 ح 7.

2- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 343.

3- بحار الأنوار: ج 2 ص 10 ب 8 ح 19.

وقال موسى بن جعفر (عليه السلام): «فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليمهما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة»(1).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «من أعان مجبا لنا على عدو لنا فقواه وشجعه حتى يخرج الحق الدال على فضلنا بأحسن صورته ويخرج الباطل الذي يروم به أعداؤنا ودفع حقنا في أقبح صورة حتى ينبه الغافلين ويستبصر المتعلمون ويزداد في بصائرهم العالمون بعثه الله تعالى يوم القيامة في أعلى منازل الجنان ويقول: يا عبدي الكاسر لأعدائي الناصر لأوليائي المصريح بتفضيل محمد خير أنبيائي وبتشريف علي أفضل أوليائي ويناوي من ناوهما ويسمي بأسمائهما وأسماء خلفائهما ويلقب بألقابهم فيقول ذلك ويبلغ الله جميع أهل العرصات فلا يبقى كافر ولا جبار ولا شيطان إلا صلى على هذا الكاسر لأعداء محمد (صلى الله عليه وآله) ولعن الذين كانوا يناصبونه في الدنيا من النواصب لمحمد وعلي صلوات الله عليهما»(2).

وقال علي بن موسى الرضا (عليه السلام): «يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله وحصل

ص: 447

1- الاحتجاج: ج 2 ص 17 فصل في ذكر طرف مما أمر الله في كتاب ..

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 10-11 ب 8 ح 20.

لهم رضوان الله تعالى ويقال للفقهاء: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيدخل الجنة ومعه فئاما وفئاما وفئاما حتى قال عشرا وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة فانظروا كم فرق بين المنزلتين»(1).

وقال محمد بن علي الجواد (عليه السلام): «من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أنمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»(2).

وقال علي بن محمد (عليه السلام): «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»(3).

ص: 448

1- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 344 في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن... ح 223.

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 6 ب 8 ح 11.

3- الاحتجاج: ج 1 ص 18 فصل في ذكر ظرف مما أمر الله في كتاب.

وعن أبي محمد عن أبيه (عليه السلام) قال: «تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محيينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفله ومن ظلمة الجهل أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلو حتى يحاذي بهم فوق الجنان ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاذيهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا يدعون إليهم ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وصمت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشد من لهب النيران فيتحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فتدعوهم إلى سواء الجحيم»⁽¹⁾.

إلى غيرها من الروايات.

ص: 449

1- بحار الأنوار: ج 2 ص 6-7 ب 8 ح 13.

ألا تقاتلوا قوماً (1) نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم

مقابلة ناكثي البيعة

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) جواز وربما وجوب مقاتلة أولئك القوم الذين خرجوا على إمام زمانهم ونقضوا البيعة ونصبوا غير من نصبه الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

بل كلامها (عليها السلام) تحريض أكيد على مقاتلتهم: «ألا تقاتلون قوماً...».

ومنه يعلم بضميمة الحديث المتفق عليه بين الفريقين: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها» (2): أن رضى الله كان في مقاتلتهم وسخطه كان في الخذلان.

وهل يستفاد من كلامها (عليها السلام) عمومية جواز مقاتلة القوم الذين نقضوا أيمانهم، أم هو مختص بالمقام، فتأمل.

وفي بعض النسخ: «بؤساً لقوم». ومن الجلي أن (البؤس) أعم من البؤس الأخروي والديني، فهم بنقض البيعة خسروا دنياهم وآخرتهم، والبؤس هو الشدة والفقر، أي اشتداد الحاجة والافتقار، والشدة أعم من الشدة الأمنية والسياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

ص: 450

1- وفي بعض النسخ: (بؤساً لقوم).

2- راجع بحار الأنوار: ج 27 ص 62 ب 1 ح 21.

فالمستفاد من كلامها (عليها السلام) أن نكثهم الأيمان بالنسبة إلى ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نجم عنه كل ما حدث من الحروب والمحن والمشاكل والأزمات.

وكلامها (عليها السلام) إشارة إلى قوله تعالى: «أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (1).

قال سبحانه: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (2).

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَدَّ يُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (3).

وعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من نكث بيعة أو رفع لواء ضلالة أو كتم علما أو اعتقل مالا ظلما أو أعان ظلما على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام» (4).

وقال علي (عليه السلام): «من نكث بيعته لقي الله وهو أجزم لا يد له» (5).

ص: 451

- 1- سورة التوبة: 13.
- 2- سورة التوبة: 12.
- 3- سورة الفتح: 10.
- 4- بحار الأنوار: ج 2 ص 67 ب 13 ح 11.
- 5- دعائم الإسلام: ج 2 ص 95 فصل 1 ح 296.

وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، قيل: يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحق وإن قلوا»(1). قال النبي (صلى الله عليه وآله): «ثلاث موبقات، نكث الصفة وترك السنة وفراق الجماعة، وثلاث منجيات تكف لسانك وتبكي على خطيئتك وتلزم بيتك»(2).

قال سلمان وعبد الله بن العباس قالاً: «توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته»(3).

وعن العالم موسى بن جعفر (عليه السلام) في حديث: «وإذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير «لا تُفسدوا في الأرض» بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم، و تحيرونهم في مذاهبهم»(4).

ص: 452

1- بحار الأنوار: ج 27 ص 67 ب 3 ح 1.

2- الخصال: ج 1 ص 85 ثلاث درجات وثلاث كفارات ح 13.

3- بحار الأنوار: ج 43 ص 197 ب 7 ح 29.

4- بحار الأنوار: ج 37 ص 146 ب 52 ضمن أخبار الغدير.

نكت البيعة وأسلوبها

مسألة: من أكبر المحرمات وأشدّها نكث بيعة الله وبيعة الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيعة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

فإن القوم كانوا قد حلفوا وعاهدوا بالاستمرار مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وبايعوه على ذلك، وكانت تلك مبايعة مع الله عزوجل، فإن يد الله فوق أيديهم، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (1).

وربما تكون إحدى الوجوه في قوله تعالى: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» (2) أن أسلوب البيعة كان عبارة عن أن الرسول (صلى الله عليه وآله) يرفع يده إلى أعلى، وكانوا يمرّون يدهم بيده (صلى الله عليه وآله) أخذاً من الأصابع وانتهاءً إلى آخر الكف، وذلك على ما يظهر منالتواريخ.

ونكث البيعة كان بالعكس من ذلك، بأن يمر المبايع يده من آخر الكف طرف الزند إلى الأصابع نكثاً للبيعة وكأنه تخلص عن البيعة وتفرّغ عنها.

والمحتمل في هذا المقطع من كلامها (صلوات الله عليها) في القوم الذين نكثوا أيمانهم أمران:

ص: 453

1- سورة الفتح: 10.

2- سورة الفتح: 10.

الأول: أنهم حكماً هم اليهود الذين نقضوا عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وعاضدوا الأحزاب وهموا بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من المدينة.

الثاني: أنهم حكماً هم مشركو قريش وكفار مكة قبل الهجرة وبعدها أيضاً (1)، وهذا أظهر بلحاظ انطباق كلامها (عليها السلام) بكامله عليهم، فهي (عليها السلام) تحرض الناس على قادة الانقلاب ضد النبي (صلى الله عليه وآله) ومخططي السقيفة، فإنهم نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من قبل، وهم قد بدؤوكم - أيها المسلمون - أول مرة، أي زمن النبي (صلى الله عليه وآله) في قضايا عديدة منها قضية (ودباب دحرجوها) (2) في العقبة. أو إنهم قد بدؤوكم - أيها الأوس والخزرج - أول مرة عندما جاؤوا للمدينة لمقاتلتكم.

وهذه المرة الثانية حيث تعرضوا لوصي النبي (عليه السلام)، ف- (أول مرة) بلحاظ الصنف لا العدد (3).

عن بكير بن عبيد الله الطويل وعمار بن أبي معاوية قالوا: حدثنا أبو عثمان البجلي مؤذن بني قصي، قال بكير: أذن لنا أربعين سنة، قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول يوم الجمل: «وَإِنْ نَكَّثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي

ص: 454

- 1- أما قبل الهجرة فبنقضهم عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أن لا يعينوا أعداءهم عليهم فأعانوا عليهم بني بكر على خزاعة وراموا إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة في مؤتمهم بدار الندوة، وأما بعد الهجرة فيوم بدر.
- 2- راجع القصة كاملة في بحار الأنوار: ج 82 ص 266-267 ب 33.
- 3- أي بدؤوكم أول مرة بلحاظ كونها موجهة ضد شخص النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وإن كانت مراراً عديدة وهذه ثاني مرة ضد وصيه (عليه السلام).

.....
دِينَكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أِيْمَانَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم، قال بكير: فسألت عنها أبا جعفر (عليه السلام)، فقال: «صدق الشيخ هكذا قال علي (عليه السلام) هكذا كان»⁽¹⁾.

ومن كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد وكان مما قال: «عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم، منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابة ومثلوا بحكيم بن جبلة العبدى وقتلوا رجالا - صالحين ثم تتبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبيرا، ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، انهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطنتم أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي ومبارزة الأقران، وأي امرئ أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله»⁽²⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَدِّقُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ»⁽³⁾، قال:

ص: 455

1- بحار الأنوار: ج 32 ص 203 ب 3 ح 156.

2- بحار الأنوار: ج 32 ص 171-172 ب 3 ح 131.

3- سورة البقرة: 11-12.

.....

«ما قوتل أهل هذه يعني البصرة إلا بهذه الآية، وقرأ أمير المؤمنين يوم البصرة: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهِمْ يَنْتَهُونَ»(1).

ثم قال: لقد عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون»(2).

قالت فمن قاتل الأقبام إذ نكثوا *** فقلت تفسيره في وقعة الجمل

ص: 456

1- سورة التوبة: 12.

2- بحار الأنوار: ج 32 ص 282-283 ب 6 ضمن ح 232.

إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يحرم إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله)، فإن إخراجهم (صلى الله عليه وآله) من أشد المحرمات، كما فعله المشركون من أهل مكة.

بل يحرم إخراج كل أحد عن وطنه وملكه.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (عليها السلام) منها» (1).

كما يحرم إخراج المسلم عن أي من البلاد الإسلامية، إذ لا حدود جغرافية في الإسلام، والبلاد الإسلامية بلد واحد، والمسلم حر في أن يعيش في أي منها، فلا جواز ولا إقامة ولا تأشيرة ولا غيرها من بدع الاستعمار.

قال المفسرون في قوله تعالى «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ» (2): (إنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتأمروا في أمر النبي (صلى الله عليه وآله) فقال عروة بن هشام: «تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» (3).

وقال أبو البخترى: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه.

ص: 457

1- الاحتجاج: ج 1 ص 90 احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر.

2- سورة الأنفال: 30.

3- سورة الطور: 30.

وقال أبو جهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا ففهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية.

فصوب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأ الأولين.

فاتفقوا على هذا الرأي وأعدوا الرجال والسلاح، وجاء جيرئيل فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرج إلى الغار وأمر عليا (عليه السلام) فبات على فراشه، فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم وقالوا: أين محمد؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا عليا عليه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه، فمكث (صلى الله عليه وآله) فيه ثلاثة أيام ثم قدم المدينة(1).

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد (صلى الله عليه وآله)»(2).

ص: 458

1- بحار الأنوار: ج 19 ص 31 ب 6.

2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 33 باب السفر والسير والفراق والقدوم والوداع.

حرمة الهم بذلك

مسألة: يحرم الهم بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله).

والهم بالشيء هو العزم عليه وقصده وإرادته.

فإن الهم بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) يرتبط بأصول الدين والمعتقدات، والنية فيما يخالف أصول الدين محرمة، حتى إذا لم نقل في باب النية بحرمة مطلق نية الحرام، فإن النية فيما يخالف الأحكام الشرعية الفرعية - بدون الإتيان بها - ليست من المحرمات وإن كانت مذمومة، كما ذكر في بحث التجري في الأصول(1).

وهناك بعض الفرق بين النية وبين الهم بالشيء، فإن الهم بالشيء: العزم عليه وقصده وإرادته فتأمل.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من هم بخير فليعجله ولا يؤخره، فإن العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً، ومن هم بسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الله سبحانه فيقول: لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً»(2).

ص: 459

-
- 1- قال الإمام الشيرازي (قدس سره) في بحث التجري: (والحاصل: قد ظهر مما تقدم قرب قول الشيخ « فلا عقاب لا على الفعل ولا على العزم وإن اختاره الكفاية وحيث يراه غير اختياري انتهى الأمر إلى الشقاوة الذاتية، مع وضوح أن كل ما بالغير ينتهي إلى ما بالذات، وإلا لزم التسلسل، فغيره اختياري به). الأصول: ج 2 ص 17 ط 5 دار العلوم، بيروت.
 - 2- الكافي: ج 2 ص 142-143 باب تعجيل فعل الخير ح 6.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث نفسه بها»⁽¹⁾.

وعن زرارة عن أحدهما (عليهما السلام) قال: «إن الله تبارك وتعالى جعل لأدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له بها عشرة، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، ومن هممها وعملها كتبت عليه سيئة»⁽²⁾.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشر حسنات، وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه»⁽³⁾.

وعن بكير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أو عن أبي جعفر (عليه السلام): «إن الله تعالى قال لأدم (عليه السلام): يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشرة»⁽⁴⁾، الحديث.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا هم العبد بالسيئة لم تكتب عليه وإذا هم بحسنة كتبت له»⁽⁵⁾.

ص: 460

1- وسائل الشيعة: ج 15 ص 35 ب 50 ح 20712.

2- الكافي: ج 2 ص 428 باب من يهّم بالحسنة أو السيئة ح 1.

3- وسائل الشيعة: ج 1 ص 51 ب 6 ح 99.

4- وسائل الشيعة: ج 1 ص 51-52 ب 6 ح 100.

5- وسائل الشيعة: ج 1 ص 52 ب 6 ح 102.

مقاتلة من هم بذلك

مسألة: يجوز مقاتلة من هم بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله)، والجواز بالمعنى الأعم. وإنما قلنا بالجواز بالمعنى الأعم، لأنه قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، كل في مورده، حسب ما ألمعنا إليه في بحوث آنفة، وتفصيل الكلام في كتاب الجهاد(1).

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»(2).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أمير المؤمنين (صلوات

اله عليه): «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد وأدبيل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاها

ص: 461

1- راجع موسوعة الفقه: ج 47 و48 كتاب الجهاد.

2- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 121 ب 54 ح 2.

ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جدیرا، فیا عجبا عجبا والله یمیث القلب ویجلب الهم من اجتماع هؤلاء علی باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا حین صرتم غرضا یرمی یغار علیکم ولا تغیرون وتغزون ولا تغزون ویعصی الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسیر إلیهم فی آیام الحر قلمت هذه حمارة القیظ أمهلنا حتی یسیخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسیر إلیهم فی الشتاء قلمت هذه صبارة القر أمهلنا حتی ینسلخ عنا البرد، کل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تقرون فأنتم والله من السیف أفر، یا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندما وأعقتدما، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قیحا وشحنتم صدري غیظا وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأبي بالعصیان والخذلان حتی لقد قالت قریش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فیها مقاما مني لقد نهضت فیها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت علی الستین ولكن لا رأي لمن لا يطاع»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به»(2).

هذا وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من خرج على علي (عليه السلام) فهو في النار»(3).

ص: 462

- 1- الكافي: ج 5 ص 4-6 باب فضل الجهاد ح 6.
- 2- وسائل الشيعة: ج 15 ص 15 ب 1 ح 19915.
- 3- الصراط المستقيم: ج 3 ص 162 فصل في أم الشرور.

البدء بالقتال

مسألة: يجوز مقاتلة ومقابلة من بدأ بالقتال أول مرة، أما مقاتلة من لم يبدأ بقتال فهي مشروطة بما ذكر في كتاب الجهاد(1) في إطار قوله تعالى: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ» (2).

والإسلام - كما هو واضح في حروب الرسول (صلى الله عليه وآله) وحروب أمير المؤمنين علي والإمام الحسن والإمام الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) - يؤكد على أن لا يبدأ بقتال الكفار والمشركين ومن أشبههم، وذلك حتى تكون عليهم الحجة البالغة، فإن البادي بالقتال هو الذي قد تسقط حجته ببدئه بالقتال.

وقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وقعة بدر إلى قريش وقال: «يا معاشر قريش إني أكره أن أبدأكم فخلوني والعرب وارجعوا» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: «لا تبدوهم بالقتال» (4).

وقد ورد في وقعة الجمل: أنه لما توافق الجمعان قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا

ص: 463

1- موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

2- سورة النساء: 75.

3- بحار الأنوار: ج 19 ص 224 ب 10 غزوة بدر الكبرى.

4- تفسير القمي: ج 1 ص 262 خوف قريش.

.....

هزمتهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيغير بها وعقبه من بعده» (1).

وورد في قتال الخوارج أنه: لما واقفهم علي (عليه السلام) بالنهروان قال: «لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم، فحمل منهم رجل على صف علي (عليه السلام) فقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه (عليه السلام) فضر به فقتله» (2).

وفي الكافي: عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتهم فلا تقتلوا لهم مدبرا، ولا تهجزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل» (3).

وفي نهج البلاغة: من وصيته (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين: «لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا

ص: 464

1- بحار الأنوار: ج 32 ص 212-213 ب 3 ضمن ح 167.

2- بحار الأنوار: ج 33 ص 348 ب 23 باب قتال الخوارج.

3- الكافي: ج 5 ص 38 باب ما كان يوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) ح 3.

ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنا كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده»(1).

وعن حبة العرني قال: لما انتهينا إليهم رمونا، فقلنا لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين قد رمونا، فقال: «كفوا» ثم رمونا فقال لنا (عليه السلام): «كفوا»، ثم الثالثة فقال: «الآن طاب القتال احملوا عليهم»(2).

وفي أخبار يوم الجمل روى أبو مخنف قال: «لما تراحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي (عليه السلام) لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكموحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل»(3).

وقال الشيخ المفيد: وروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (عليه السلام) رفع يديه وقال: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة) قال: فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين (عليه السلام) فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب

ص: 465

-
- 1- نهج البلاغة، الوصايا: 14 ومن وصية له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصنفين.
 - 2- بحار الأنوار: ج 33 ص 347 ب 23 باب قتال الخوارج.
 - 3- شرح نهج البلاغة: ج 9 ص 111 من أخبار يوم الجمل.

الذي كان ألقى فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين (عليه السلام): من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن، فقالوا: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً، ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين (عليه السلام) من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين (عليه السلام): لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال»(1).

ص: 466

1- بحار الأنوار: ج 45 ص 4-5 ب 37 سائر ما جرى عليه.

الخوف من الأعداء

مسألة: يحرم الخوف من أعداء الله تعالى في الجملة.

والمراد به: الخوف المنتهي إلى الجبن والتقاعس عن العمل، أما الخوف القلبي - الخارج عن الاختيار - فليس حراماً، كما هو واضح.

أو المراد به: الخوف الناتج عن الشرك، أي الخوف من منطلق رؤية قدرة بإزاء الله تعالى.

ومن هنا كان الفرار عن الزحف محرماً.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الفرار من الزحف من الكبائر»⁽¹⁾.

وفي كتاب صفين: أن علياً (عليه السلام) لما رأى ميمنته يوم صفين قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشف من يازائها حتى ضاربوهم في مواقعهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال: «إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عنصفوفكم تحوزكم الجفأة الطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذا ضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إيدباركم وكرمكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي وشفأ بعض هياج صدري أني رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم

ص: 467

1- دعائم الإسلام: ج 1 ص 370 ذكر الأفعال التي ينبغي فعلها قبل القتال.

.....

كما أزالوكم تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطردة الهيم فالآن فاصبروا أنزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنه مسخط لربه وموبق لنفسه، وفي الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم وفساد العيش وأن الفار لا يزيد في عمره ولا يرضي ربه، فموت الرجل محققا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضى بالتلبس بها والإقرار عليها»(1).

وعن أبي الحسن (عليه السلام) في قوله تعالى: «إلا- متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة»(2)، قال: «متطردا يريد الكرة عليهم، ومتحيزا يعني متأخرا إلى أصحابه من غير هزيمة، فمن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله»(3).

وفي احتجاجات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم» إلى أن قال: «وأما الثانية والستون فإني كنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جميع المواطن والحروب وكانت رأيته معي، وأما الثالثة والستون فإني لم أفر من الزحف قط، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه» الحديث.(4).

وفي علل الشرائع عن محمد بن سنان: أن الرضا (عليه السلام) كتب إليه فيما كتب

ص: 468

1- مستدرك الوسائل: ج 11 ص 71-72 ب 27 ح 12455.

2- سورة الأنفال: 16.

3- مستدرك الوسائل: ج 11 ص 72 ب 27 ح 12457.

4- بحار الأنوار: ج 31 ص 432-445 ب 27.

عن جواب مسأله: «حرم الله عز وجل الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، ولما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله تعالى وغيره من الفساد»(1).

وروى العياشي عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه ذكر في قول الله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه»(2) عبادة الأوثان وشرب الخمر وقتل النفس وعقوق الوالدين وقذف المحصنات والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول: «الكبائر سبع، قتل المؤمن متعمدا وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البيعة وكل ما أوجب الله عز وجل عليها النار» وقال: «إن أكبر الكبائر الشرك بالله»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «وأما الفرار من الزحف فقد أعطوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على البيعة طائعين غير كارهين ثم فروا عنه وخذلوه»(5).

ص: 469

1- علل الشرائع: ج2 ص481 ب233 ح1.

2- سورة النساء: 31.

3- تفسير العياشي: ج1 ص238 ح107 من سورة النساء.

4- بحار الأنوار: ج85 ص26 بيان تحقيق مهم.

5- تفسير فرات لكوفي: ص102-103 ومن سورة النساء.

.....
وعن عمران بن حصين قال: لما تفرق الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم أحد جاء علي (عليه السلام) متقلدا سيفه حتى قام بين يديه، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأسه فقال له: «ما بالك لم تفر مع الناس» فقال: «يا رسول الله أرجع كافرا بعد إسلامي» الخبر(1).

وفيه نزل جبرائيل قائلاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وقال للنبي (صلى الله عليه وآله): «يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه» فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه» ورجع بعض الناس لثبات علي (عليه السلام) ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «لقد ذهبت بها عريضا»(2).

الشجاعة

مسألة: ينبغي للإنسان أن يكون شجاعاً، فإذا لم يكن لقن نفسه بذلك، فإن من الثابت في علم النفس التأثير الكبير للإيحاء النفسي على الإنسان، سواء كان في الخير أم الشر، وسواء كان عدالة أم ظلماً، كراماً أم بخلاً، شجاعة أم جبناً، أم غير ذلك من الصفات، وتأثير التلقين والإيحاء لا يقتصر على القلب والجوانح، بل يشمل الجوارح أيضاً(3).

ص: 470

1- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 72 ب 27 ح 12458.

2- نهج الحق: ص 249 المطلب الثاني في الجهاد.

3- وقد ثبت علمياً ذلك ومن أمثلته تأثر الإيحاء الذاتي على شفاء المرضى، كما تعارف عند بعض الأطباء في عالم اليوم.

.....
ولعل من أسباب تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات بركوعها وسجودها وسائر أجزائها وشرايطها، استمرار الإيحاء النفسي حتى تتلون النفس باللون الذي يرتضيه الله عزوجل، قال تعالى: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»(1).

عن عبد الله بن عباس قال قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فينا خطيباً فقال في آخر خطبته: «جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لأحد قبلنا ولا تكون لأحد غيرنا، العلم والحلم والحكم واللب والنبوة والفتوة والشجاعة والصدق والصبر والطهارة والعفاف، فنحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى والحق الذي أمر الله في المودة «فَمَا ذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ»(2)»(3).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا وأنزل علي سيد الكتب، فقلت: إلهي وسيدي إنك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيرا تشد به عضده وتصدق به قوله، وإني أسألك يا سيدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيرا تشد به عضدي، فجعل الله لي عليا وزيرا وأخا وجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوه وهو أول من آمن بي وصدقني وأول من وحد الله معي وإني سألت ذلك ربي

ص: 471

1- سورة البقرة: 138.

2- سورة يونس: 32.

3- تفسير فرات الكوفي: ص 305-308 ومن سورة الشعراء.

عزوجل فأعطانيه، فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة والموت في طاعته شهادة واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي وهو وهما والأئمة بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم أبواب العلم في أممي من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم «هُدِيَّ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (1)، لم يهب الله عزوجل محبتهم لعبد إلا أدخله الله الجنة» (2).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «اعلم أن الله عزوجل يحب الشجاعة ولو على قتل حية» (3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أتى النبي (صلى الله عليه وآله) بأسارى فأمر بقتلهم خلا رجلا من بينهم، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا محمد كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عزوجل أن فيك خمس خصال يحبه الله عزوجل ورسوله الغيرة الشديدة على حرمك والسخاء وحسن الخلق وصدق اللسان والشجاعة، فلما سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه وقاتل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قتالا شديدا حتى استشهد» (4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الشجاعة زين» (5).

ص: 472

- 1- سورة آل عمران: 101.
- 2- الأماي للصدوق: ص 21-22 المجلس السادس.
- 3- مستدرک الوسائل: ج 8 ص 297 ب 39 ح 9490.
- 4- بحار الأنوار: ج 66 ص 383 ب 38 ح 45.
- 5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 259 ق 3 ب 2 ف 2 ح 5524.

وقال (عليه السلام): «الشجاعة عز حاضر» (1). وقال (عليه السلام): «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله» (2).

وفي الشعر المنسوب إليه (عليه السلام) قال:

أنا الصَّقر الذي حدّثت عنه *** عتاق الطير تنجذل انجدالا

وقاسيت الحروب أنا ابن سبع *** فلما شبت أفنيت الرجالا

فلم تدع السيوف لنا عدواً *** ولم يدع السخاء لديّ مالا (3)

ص: 473

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 259 ق 3 ب 2 ف 2 ح 5525.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 33 ق 4 ب 1 ف 3 ح 7666.

3- بحار الأنوار: ج 34 ص 433 الباب السادس والثلاثون ومنه في إظهار الشجاعة.

الخشية من الله

مسألة: تجب الخشية من الله تعالى، وقد تكون واجباً نفسياً لا صرف المقدمة فتأمل.

ولا يخفى أن الأصل في الخطابات القرآنية كونها للعموم، وإن كانت موجهة حين نزولها لأفراد أو فئات خاصة فإنها عادة من باب أظهر المصاديق وما أشبهه، والمقام من هذا القبيل.

وإذا لم تكن الخشية من الله موجودة أو متمكنة في قلب الإنسان فاللازم إيجاد تلك الخشية في قلبه بتذكر عقاب الله سبحانه وتعالى، وشدة بأسه لمن يعصيه، حتى تتلَوَّن نفسه بالخشية.

قال سبحانه: «يدعوننا رغباً ورهباً»(1).

وقال تعالى: «انما يخشى الله من عباده العلماء»(2).

وقال جل ثناؤه: «فلا تخشوا الناسواخشون»(3).

وفي الحديث القدسي: «يا موسى اجعلني حرزك وضع عندي كنزك من الصالحات وخفني ولا تخف غيري إلي المصير»(4).

ص: 474

1- سورة الأنبياء: 90.

2- سورة فاطر: 28.

3- سورة المائدة: 44.

4- بحار الأنوار: ج 13 ص 335 ب 11 ضمن ح 13.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن من العبادة شدة الخوف من الله» (1).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك» (2).

وعن الهيثم بن واقد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء» (3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «المؤمن لا يخاف غير الله ولا يقول عليه إلا الحق» (4).

وعن أبي ذر (رحمة الله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر يقول الله تعالى: لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمين، فإذا أمني أخفته يوم القيامة وإذا خافني آمنته يوم القيامة..»

يا أباذر لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة»..

إلى أن قال: قال (صلى الله عليه وآله): «يا أباذر إن لله ملائكة قياما في خيفته ما يرفعون رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الأخيرة فيقولون جميعا سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد فلو كان لرجل عمل سبعين صديقا لاستقل

ص: 475

1- الكافي: ج2 ص69 باب الخوف والرجاء ح7.

2- وسائل الشيعة: ج15 ص220 ب14 ح20324.

3- الكافي: ج2 ص68 باب الخوف والرجاء ح3.

4- مستدرک الوسائل: ج11 ص228 ب14 ح12819.

عمله من شدة ما يرى يومئذ»(1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«من عرف الله خافه، ومن خاف الله حثها لخوف من الله على العمل بطاعته والأخذ بتأديبه، فبشر المطيعين المتأدبين بأدب الله والآخذين عن الله أنه حق على الله أن ينجيه من مضلات الفتن»(2).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة بهذا الصدد.

ص: 476

1- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 228 ب 14 ح 12818.

2- بحار الأنوار: ج 67 ص 400 ب 59 ح 73.

من لوازم الإيمان

مسألة: ينبغي بيان أن الخشية من الله تعالى من شرائط الإيمان ولوازمه، كما قالت (سلام الله عليها): «إن كنتم مؤمنين».

فإن من الواضح أن غير المؤمن لا يخشى منه عزوجل، وإلا لآمن به وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، فإن الصفات القلبية تظهر آثارها على الجوارح، قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «ما أضمر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»⁽¹⁾.

ولا يخفى أن ما ذكره (صلوات الله عليه) إنما هو من باب المثل أو أظهر المصاديق وأجلاها، وإلا فالنوايا تظهر أيضاً على الجوارح الأخرى كاليد والرجل وإشارات العين، وما أشبه ذلك.

قولها (عليها السلام): «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم...» إشارة إلى أن الأنصار⁽²⁾ قد حاربوا كفار مكة من قبل والمتوقع منهم أن يقوموا اليوم بمحاربة المنافقين ويدافعوا عن خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته، وعن فدك وابنته (صلى الله عليه وآله)، وقد نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، فإنهم جمعوا بين شيئين النكث للإيمان ونقض العهد، كما هموا بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة المكرمة.

ص: 477

1- بحار الأنوار: ج 65 ص 316 ب 25 نسبة الإسلام.

2- بناء على أن الخطاب لا يزال لبني قيلة كما هو ظاهر مساق الكلام.

قولها (عليها السلام): «وهم بدؤوكم أول مرة» لأن أهل مكة هم الذين جاؤوا إلى المدينة ليحاربوا المسلمين.

قولها (عليها السلام): «أتخشونهم» أي لخوفكم منهم لا تقدمون على محاربتهم واسترداد الحق منهم.

قولها (عليها السلام): «فالله أحق أن تخشوه»، ومعنى أحق: أصل الحق لا التفضيل، إذ لا يخاف من البشر ولا يُخشى من سائر الممكنات أبداً في قبال الله عزوجل، لأن أزمة الأمور طراً بيده سبحانه وتعالى، فالتفضيل هنا مجرد عنمعناه، كما في غيرها من الآيات والروايات التي ورد فيها شبه ذلك، قال سبحانه: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى»(1).

وقال عزوجل: «قل الله يهدي للحق، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»(2).

...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ص: 478

1- سورة القيامة: 34-35.

2- سورة يونس: 35.

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الرابع من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام))

وقد اشتمل على القسم الثالث من الخطبة الشريفة

وسياتي بعده المجلد الخامس وهو (تتمة الخطبة)

ويبتدى بقولها (عليها السلام) :

«ألا وقد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض»

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان ص.ب: 5955 / 13 شوران

ص: 479

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

